المقتطف

الجزء الخامس من المجلد الواحد بعد المائة

١ ديسمبر سنة ١٩٤٢ — ٢٢ ذي القعدة سنة ١٣٦١

العلم والديمقراطية (١)

اذا كانت كلمة اينشتين : « الدكتاتورية تعني كمّ الافواه والعقول » فالعاقبة هي الضمور والهدم ، واما العلم فلا يزدهر إلاّ في جوّ من الحرية » ، تلخص لُباب الصلة بين العلم والدكتاتورية ، فكلمة ڤولتير المشهورة : « اني أمقت ما تقول وأخالفك في كل كلمة منه ولكنني أدفع بحياتي عن حقك في قوله » ، تلخص لباب الصلة بين العلم والديمقراطية

فالديمقراطية من حيث هي نظام سياسيّ للحكم ، مفرغ في قالب الحكم النيابيّ ، ومن حيث هي نظرة فلسفية الى الاجتماع البشري وصلة اناس بعضهم ببعض ، وصلتهم بالدولة ، تسعى أبداً الى تحقيق حريّات شتى وضمانها ، وهذه الحريات ، من الارتقاء البشري ، في منزلة السائل الحيوي المندفع في العروق . وهذا السعي نابع من الايمان بأن السلطان الأول والأعلى على شؤون الناس يجب أن يكون للعقل لا للشهوة . وللفكر لا للدماء . وڤولتير وجون ستيوارت من ، وهي قطبا الدعوة الى الحرية كانا يعتقدان أن الانسان أميل بطبعه الى الشهوة منهُ الى العقل . فغرائزه متأصلة في تركيبه الجثماني من الوف السنين ، واما العقل فلا يعدو كونهُ طبقة جديدة على سطح تكوينه السيكولوجي . ولذلك كانا مقتنعين بأنهُ لابدّ من اخضاع الشهوة أو الغريزة لضبط العقل المثقف المصقول . وانهُ ما لم يعمد الى أداة المناقشة المطلقة

(١) الجانب الثاني من محاضرة لرئيس تحرير المقتطف

من القيود ، وينقد بحرّ ، ومن لم يتعلّم أن يستمع الى الرأي المعارض ، فلا أمن له في سوح المحكمة ، بل لا أمن له في تنشئة النشء التي تجعل المجتمع الأمثل او الدولة مدينة مستقبلاً ، ولو كان تحقيقه على وجهه الأتم بعيد المنال

هذه النزعة الى تحكيم العقل ، هي الصفة التي تميز حضارتنا الحديثة ، في نظمها السياسية وبرامجها الاجتماعية عما سبقها من حضارات ، وعما يتبدى في أحيائها من نباتات وكائنات حيوانية غريبة عنها . فليست حضارتنا الديمقراطية ، ليس تقدمها المادي والصناعي مع اننا لمبرمه . ولا ثروتها وثورتها الصناعية التي أفضت الى الاستعمار ، فالثروة بحدّ ذاتها محتقرة . والاستعمار أبداً مقبوح . ولكن لبابها هو خلاصة التراث الذي خلّفته شعوب شتّى ، فشذّبت صرحاً رفعت فيه من شأن الانسان وأعزّت من كرامته . فنرنا عن طريق فولتير وغيره أيّدت ما للعامل الانساني من شأن عظيم في بناء الحضارة والايمان بالعقل ، والاصرار على ان للانسان تفكيراً كرامةً في ذاته . وليس هذا بالشيء الجديد في التاريخ . فقد سبقت الحضارة الاسلامية اليه عند ما كانت في ابان عزها فبهرت العالم والتاريخ بعلومها وفنونها . ولكنّ سبعة قرون أو ثمانية انقضت قبل أن استكشف مفكرو فرنا هذه الملتقائق الاساسية مرة ثانية وجعلوها عناصر أساسية في نظام فلسفي . ثم تمكنوا عن طريق الثورة الكبرى من جعلها أركان النظام السياسي الاجتماعي

وقد علمتنا الأمة البريطانية ان السلطان السياسيّ ينطوي على شيء أهمّ من مجرّد التعبير عن مصالح الجماعة التي في الحكم ، وأشهدتنا على ان السلطان والحرية غير متنافيين ، وان في وسع الانسان التمتع بالحرية بغير أن تنتشر الفوضى ، وفي وسع الحكومة ان تمارس السلطات بغير أن يعمّ الاستبداد

وكيف قلبنا النظر في ارتقاء العالم في القرنين الأخيرين ، بعد عهد الاستنارة ، نجد المبادىء نفسها مفرغة في قوالب شتى . فثمة أولاً الفكرة الأساسية التي قوامها ان الفرد الانساني غاية في حدّ ذاته . وليس مجرّد آلة أو أداة تحركها قوة خافية . واذا سلّمنا بأن الفرد الانساني له قيمة في ذاته ، استخرجنا من هذه القاعدة الأصلية ، القول بوجوب منح هذا الفرد بضع حريات أساسية . لكي يتاح له النمو العقلي والروحي المتسق . ومن هنا المطالبة بأن تطلق له الحرية ليزن الأمور ويحكم عليها بنفسه وان يناقش وأن يبحث وأن يعرب عن رأيه . فالحريات المدنية والروحية هي روح الحضارة وهي روح الديمقراطية . أما المخترعات والاكتشافات فلم تنبع إلاّ من الاعتراف بكرامة العقل وحرية الانسان ، وان مواهب المبدعة الخلاقة ، التي كشفت و اخترعت ، لابدّ ان تحمد عند ما ينطوي ذلك الروح ، فتغذو مواهب

جيماً وكأنها جهاز كسر محركه أو جسم فقد سرّ الحياة فيه

نعم ان الحكومات الدمقراطية لم تحقق كل هذا على وجهه الأوفى ، ولا على وجهه الذي يرضي ، واذا كانت الحريات السياسية في بعض البلدان مضمونةً ، دستوراً وعملاً ، فان الحريات الاقتصادية ليست كذلك ، ولا الاجتماعية ، ولابدَّ أن يؤثر ذلك في ممارسة الحريات السياسية . ولكن يكفينا أن المثل الذي نسعى اليه أمامنا مهما يكن بعيد المنال ، ونحن على ما فينا من نقص وجهل وأثرة ، نحاول ان نتغلب عليها . فالحاجة الى مزيد من حرية العقل وحرية تثقيفه ، وضبط الشهوات واخضاعها . فعلينا أن نفكر بعقولنا لا بدمائنا ، لا أن نقلب الآية كما يريد الطغاة أن نفعل وكما فرضوا على شعوبهم أن تفعل

في هذا الجوّ ، الذي نشأت فيه هذه المثل السياسية والاجتماعية ، نشأ العلم الحديث وازدهر . وقد كان طريق حرية البحث والمناقشة والتعبير عن الرأي طريقاً وعراً . ولكن النتائج الباهرة التي أسفر عنها البحث العلميّ ذلّلت الصعاب ، ومهّدت الوعر ، فعزّزت ما اعترف به في بيان الحقوق الاميركي ، وبيان الحقوق الفرنسي من حق حرية الفكر وضمانها ، ومن ثمّ دخل هذا الحقّ الدساتير الحديثة وضمنتهُ الدول التي أخذت بأساليب الحكم النيابيّ

ولكن النصّ عليه في الدساتير ، شيءٌ ، وتطبيقهُ والتمتع به شيءٌ آخر . فالنصّ عليه في الدساتير ، لم يكن كافياً للتغلب على جميع ألوان المعارضة لهذه الحرية ، من قبل جماعات مختلفة من الناس ، ظنّت ان مصلحتها مقدّمة على مصلحة المجموع . ولذلك كان سبيل الحرية الفكرية ، أبداً سبيل كفاحٍ ونضالٍ . ومن أمجاد الانسانية ، ان رجال الفكر المخلصين لرسالتهم ، أدركوا في كل عصر ان النهوض بمهمتهم ليس فيه ما يغري ، إلاّ الوعد بأن كلّ من يؤدي مهمتهُ يفوز باحترام النفس ، ويحقّ لهُ أن يعدّ نفسهُ — على الرغم من النفي والتشريد والموت — جندياً في « حرب تحرير الانسانية »

حتى في البلاد التي اشتهرت بأنها مهد من مهود الحرية الفكرية ، كالولايات المتحدة ، كان لابدَّ لرجال الفكر من اليقظة الدائمة لتأييد حقهم بالكفاح . وقد رأيت أن أضرب مثلاً أو مثلين على هذا وحسبي ذلك الآن

الجامعة وحرية البحث

كان التنسك بعيار الذهب من حيث دور أساسيّ للنقد ، مبدأ في منزلة العقيدة ، عند أهل الولايات الشرقية من الولايات المتحدة الاميركية . وكان جلّهم من المحافظين . وفي سنة ١٨٩٧ دعا الدكتور اندروز رئيس جامعة برون ، الى استعمال النقدين الكريمين أي الذهب

والفضة bimetallism فساء رأيه هذا كثيرين من أعضاء الجامعة وأصدقائها . نعم انه لم يعف رئيسها من مهام رآسة الجامعة ، ولكنه تعرّض لنقد لاذع من قبل أعضاء مجلس الأمناء فلم يسعه إلاّ الاستقالة . وعينت لجنة للاجتماع بالرئيس . لا لتطلب منه التخلي عن رأيه بل للانكفاء عن اذاعتها لئلاّ يضرّ نشرها بمصلحة الجامعة من الوجهة المالية ، وهي معتمدة كما نعلم على تبرّع الموسرين . ولم يكن أساتذة الجامعة طرفاً في هذا الجدال ولكن لم يسعهم السكوت على هذا التعرّض لحرية الرأي . فأعدّوا بياناً اشتدوا فيه مجلسي الامناء الكف عن هذا التعرّض ومما جاء في هذا البيان قولهم : إن عمل الامناء :—

« قائم على نظرية اذا أصبحت أساساً لعمل واسع النطاق ، أكلت قلب معاهدنا ، وهي نظرية ان نمو الجامعة من الناحية المادية ، أهمّ من استقلال الفكر والتعبير المبيح رئيسها وأساتذتها . وان لمجالس الامناء الحق في أن يقترحوا حدوداً لهذا الاستقلال

« فليست وظيفة الجامعة أن تمثّل طائفة معيّنة من الآراء السياسية أو الدينية ، أو ان تدعو اليها ، بل أن تلهم الشباب محبة الحقيقة والمعرفة ، وأن تعلّم بحرية وتسامح وسائل ادراكهما . وظيفتها أن تتيح تربية قائمة على الحرية لا على التحكم

« إن طلاّبنا سيعلمون ، ان صمت رئيسهم في بعض الموضوعات شُري شراءً أو فرض عليه فرضاً . . . فاذا داخلهم ريب في ذلك فانهم سيشكون في الاساتذة

« ونحن لم نتكلم دفاعاً عن آراء الرئيس المالية لأننا على العموم وعلى مدى فهمنا المسألة مخالفون له فيها . . . ونحن يهمنا طبعاً نمو المعهد من الناحية المادية وأشد اهتماماً من غيرنا بتقدمه واتساعه ، ومع ذلك لا نرى أنّ نموّه يتحقّق ولا نعتقد أن نموّه يمكن أن يحقق ، بالضغط السياسي والانقياد له . لأننا مؤمنون بأن مستقبل الحياة في عروق الجامعة هو الحرية لا المال »

وتاريخ هذا البيان اول يوليو ١٨٩٧ وقد وقعه اربعة وعشرون من اعضاء مجلس الاساتذة . ولكن الرئيس اندروز كان قد قدّم استقالته ، بعد ما وجّه اليه من لوم الامناء ، فقال انه عجز عن تحقيق رغبات الامناء بغير التخلي عن حرية التعبير التي تمتع هو وزملاؤه بها وأسلافهم من قبلهم

وتوالت البيانات الموجّهة الى مجلس أمناء جامعة ستانفورد ، وهي تناشدهم استدعاء اندروز وتقليده الرآسة ثانية ، ونزع وصمة تقييد حرية الرأي عن جبين جامعة ستانفورد . وطلب نحو ستمائة خريج من خريجي الجامعة أن يعمل الامناء عملاً من شأنه ابطال التهمة الموجهة اليهم وهي التهمة التي نالها تقييد حرية البحث والتعبير عن الرأي في جامعة ستانفورد . وكتب اساتذة

دوائر العلوم الاقتصادية في جامعات اميركية اخرى — ومنهم توسيج في هارفرد وسليجمن في كولومبيا — معربين عن أملهم في أن يمتنع مجلس إعضاء جامعة برون عن الاقدام على عمل ما يمكن ان يفسر بأنه تقييد لحرية الرأي في هيئات المعلمين في جامعاتنا . . لأنّ كل بحث اداري او تحقيق في سلامة الآراء المعبَّر عنها في مسألة ما او مجموعة من المسائل ، لا بدّ ان يحد حرية التعبير ويميل الى القضاء على الاستعمال العقلي ، ونقص احترام الناس لنتائج البحث

وتدخل رؤساء الجامعات الاخرى — مثل اليوت رئيس هارفرد وجنن رئيس جون هبكنز — فأرسلوا الى أمناء برون برقياً اقترحوا فيه عملاً من قبل الأمناء يفضي بالرئيس اندروز الى استرداد استقالته

وبعد ثلاثة اشهر اقرّ مجلس أمناء برون باجماع الحاضرين (وكان خمسة من الاعضاء غائبين) توجيه رسالة الى الدكتور اندروز يذكرون فيها رغبتهم في تقييد حرية الرأي أو الحد من مدى معقول لحرية التعبير . وطلبوا الى الرئيس استرداد استقالته . فاسترده ولبث سنة في الرآسة ثم استقال ليتفرغ للتأليف

تقييد العلم بالتشريع

في صيف سنة ١٩٢٥ حوكم في بلدة ديتون بولاية تنيسي من الولايات المتحدة الاميركية مدرّس شابّ يدعى سكوبس لانهُ علّم الطلاب مذهب التطور العضوي ، مخالفاً بذلك شروط المدرسة التي يدرّس فيها وقوانين الولاية القاضية بان يُعلَّم بصحة الاصحاح الأول من سفر التكوين عن الخلق . وكانت هذه المحاكمة اثراً من دعوة طويلة عريضة ، دعا اليها فريق من الناس ، فصادفت نجاحاً في ولاية او ولايتين وأخفقت في غيرها . اي ان جماعات منظمة من الناس حاولت ان تفرض قيداً على العلم والتعليم عن طريق التشريع . وقد كتبتُ في المقتطف في عدد اغسطس من سنة ١٩٢٥ قبيل المحاكمة : قد يكون المستر بريان Bryan — وهو سياسيٌّ دمقراطيٌّ وخطيب مفوَّهٌ ولكنه ليس عالماً — مصيباً في ان مذهب النشوء القائل بان انواع النبات والحيوان تولد بعضها من بعض جرياً على نواميس الطبيعة ، كما تولد عندنا القطن السكلاريدي من العنبري ، وكما تولدت اصناف الكلاب المختلفة من أصل واحد أصبي على مرور الزمن ، قد يصحّ قولهُ بان هذا المذهب يتوسل به بعض الناس الى الاستخفاف بالأديان وإنكار فعل الخالق واباحة ما لا عقاب عليه قانوناً ، ولكن اذا كان مذهب النشوء صحيحاً لذاته وجب التسليم به كما يجب التسليم بكل ما هو صحيح لذاته

وقد اصدر حكم المحلفين بادانة الاستاذ سكوبس لانهم يحتارون في الطالب من الصناع والتجار والعمال الذين يجهلون العلوم الطبيعية ولكن حكمهم يكون هزءاً الذي حكاه العصر .

فان مجمع تقدم العلوم الاميركي اقام ثلاثة من اكبر علماء البيولوجيا وهم الاستاذ كونكلن استاذ البيولوجيا في برنستون في جامعة برنستون، والدكتور دافنبورت مدير الفشوء الامتحاني (التجريبي) في معهد كارنجي في وشنطن، والدكتور اوسبرن رئيس امناء متحف التاريخ الطبيعي في نيويورك، فقرروا اولاً ان الادلة التي اقيمت على نشوء الحيوانات بعضها من بعض والانسان منها، لا دليل على انها ظنون وما من مذهب علمي تؤيد بأدلة أثبت من الادلة التي تؤيد بها مذهب النشوء. وثانياً ان الأدلة على نشوء الانسان كافية لاقناع كل عالم طبيعي (مواليدي) يؤبه له في هذه الأيام، وهذه الأدلة تزيد عدداً وشأناً كل سنة. وثالثاً ان مذهب النشوء من أنفع المذاهب التي اخترعها الناس فانه دعا الى توسيع المعارف وعزز البحث الخالي من الغرض وساعد على التفتيش عن الحقائق مساعدة لا تثمن. ورابعاً ان كل تشريع الغرض منه تقييد مذهب علمي شائع مؤيد الى هذا الحد كمذهب النشوء يكون خطأ محضاً يضر تقدم المعارف ويؤخر ارتقاء البشرية بنفيه حرية التعليم والبحث الضرورية لكل تقدم ونجاح

واستفتت مجلة نايتشر طائفة من كبار رجال العلم والتعليم والدين في هذا الموضوع فقال الاستاذ مكبريد في ما قاله — وهو استاذ علم الحيوان في كلية العلم والفن الامبراطورية بسوث كنسنجتن — ان الطريقة الوحيدة الفعالة لمقاومة الرأي الميكانيكي المادي هي ان ننتقده نقداً مقنعاً مبنيًا على المبادىء الكمالية. وهذه هي الطريقة التي اتبعت في انكلترا ومن أكبر انصارها هكسلي ... وقد ارتقى هذا النقد بعد هكسلي ارتقاءً عظيماً فنجم عن ذلك ان جميع الناس في بلاد الانكليز ومنهم قساوسة الكنيسة سلموا بصحة مذهب التطور من غير ان يقبلوا الرأي الميكانيكي في الحياة والكون. وقال الدكتور باوتر رئيس أساقفة برمنغهام: «اني لا أرى بنفسي كرجل يحامي الحرية الفكرية عن أن أرى جماعة المجاوسكسونية تحاول ان تمنع نشر المعارف بالتشريع». وبعد ما بحث الموضوع من ناحية صلته بأقوال الانجيل قال: «ان المعاقبة الوحيدة التي لا بدَّ ان تنشأ عن متاومتي العلم باسم الدين، هي اغراء الوف من طلبة المدارس الاحداث بالتخلي عن المسيحية حاسبين خطأً انها مرتبطة كل الارتباط بهذا العبث». وقال الاستاذ ارنست باركر مدير كلية الملك بلندن: «ان روح الحرية الذي أوحد المجالس النيابية وهو روح حياتها يجب أن يمنعها عن القضاء على روح الحرية الذي نفخ في معاهد التعليم وصار روح حياتها كذلك»[1]

وليس غرضي أن أعرض لموضوع المقابلة بين أنصار التطور وخصومه — وليس على ما أعلم له خصوم بين العلماء الذين يعتد برأيهم — ولكن الغرض ان أبيّن انه على الرغم

(١) راجع المقتطف وفبراير ونوفمبر ١٩٢٥ صفحة ٣٠٥ — ٣٧٠ و ٥٠٩ — ٥١١

من النصّ في بيان الحقوق الأميركي على حرية الفكر ، كان لا بدّ لأنصار هذه الحرية من ان يخوضوا في سبيل تثبيتها وضمانها معارك حامية

والسبب واضح لا يعتوره الغموض ولا ريب . فالغرض من التعليم تنبيه القوى العقلية وتدريبها ، وليس ثمة معلم يستطيع ان ينبه عقول تلاميذه ويدربها الاّ اذا استعمل عقله حرّاً من القيود . فاذا علّم ما يؤمر بتعليمه كان هو وتلاميذه كالآلة ، هو ينقل ما قيل له أن ينقله ، وهم يقبلونه من غير بحث ولا مناقشة وكان العلم والتعليم سطحيين . ومتى قيد العلم كذلك ، فقد احترامه نفسَهُ وما له من مقام وكرامة في نفوس تلاميذه ، واذا فقد مقامهُ في نفوسهم عجز عن التأثير في عقولهم . والتعليم الصحيح يتوقف على اشتراك المعلم والتلميذ في البحث اشتراكاً حرّاً ، هو يعلم ما يمليه البحث والفكر وهم ينقادون اليه لما في تدريبه من قوة فيقودهم في سبيل البحث والتنقيب ولا يستطيع أحد أن يقود غيره اذا لم يكن كلامهُ خارجاً من أعماق نفسه

والمعلم المستبد بآرائه المتعصب لها ينشىء طلبة جامدين ، والدولة التي تجري على نظام تعليمي هذا أساسه تنشىء أمة تهمل الحرية الفكرية اللازمة للارتقاء

اننا لا نستطيع أن نملي على مجلس تشريعي مستقلّ ما يجب أن يقرّر فيه . ان الرأي العام قوة عظيمة ولكننا لا نستطيع أن نكوّن رأياً عامّاً ناضجاً من غير مناقشة ، ولا مناقشة صحيحة من غير تعليم صحيح حرّ ، وتدريب للعقول على التفكير المستقيم . فاذا حاول مجلس من المجالس التشريعية أن يقضي على حرية التعليم قضى على نفسه لأنهُ قائم على حرية القول . واذا سعى الرأي العام الى طمس حرية الفكر والقول طمس صوته القوي ، لأن الرأي العام ينشأ من حرية التفكير والقول . وما من دولة ديمقراطية تقدر أن تقضي على الحرية أو تخمد حرية الفكر بغير أن تقضي على ذاتها وتخمد شعلة حياتها

ولذلك قلت ، ان العلم والديمقراطية ، من حيث لباب العلة بينهما ، قوتان متفاعلتان . الديمقراطية تكفل للعلم الجوّ الذي يترعرع فيه ويزدهر . والعلم يدرّب العقول على التفكير الحرّ المستقيم ، وهو ما لا غنى عنهُ في الدولة الديمقراطية . واذا صحّ ان صوت الشعب من صوت الله ، فيجب أن يكون صوتاً صادراً عن تفكير مستقيم ، والاّ صحّ فيه قول خصوم الديمقراطية : ان صوت الشعب صدى لصوت الشيطان ، وما يقولونها تسويغاً لكبت هذا الصوت

العلم والحرية الاقتصادية

اذا استقامت العلة الأصيلة بين العلم والديمقراطية ، انبعثت صلات أخرى بينهما ، تتفرع على هذه العلة الأصيلة . فالديمقراطية في معناها الأمثل تسعى الى تحقيق الحرية الاقتصادية

والاجتماعية علاوة على ضمان الحرية السياسية . لأنه اذا كان أفراد الشعب على جانب من الارتقاء الاقتصادي . كان أفراده أقوى تأثيراً وأقوى توجيهاً للذين يديرون شؤونهم في التفكير بمصالحهم ، وأحكم اشتراكاً في الشؤون العامة ، وأرشد رأياً فيها ، وأكثر استقلالاً في وزن الأمور . وليس ثمة ريب في ان أسداء العلم الى الحضارة سهل أسباب العيش على كثيرين من الناس ولكنه أفضى الى غير قليل من التفاوت والأثرة والتوزيع الجائر والنزعة المادية . وهذه العلل ليس في اخماد شعلة العلم بل في زيادتها تأججاً ، ولكن على العلم والسياسة الديمقراطية ان يعملا معاً . على العلم ان يرشد السياسة والحكام ، الى ما فيه توفير الاحوال التي تعز من كرامة الانسان ، وعلى السياسة ان يأخذوا من العلم ، ويضمنوا بوسائلهم وأساليبهم ان ثماره لا تصبح جزافاً ولا يساء استعمالها في حياة الشعوب . واذا كانت السياسة في أثناء الحرب خادمة الخطة الحربية ، والعلم خادمهما معاً ، فالرجاء ان تغدو السياسة بعد الحرب خادمة العلم في سبيل المصلحة العامة . اذ لا بدّ ان يكون العالم بعد الحرب جريحاً كسيحاً ، تشتد فيه الحاجة ، وتعظم الحاجة ، وهناك المجال الواسع لايدي العلم الآسية وقدرة العلم على الانشاء المعطوية في الفنون الميكانيكية والصناعية . ولا بدّ من الاعتراف بأن حاجات الحياة هي جزء من حقوق الانسان فالجوع يسخر الانسان وكذلك السيف . فالقضاء عليهما ينفخ معنىً وحياة في ذلك الحق الانساني الأصيل الذي بدأ به بيان حقوق الانسان الاميركي « حق الحياة ولشدان السعادة »

ثم ان الديمقراطية باعلائها من شأن العقل ، تعني من شأن التعاون وهو أساس السلام . والعلم الآن واقع تحت ظل غيمة قاتمة ، لأن المخترعات والاستنباطات الميكانيكية ، هي سبب هذه المآسي التي تجرّها الحرب في ذيولها . ولكن العلم نفسه لا يخدم آلة الحرب دون آلة السلام . ان العلم يعطينا يد الاحمدة ويد أخرى لمرقعات . يجهز من ناحية بالأشعة السينية ورسائل الجراحة والمخدرات الطبية ومن ناحية أخرى بالمدافع الرشاشة . والغاز الخانق والمفيات . ويكفي ما يجهزنا به العلم لاعمال السلام يفوق أضعاف أضعاف ما يجهزنا به لاعمال الحرب . فالمتفجرات تستعمل في الحرب للهدم والقتل . ولكنها تستعمل في السلم لحفر الانفاق وشق الترع وفتح المحاجر . والصلب لا يستعمل في صنع الأسنة والرماح وحسب ، بل يستعمل كذلك في صنع المحاريث وقضبان سكك الحديد والسيارات والحصادات ومئات من الادوات اللازمة في الصناعة والزراعة والتجارة

ولكن قوة الانسان سبقت حكمته . والعلاج تثقيف العقل ، وتمكينه من السيطرة على الشهوات . فالعلم يغير رغبات الانسان وشهواته بما يمهد له طريق تثقيف العقل وتحضيره للوحي العقلي . واذا لم يحكم الاتزان بينها وبين ما يمليه العقل ، أطلقت ، وتحدت من مد في

العقل سلاحاً تدمّر به الحضارة . وان أوّل ان التثقف بأساليب العلم الصحيح الحرّ، مفض بعد طول الممارسة ، الى سهيع الحكمة والرشاد

ثم ان حقائق العلم وثمار العلم ، لا تميّز بين الاجناس والعقائد والمذاهب الاجتماعية . فالكيميا تشفي المصاب بالبرداء سواءٌ أبيض كان أم أسود، وهنديًّا أم أوروبيًّا ، وشيوعيًّا أم محافظاً، وقسيس كنيسة أم حاخام كنيس أم شيخ جامع

وكما ان العلم لا يميز هذا التميز بين الناس ، فجميع الشعوب اشتركت في بناء صرحه . وكلٌّ دخل هيكله وفي يده قربانه . من المصريين الاقدمين والآشوريين والكلدانيين الى العرب والهنود الى اليونان والطليان والالمان والانكليز والفرنسيين والاميركيين وغيرهم . فالعلم في الواقع هو الجامعة العالمية الكبرى . وهو بهذا الفهم ، يجب ان يكون معواناً للدمقراطية ، في نضالها لتحقيق عالم أفضل من العالم الذي نعيش فيه

دستور العلم الدولي

وفي الختام اسمحوا لي أن اتلو عليكم « دستور العلم الدولي » كما وضعهُ « مجمع تقدم العلوم البريطاني» وأقره اعضاؤه في مؤتمرهم المنعقد في لندن في سبتمبر من سنة ١٩٤١

١ — حرية التعلم ، وفرصة التعليم ، والقدرة على الفهم ، لا غنى عنها في توسيع نطاق المعرفة ، ونحن العلماء نقول ان التضحية بها تفضي الى اهدار كرامة الحياة البشرية

٢ — الجامعات تعتمد في بقائها وتقدمها على معرفتها أنفسها وخواص الأشياء في العالم الذي يحيط بها

٣ — جميع الامم وجميع الطبقات أسندت أيادي الى المعرفة وطرق استعمال الموارد الطبيعية والى فهم تأثيرها في الارتقاء البشري

٤ — المبادىء الاساسية في العلم تعتمد على الاستقلال مقترناً بالتعاون ، وتتأثر بحاجات الانسانية السائرة الى الامام

٥ — ان رجال العلم هم أمناء كل جيل على ما يرثهُ من المعارف الطبيعية . فيتعين عليهم ان يرعوا هذا الارث وان يسيغوا اليهِ ، بالوصاية الأمينة وخدمة المثل العالية

٦ — جميع طوائف المشتغلين بالعلم لخوان في جامعة العلم العامة ، وهذه الجامعة نطاقها الارض قاطبة ، وكشف الحقيقة غرضها الاسمى

٧ — إن المضي في البحث العلمي يقتضي حرية عقلية وتبادلاً دوليًّا لا قيد لهما ، ولا يترعرع الا في حضن الحياة المتمدنة الحرة

نفط روسيا

وحاجة هتلر

في اليوم الثالث من شهر أكتوبر سنة ١٩٤١ ألقى هتلر خطبته التي أعلن فيها « ان العدوّ في الشرق خرّ صريعاً ولن تقوم له قائمة » . واستشرف المستقبل فقال ، وهو أصحّ قولاً « وانما أمامنا مشكلة واحدة هي مشكلة النقل » . ولو أضاف لفظ « النفط » الى هذه العبارة، لكمل وصف أكبر مشكلة يعانيها، لأن النقل يعتمد على النفط ، ولا بدّ للنفط أين وُجد من ان ينقل

قد تختلف الآراء في مدى الحاجة الى النفط كانت أقوى العوامل التي حملت هتلر على مهاجمة روسيا . أما وقد انقضت سنة وخمسة أشهر على بدء هذا الهجوم فليست ثمة ريب في دوائر معظم الخبراء ،في ان حاجة هتلر الى نفط القوقاس غدت عظيمة . فمثلهُ كمثل الكيميائي القديم الذي استهواه تحويل المعادن الخسيسة الى ذهب ، فأنفق كل ما يملكهُ من ذهب في ذلك الخسرهُ ولم ينجح التحويل

ان مصادر النفط الطبيعي والمصنوع ، الخاضعة لهتلر ، تخرج من عشرة ملايين طن الى اثني عشر مليون طن في السنة . وهذه الأرقام تشمل ما يستخرج من النفط الطبيعي في أوربا الخاضعة لألمانيا ، باستثناء ميكوب في شمال القوقاس الغربي وقد خرب الروس منابعها وفي أحدث الروايات أن إحدى الآبار دمّرت وأوشكت أن تتلف نظرتها العصابات الروسية) وهو ستة ملايين طن ، وأربعة ملايين طن من النفط المصنوع ، ومليون طن من الأعواض . وأوربا الهتلرية كانت تنفق قبل الحرب في أغراض السلام — من نقل وصناعة وما أشبه — عشرين مليون طن ، فقيّد هذا الاستهلاك تقييداً دقيقاً . ومع ذلك فأقل ما يجب أن يقسم لها لأغراض غير حربية بحض لا يقل عن ثمانية ملايين طن في حال ما اذا نقص عن هذا تأثرت بذلك الصناعة والزراعة تأثراً قد يوهن الآلة الحربية الألمانية

فيبقى اذن من مليون طن الى أربعة ملايين طن من النفط متاحة للأعمال الحربية في جميع ميادين . وقد كانت الحملات الخاطفة التي شنّها الألمان في مراحل الحرب الأول ، قبل

الهجوم على روسيا ، لا تستنفد كثيراً من النفط ولا سيّما لأنّ مقادير غير يسيرة أخذت من مخزون البلدان المغلوبة . ولكنّ ما يستنفدهُ القتال المستمرُّ — على تفاوت في الشدة — في روسيا ، يعبر أن يصيب الالمان مخزوناً يذكر يستولون عليه ، حتم على المانيا أن تعمد الى استنفاد بعض المخزون فيها . ومما لا ريب فيه ان مراود النفط جميعاً في القارة الأوربية لا تكفي لمعدل الاستهلاك . ويقول الخبير فردريك فيليب هلن [1] إنهُ على الرغم من تراخي القتال في روسيا في أثناء الشتاء الماضي ، فان هتلر لم يبدأ فصل القتال هذه السنة بأكثر من مخزون يتفاوت بين ثلاثة ملايين طن وخمسة ملايين وهو لا يكفي لقتال على نطاق القتال الروسي في السنة الماضية أكثر من خمسة أشهر أو ستة . اما الانتاج السائر وهو مليون طنٍ على المعدّل في الشهر ، وسبعة أعشاره يجب أن تحوّل الى الاستهلاك الاهلي في الصناعة والزراعة والنقل وما أشبه — وهو أقل مقدار تحتاج اليه — فلا يبقى متاحاً من هذا الانتاج سوى ثلاثمائة الف طن للاعمال الحربية . وقد قال هذا الكاتب — في مقالٍ نشر في المجلة المشار اليها في عدد يونيو ١٩٤٢ [2] ومن المرجّح انهُ كتب على أقرب تقدير في ابريل — ما نصهُ : « فاذا لم يسيطر هتلر على القوقاس في فترةٍ أولها أغسطس وآخرها اكتوبر ١٩٤٢ فسيعجز عن شن الحرب الهجومية على النوال الذي شهدناه خلال السنوات الثلاث الماضية ، فيفلت زمام الحرب من يديه . واذا فاز بذلك منع عن جيوش روسيا ، وكيانها الاقتصادي ، الوقود أو أكبر جانب من الوقود الذي تحتاج اليه . ومع ذلك فان الاستيلاء وحدهُ لا يكفيه ، لان الخطة التي اتبعها الروس ، في تخريب كلّ ما يضطرّون الى الجلاء عنهُ ، يقتضي منهُ أن يبدأ ثانيةً في حفر الآبار ، وانشاء معدات التقطير و « التحطيم » ومستودعات التخزين ، وتخصيص المركبات أو السفن اللازمة للنقل من المراكز الصناعية الى مبادين القتال . وتحقيق كلّ هذا يقتضي منهُ نقل المنشآت والمعدّات من فرنسا وهولندا وبلجيكا وتشيكوسلوفاكيا الى القوقاس ، أو نقل النفط الخام بالسفن البحرية والنهرية والقطرات الى مصانع التقطير الاوربية التي تكاد تكون على الأكثر واقفة عن العمل الآن . ولكن هذا يشمل مشاقّ مستمرّة في النقل ، وتعرضاً لخطر القذف الجوي . واذا حلّت جميع هذه المشكلات على الوجه الاوفى ، فلا يحتمل ان يكون النفط متاحاً لهتلر قبل سنة ١٩٤٣ وهي السنة التي ينتظر فيها ان تبلغ قوة الدول المتحدة أوجها أو تشرف عليه

---

(١) علة الاستنتاج مقال اميركي وقد كان على صلة وثيقة بصناعات النفط في ايران والعراق وروسيا ويرتبط بوزارة مصالح النفط في أوربا والشرق الاوسط وشهد افريقية زيارات عديدة (٢) واليه استندنا في هذا الفصل

النفط الروسي

بلغ مقدار المستخرج من النفط في روسيا سنة ١٩٤٠ نحو أربعة وثلاثين مليون طن وهو زهاء ١١ في المائة من المستخرج في جميع أقطار الارض. ويبلغ المستخرج من آبار القوقاس نحو ٨٥ في المائة من المجموع وعلى وجه خاص في منطقة باكو حيث يبلغ النفط الخام المستخرج أربعة وعشرين مليون طن. وهناك كذلك منطقتا منكوب وجروزني، ومقدار النفط المستخرج منهما يبلغ حوالي خمسة ملايين طن تصلح خاصة لاستخراج مواد التزييت الجيدة (مواد التشحيم أو المليّنات Lubricants)[1]. وقد كشف في سنة ١٩٣٥ منطقة نفط بين جبال الاورال والفولجا، دُعيت «باكو الثانية» وإن كان المستخرج منها لم يزد على مليوني طن في السنة عندما هجم هتلر على روسيا. وتشير الأنباء التي يصحّ الاعتماد عليها الى ان مصانع كبيرة للتقطير أنشئت هناك وتكفي لتقطير مقدار من البنزين يبلغ ١٠ الى ١٤ في المائة من انتاج البنزين كله في روسيا

غير أن تطبيق النظام الاشتراكي على المزارع الروسية، والتوسع في انشاء المصانع الحديثة، واعداد جيش روسي كبير حديث المعدّات والسلاح، فوز روسيا الى المقام الثاني بين الدول التي تستهلك النفط ومشتقاته. فقبل عشر سنوات او نحوها كانت روسيا، تصدر من نفطها اربعة ملايين طن الى ستة ملايين طن كلّ سنة فتنقص ذلك الى مليون طن او اقل قليلاً في سنة ١٩٣٨ ثم وقف الإصدار الاّ قليلاً في سنة ١٩٣٩ والنصف الاول من سنة ١٩٤٠ لأن روسيا كانت تحتاج الى نفطها

واعتماد الصناعة الروسية والزراعة الروسية والقوة الحربية الروسية على النفط ومشتقاته، يدل على الطرق التي انشأها الروس لنقل هذه المواد من مناطق القوقاس الى الشمال، في المقام الاول بين الأهداف الحربية في روسيا. ولو استطاع الالمان ان يشقّوا طريقهم الى استراخان او الى ستالينجراد، بعد دخولهم روستوف في ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٤١ لحاق الخطر بروسيا. فلم كان في وسعها حينئذٍ ان تعتمد على المخزون من الوقود وما يستخرج في باكو الثانية وغيرها من المناطق التي لا يكثر فيها استخراج النفط، ولردّ شبح الخطر أمداً قصيراً، قد لا يزيد على بضعة شهور، والتحوّلات الحرب في روسيا بعد ذلك من حرب حديثة الى حرب عصابات على طريقة السيلية في السنوات الخمس الاولى من الحرب ضدّ اليابان. ولو نجح الالمان في احتلال منطقة باكو جروزني لأصابوا فيها مقادير كبيرة من النفط تصلح لاستخراج مواد

---

(١) تستعمل في تشحيم المحركات وتلك الاجزاء التي يشتد عليها الاحتكاك وتحمي المعادن من الصدأ وتحفظ المحركات من التآكل وتقلل من الاحتكاك بين الاجزاء المتحركة كالمحامل والمسامير والمكابس والاسطوانات في الآلات الحديثة

البترول . واذا كان اخراج الالمان من روستوف في السنة الماضية ، هزيمة محدودة ، من الناحية الحربية فإنهُ كان هزيمة اكبر من ناحية البترول . فلا الالمان اصابوا ما يحتاجون اليهِ . ولا نزعوا من الروس ما يحتاجون اليهِ ، وأثبتت الغرصة روسيا ، بما مستودعاتها والتوسع في ما يستخرج من المناطق الاخرى خلال أشهر الشتاء والربيع ١٩٤١ — ١٩٤٢ . وفي هذه السنة لم يكن نصيب الالمان من النجاح الحقيقي في هذه الناحية كبيراً . فقد أخذوا آبار ميكوب وهي أقل آبار القوقاس انتاجاً . ومع ذلك لا يزالون عاجزين عن الانتفاع بقطرة واحدة منها . وما زالوا معدودين من آبار جروزني . واما باكو فبعيدة عن متناولهم الآن . نعم إنهم اقتربوا من ستالنجراد واستولوا على جزء منها . ولكن يتضح ان اقترابهم في البدء لم يؤثر في قدرة الروس على استعمال القوقاز طريقاً لنقل النفط من الجنوب . الا ، وعندما اصبح الالمان مشرفين من بعض المواقع على طريق القوقاز وراء المدينة ، كان النهر قد أشرف على التجمد ، ومنفعتهُ للروس من هذه الناحية قد نقصت . وفي خلال هذه الفعال الحربية الواسعة التي بدأوها في ٢٦ يونيو أنفق الالمان مقادير وافرة من النفط ومشتقاته بغير ان يصيبوا عوضاً يذكر عنها حتى الآن

نفط المانيا

يميل « هلن » الى الرأي بأن المانيا كانت قد اختزنت من النفط غير الاوربي ومشتقاته عند ما بدأت الحرب في سبتمبر سنة ١٩٣٩ ، ما يتفاوت بين خمسة ملايين وسبعة ملايين طن متري . وكانت المانيا قد استوردت هذا النفط خلال سنوات وزادت مقادير ما تستورده زيادة كبيرة قبل نشوب الحرب . وكانت الحاجة الأساسية في المانيا الى النفط تكفي مما يستخرج من النفط الخام في بلادها ، ومما يصنع بالتركيب الكيميائي ، ومن بعض ما يستورد . أما المستخرج من النفط الخام في قارة اوربا ما عدا روسيا فيبلغ — مع شيء من التحفظ — ستة ملايين طن كل سنة ، منها أربعة ملايين تستخرج من آبار رومانيا و٦٠٠ الف طن من آبار في المانيا و ٥٠٠ الف طن من آبار في بولونيا و٣٠٠ الف طن من آبار في المانيا و ٢٠٠ الف طن من آبار في هنغاريا و٤٠٠ الف طن من آبار في النمسا واستونيا والالزاس وتشيكوسلوفاكيا

ويبلغ المصنوع من النفط الصناعي مليوناً ونصف مليون من الأطنان في سنة ١٩٣٨ وكانت المصانع التي تصنع هذا المقدار تتفاوت من خمسة وعشرين الى خمسة وثلاثين وهي متفرقة . وكانت هذه المصانع قبل الحرب قد أنشئت على الأكثر في منطقة الفحم الالمانية في الغرب ومنطقة الفحم التي في اللجنيت في المانيا الوسطى . أما بعد نشوب الحرب فقد

أنشئت مصانع لهذا الغرض في الولايات الشرقية وعلى ساحل بحر بلطيق وفي تشيكوسلوفاكيا

وقد استحدثت ألمانيا طريقتين لصناعة النفط من الفحم ، بغير نظر الى تكلفة الاستخراج وتعرف بإحداهما بطريقة برجيوس والثانية بطريقة « فشر — تروبش » . أما الأولى فتحوّل الفحم أو اللجنيت الى نفط مركب خام ثم تستخرج منه المشتقات . أما النفط المركب المقام في الثانية فيصلح لاستخراج المشتقات منه وكذلك مواد التزييت . والاصناف جيدة بوجه عام

وقد تمكنت ألمانيا من زيادة المستوفى من النفط المركب بالاساليب الكيميائية ، من ١٠٠ الف طن في السنة (١٩٣٣) الى مليون من ونصف مليون طن في السنة (١٩٣٨) . والغالب عند خبراء النفط ان ما يصنع من النفط المركب في ألمانيا وأوربا الخاضعة لها قريب جداً من أربعة ملايين طن في السنة

فلما نشبت الحرب ، انقطع الوارد الى ألمانيا من النفط ، إلا ما كان يجيئها من رومانيا وروسيا . وكانت روسيا قبل نشوب الحرب تصدر الى ألمانيا بضع مائة الف طن من البنزين ومواد التزييت ، وكانت تنقل بالسفن من البحر الأسود خلال الدردنيل والبحر المتوسط الى الثغور الألمانية على ساحلها الشمالي . فلما نشبت الحرب رأت روسيا انها لا تستطيع أن ترسل اليها النفط بالسفن . ففي خلال الفترة التي انقضت بين نشوب الحرب وهجوم ألمانيا على روسيا ، كانت روسيا ترسل الى ألمانيا ما ترسله من النفط بالسفن في البحر الأسود الى ثغور رومانيا وبلغاريا ثم ينقل بالسفن في نهر الدانوب ، أو بسكك الحديد . وما أرسل رأساً من روسيا الى ألمانيا بسكك الحديد كان يسيراً جداً ، وكان لابدّ من تحويله عند الحدود البولونية من قطار الى قطار آخر لاختلاف عرض سكك الحديد في البلدين . ومن الجائز ان يستعمل الألمان الآن شبكة الأقنية التي أنشأها الروس لوصل البحر الأسود ببحر بلطيق

أما ما يستخرج من النفط في رومانيا فقد نقص نقصاً مطرداً حتى بلغ ستة ملايين طن في سنة ١٩٣٨) ومن هذا المقدار تصدر رومانيا أربعة ملايين طن من المشتقات وتستهلك مليونين لاستهلاكها الداخلي . وهي تستهلك هذا المقدار الكبير ، مع قلة الطرق والمركبات فيها ، لأنها تعتمد على النفط في قطراتها وصناعتها والتدفئة والاضاءة

وكانت رومانيا — الى عهد انهيار فرنسا — ترسل نفطها حراً في البحر المتوسط الى موانىء أوربة الغربية . ولا يخفى ان ايطاليا كانت تتلقى منه أكثر من بضع مائة الف طن والمانيا مليوناً أو أكثر . فقد دخلت ايطاليا الحرب في ١٠ يونيو ١٩٤٠ اصبح الصادر الروماني محبوساً على المحور دون غيره . ولكن مشكلة نقله — وقد سُدَّ طريق البحر المتوسط — كانت معقدة . فالدانوب لا يتسع لنقل مقدار يزيد على مليون ونصف مليون

من الأطنان . والباقي يجب أن ينقل بسكك الحديد الى مختلف أنحاء القارة الاوربية . والنقل بسكك الحديد مرهق ارهاقاً لا يتسع المجال في هذا المقال لتفصيله

وقد أصابت المانيا في البلدان المحتلة ، مقادير من النفط منها ما يستخرج من الآبار في البلاد التي استولت عليها أو دخلت في نطاقها ، ومنها ما كان مخزوناً فيها . ففي غربي بولونيا آبار تخرج ١٥٠ الف طن في السنة (يستخرج منها من ١٥ الى ٢٠ في المائة من مواد التزييت) وفي شرقي بولونيا آبار تخرج ٣٥٠ الف طن في السنة وهذه آلت اليهم بعد الهجوم على روسيا . وفي الالزاس آبار تخرج ٧٥ الف طن في السنة . وفي هنغاريا والبانيا آبار تخرج نحو ٤٠٠ الف طن في السنة . وفي استونيا آبار تخرج نحو ١٠٠ الف طن في السنة والمجموع أكثر من مليون طن قليلاً . أما المخزون الذي أصابوه في الدنمارك وهولندا وبلجيكا وفرنسا فيبلغ مليوني طن من النفط الخام على المرجح

وقد زاد المتاح لألمانيا بعد دخول ايطاليا الحرب ، بما كان مخزوناً في ايطاليا (وهو يبلغ ٢ ½ — ٣ ملايين طن) وما يستخرج من آبار البانيا . ولكن هذه الفائدة كانت قصيرة الأمد . لأن ايطاليا تحتاج الى مقادير كبيرة من النفط ومشتقاته في صناعتها وادائها الحربية . والاسطول الايطالي وحده كان يستهلك نحو مليون طن في السنة في مناوراته ابان السلام . وقد يكون في هذه الحقيقة بعض تفسير لسكون الاسطول الايطالي خلال الحرب

مواد التزييت (التشحيم)

ان ما يستهلكه المدنيون من مواد التزييت قلما يستطاع خفضه . حيث تدور العجلات لابدّ من هذه المواد . والا جفّت السطوح المعدنية وعجزت عن الدوران أي إن سطوحها يجب ان تملّس . وارهاق الآلات الميكانيكية في اثناء الحرب ، يجعل الاقتصاد في مواد التزييت مستحيلاً . وكانت ألمانيا تستهلك من هذه المواد ٦٠٠ الف طن في السنة قبل الحرب . ومنذ ما نشبت الحرب زاد المستهلك وكان لا بدّ من الاعتماد على المخزون في سدّ النقص . لأن استخراج هذه المواد او استخراج الجيد منها في اوربا محدود . فلا النفط الطبيعي الالماني ولا النفط الروماني يصلحان لهذا . اما النفط المركب بالكيمياء في ألمانيا على طريقة « فشر تروبش » فصالح لاستخراج مواد التزييت الجيدة منه . ولكن المقادير المستخرجة قليلة . ومن المجمع عليه بين خبراء النفط والصناعة ان مواد التزييت الجيدة المستخرجة من النفط الروسي والنفط الاميركي هي وحدها التي تصلح لمواجهة مطالب الصناعة الحربية والحرب . ومع ان ما يستهلك من هذه المواد لا يزيد على ٣ في المائة من المقادير المستهلكة من النفط ومشتقاته الأخرى ، فالمشكلة التي تواجهها ألمانيا من هذه

الناحية خطيرة ، اذ لا سبيل الى تعويض استهلاك تعويضاً وافياً من مصادر أوربية . ولذلك يستطيع الخبراء ان يصدقوا ان الدبابات الالمانية في بعض جبهات الميدان الروسي تخرج عن المشي ، لتجمد مواد التزييت فيها . وقد يكون في هذا اشارة الى ما بدأت تعانيه المانيا من ناحية مواد التزييت الجيدة

ساحة هتلر

في معارك بولونيا والنرويج وفرنسا والبلقان لم تبدُ حاجة هتلر الى الأخذ من مخزون النفط عنده . فالمعارك نفسها كانت قصيرة الأمد حاسمة والفترات بينها كانت طويلة كافية لتعويض ما يستهلك فيها من هذه المواد ، علاوة على ما أُخذ من مخزون في البلاد المفتوحة . والواقع ان ما أُخذ من مخزون هذه البلاد ، زاد المخزون في المانيا . أما المعارك في أفريقية والهجوم الجوي على بريطانيا ، فلم يستنفد كثيراً من النفط ومشتقاته . ولكن حاجة هتلر الى النفط بدأت عند ما بدأ الهجوم على روسيا . هنا ميدان طوله ١٢٠٠ الى ١٥٠٠ ميل تدور المعارك فيه على الأرض وفي الجو . وملحقاته ثلاثة بحار هي البحر الأسود وبحر بلطيق والمحيط المتجمد الشمالي . ومنذ ما بدأت الحملة الالمانية في روسيا لم تنشر الأرقام الخاصة باستهلاك النفط . ولا يجدينا ان نعلم ما تنفقه دبابة أو طائرة او سيارة من الوقود في الساعة او اليوم ولا يجدينا ان نعلم ان الفرقة الالمانية المدرعة تشمل أربعمائة دبابة متوسطة وخفيفة و ٣٣٠٠ سيارة ، اذا لم نعلم مدى حركتها واشتراكها في القتال . والخبراء الحربيون قد اختلفت آراؤهم في ما انفقته الجيوش الالمانية من النفط ومشتقاته في معركة بولونيا التي دامت سبعة عشر يوماً . ومنهم من يجعله ٣٠٠ الف طن ومنهم من يجعله ٧٥٠ الف طن . وما استهلك في معركة فرنسا بلغ ضعفي ما استهلك في بولونيا . ويقدَّر ما استهلكه سلاح الطيران الالماني من بنزين الطيران الطيَّار المكرر ، خلال شهر من النشاط العظيم بخمسين الف طن الى مائة الف طن . فخمسمائة قاذفة تطير كل يوم اربع ساعات على المعدل وتستهلك طنّاً الى طن ونصف في كل ساعة طيران ، تستنفد في شهر من ستين الف طن الى تسعين الف طن من البنزين الجيد

ويقول « هتن » انه لا يظن انه مبالغ في تقديره ان استهلاك الالمان للنفط في روسيا بلغ مليون طن في الشهرين ٢٢ يونيو وأوائل دسمبر من السنة الماضية . ومن المحتمل في رأيه ان هذا المقدار هبط الى نحو ٦٠٠ الف طن في الشهرين بين دسمبر ١٩٤١ و ابريل ١٩٤٢

فعلى أساس هذه الحقائق التي سبق ايرادها وتقدير « هتن » للاستهلاك الشهري في الصناعة والزراعة والنقل وفي الاعمال الحربية نفسها يتضح ان ادارة الحرب الالمانية قد أشرفت على منطقة الخطر في ما يختص تموينها بالنفط ومشتقاته

بعد الحرب

كيف تعالج المشكلات العالمية

للدكتور تشارلز وطسن
رئيس الجامعة الاميركية بالقاهرة (١)

إن غرضي استيضاح بعض المشاق والمشكلات ، التي ينبغي على الظافرين والمقهورين ، مواجهتها عند ما تنتهي الحرب ، والاشارة الى ما يجب تدبيره لمعالجتها . والبحث قائم على فرضين اولهما ان الدول المتحدة ستحرز نظراً كاملاً حاسماً . والثاني ان هذه الدول ستمضي بعد الظفر ، في طريق التعاون الوثيق في مواجهة مشكلات السلام ومعالجتها ، كما واجهت منذ نشبت الحرب صفاً واحداً . وهذا فرض كبير مع ان احتمال التعاون بعد هذه الحرب اعظم من التعاون الذي حقق بعد الحرب العالمية الاولى . وليس يغرب عن بالي ان رئيس الولايات المتحدة ورئيس الوزارة البريطانية ارتبطا بالمادة الثامنة من « دستور المحيط الاطلسي » ولكن قراراً من السلطة التنفيذية في الولايات المتحدة ، لا يعدل قانوناً يقرّه الكونغرس . وبرغم الانقلاب في الرأي العام الاميركي لا يصحّ ان يقال ان « پرل هاربر » أقامت شاهداً دائماً على قبر العزلة الاميركية . ومع ان وكيل الرآسة الاميركية « ولاس » وغيره من قادة الرأي يدعون الى التعاون الوثيق بعد الحرب ، ويحثّ المشكلات التي تحتمل مواجهتها تأهباً لمعالجتها ، ويعربون عن ضرورة نهوض الولايات المتحدة بنصيبها في الانشاء والاصلاح ، يحسن بنا أن نذكر من قبيل الحيطة ، ان هذا التعاون يجب ان يبقى فرضاً الآن . فالمحافظة على القوّات الحربية اللازمة لحفظ السلام والامن ، واتفاق الفئات الفائقة على الافادة والتعمير ، والاهتمام بشؤون نقدان مائية — بعد زوال الخطر العام — والتسليم بخفض حواجز الجمارك وفتح الاسواق وتوزيع المواد الخام على أساس عادل ، واكتفاء العمال بخفض مستوى عيشهم في سبيل عون بلدان الأغراب عنهم — أوقد أشار رئيس اساقفة كنتربري الى ذلك بقوله « ان طوائف كبيرة من شعبنا وبعض طبقات العمال عليها ان ترضى بخفض مستوى المعيشة لكي يتاح توزيع خيرات الارض بين الامم وبين الناس في كل أمة توزيعاً أقرب الى المساواة » — جميع هذه المسائل هي قواعد التعاون بعد الحرب معرضة في قائمة عمي

(١) ملخص محاضرة الدكتور وطسن في موضوع يشغل تفكير هذا العهد

المشكلات والمهام

على أساس هذين الفرضين ، يجدر بنا أن نلقي الآن نظرة عامة فاحصة على المهامّ التي يتعين علينا أن نواجهها حالاً بعد ما تضع الحربُ أوزارها

١ — ﴿ نزع السلاح وتسريح الجيوش ﴾ من الواضح أن الحربَ لا تَعُدُّ منتهيةً انتهاءً يطمأنّ اليه ، الاّ بعد القضاء على معدات العدو الحربية أو مصادرتها . وهذا أصدق ما يكون على هذه الحرب لأنها حرب آلات ومعدات . ونزع السلاح مهمة لا بدَّ من وقوعها على كاهل الجيوش الظافرة والهيئات المشرفة عليها . ولا بدَّ من انجاز هذه المهمة على أوفى وجه ، لئلاّ يقع السلاح في أيدي جماعات من الثوار ، فتسدده الى من كان مستبدًّا بها يسومها الحرمان والعذاب . وتسريح الجيوش يتبع نزع السلاح ولا بدَّ من ان يصبح مشكلة تقتضي الحلَّ السريع ، بعيد ما تنتهي الحرب . ومن المرجّح ان التسريح يجب ان يكون منظّماً متدرجاً لكي لا يغدو ألوف من الجنود خطراً على الأراضي التي يكونون فيها او يجوزونها

٢ — ﴿ التعطّل عن العمل ﴾ إن مشكلة التعطّل عن العمل التي يحتمل نشوؤها عند قدم الصلح تكاد تروع التأمل . تصوَّر الانصراف الكليَّ الى الانتاج الحربي الآن في الدول المحاربة ، ثم تصوَّر وقوف الوف وعشرات الألوف من المعامل عن العمل ، فتطلق ملايين من عمالها في الشوارع ، جيشاً لا عمل له ولا مرتزق ، وقد يواجه الفاقة او الموت جوعاً . ومهما تكن الحكومات نافذة البصر ، في إعداد الخطط لتحويل صناعات الحرب الى صناعات السلام ، فلا مفرَّ من انقضاء أسابيع وأشهر ، قبل ان يتمّ التحويل . ويضاف الى هذا ما يحيط بمسائل الأسواق والمال اللازم لتجديد الآلات ، من غموض واضطراب . وفي بلدان كثيرة ، تتعقد المشكلة بوجود نساء تعوَّدن الانتاج وانكببن في أثناء الحرب ، فهل يجب عليهن أن يعدن الى البيوت وهل يرتضين هذا ؟ وقد أخذت ألوف الملايين من الجنيهات على الحرب ، ولا مفرَّ من انفاق ملايين أخرى ، في بلدان أوربا ، للتعمير وانشاء صناعات السلام قبل أن تستطيع هذه الصناعات أن تشارك في حلّ مشكلة التعطّل عن العمل أو تخفيف وطأتها

٣ — ﴿ محاكمة جناة الحرب والضبط في الانتقام ﴾ قد يكون من وراء الطاقة البشرية أن تنتظر من المستبدّ بهم ، الامتناع عن أعمال الانتقام من رجال اشتركوا خلال الحرب ، اشتراكاً مباشراً أو غير مباشر ، في الفظائع وقتل الناس قتلاً بالجملة واعدام الرهائن . وقد وجّه أسقف كنتربري النظر الى وجوب تدبير ما يلزم لمنع أعمال الانتقام الفردية هذه ، وذلك على أثر زيارة له الى السويد . قال « ماذا يحدث متى وصلت الأنباء الى النرويج وهولندا وبلجيكا ويوغوسلافيا وبولونيا ، بأن هتلر ورجال عصبته قد سقطوا ؟ يكاد يكون

محققاً قيام ثورات عن ثلاث طبقات من الأعداء — الجيش الالماني والجستابو والجماعة المعروفة بوصف كويزلنج — اذا ما قضي على زمام الحكم أيدي عملاء السلطان الواقع . ولا بدّ من القول بأن عزم الدول المتحدة على محاكمة المسؤولين عن الفظائع معنى أصح ذلك مناحاً لها، خطة لا بدّ من اذاعتها أوسع اذاعة ممكنة لسببين . أولهما : انها قد تحمل الناري على ضبط النفس اذا وثقوا بأننا سنبحث عنهم لمعاقبتهم ولاسيما اذا كانت عقوبة الاعدام بين العقوبات المقترحة . ومما يبعث على الارتياح أن لعالم في بعض الوثائق الرسمية ان هذه المحاكمات ستقام وان سجلات يصح الاعتماد عليها تعدّ الآن وكذلك الأدلة الوافية على كل تهمة . وثانيهما : انها قد تساعد على الحدّ من أعمال الانتقام الفردية، اذا علم الناس ان هناك محاكمات قانونية تتولاها هيئات قضائية منظمة

٤ — ﴿ التدبير ضدّ الجوع والمرض ﴾ اليكم عبارة وردت في تقرير لجنة أنشأها وقف كرنجي

« ان الدلائل تدل على ان المرض في هذه الحرب كما في الحروب السابقة سيكون أفتك بالناس من الاسلحة التي اخترعها الانسان . فالمدافع ستصمت عند ما يصدر الامر بوقف القتال، ولكن لهب المرض تصير ملتهبا الضحايا ما دامت الاحوال المضطربة قائمة والضحايا هناك . وهناك أربعة أحوال تصحب الحرب عامة وتساعد على نشر الاوبئة . وهي أولا — سوء التغذية والجوع . وثانيا — ترحيل طوائف كبيرة من الناس من مكان الى مكان . وثالثا — قلة وسائل العلاج من مستشفيات وأطباء وموادّ صحية وعقاقير . ورابعا — اضطراب الحياة الاجتماعية المنظمة »

ثم جاء في التقرير ما يلي : —

« ان قلة الطعام التي بدأت تشعر بها أوربا الآن ستتفاقم شهراً بعد شهر . والجوع من المألوف في البلدان المحتلة . ولا ريب في انه سيفضي الى أمراض سوء التغذية وفقد القدرة للمواد الغذائية . وشيئاً فشيئاً تنهار صرح الحياة الاجتماعية المنظمة عند الموت جوعاً أمراً لا مفرّ منه . في أخطر المشكلات التي لا بدّ من مواجهتها بعد الحرب : تحرير أوربا ... ورد غيرها من الحالات يلزم له من مورد للطعام »

ويذهب كتّاب التقرير الى ان الاعتماد في علاج هذه المشكلة، على الصليب الأحمر وغيره من الهيئات التطوعية لا يكفي . لأن ما تقتضيه الحال من هذا القبيل لا يفي به إلاّ مبالغ ضخمة من المال كالمبالغ التي أنفقها في أثناء الحرب ؛ ولا بدّ من هيئة تعيّنها الدول المتحدة كالهيئات التي تشرف الآن على توزيع الحرب، للتمول على وجه وافٍ توزيع العقاقير والقمح والطعام والفيتامين والدهن وغيرها . ومن ستة أشهر أذاعت هيئة مسؤولة في لندن ان عدد الوفيات في أثينا بلغ ثمانية أضعاف المعدّل السنوي ؛ وان نصف سكان المدينة يكادون في مطاعم عامة طعاماً لا يحتوي إلاّ على خمس أقل غذاء لازم للصحة . وان نقص المواد الغذائية

(١) Inter-Allied Information Council

في بلجيكا يبلغ ٦٠ في المائة للصراصير والكبار و٥٠ في المائة للحوامل ، وان الهررة تباع في الخفاء الى البورصة السوداء ، كل هرة بمائة فرنك أو أكثر

٥ — ﴿ اعادة الشعوب المرحّلة الى مواطنها ﴾ قد تتعذر الاحاطة ببقية نطاق هذه المعضلة وتشعبها . وحسبي هنا أن أشير الى أشهر المناطق التي رحّلت عنها ملايين من الناس وقد تجب اعادتهم اليها . فالاضطراب الناشيء عن هذه الحالة في الصين لا يكاد يحصره بحث . فنحن نعلم ان نحو ثلاثين مليوناً من الصينيين هجروا مواطنهم فراراً من الغزو الياباني ، ومنهم من بلغ في هجرته مسافات بعيدة ، فتتعذر عودته . وفي أثناء الحرب الأهلية الاسبانية هجر اسبانيا نحو خمسمائة الف من سكانها الى فرنسا ، وقد هجر المانيا نفسها نحو ٤٠٠ الف من أبنائها فراراً من الظلم النازي ، وفي صيف ١٩٤٠ بلغ عدد المهاجرين الفرنسيين من المنطقة الفرنسية المحتلّة الى المنطقة غير المحتلّة من خمسة ملايين الى اثني عشر مليوناً ، وقد أعيد كثيرٌ منهم . ولا يزال كثيرون مقيمين . وقد طرد ثمانون الف فرنسي من ولاية الالزاس واللورين

وفي المانيا الآن بضعة ملايين من العمال الأجانب جيء بهم قسراً أو اغراءً من البلدان المحتلّة والتابعة . وما حدث في الأراضي الروسية المحتلّة من هذا القبيل تستحيل معرفتهُ الآن وقد تستحيل على الاطلاق . والمشكلة معقدة بقدر ما هي واسعة النطاق . ان كثيرين قد لا يرغبون في العودة ، وان حكومات كثيرة قد لا تقبل عودة فريق من أبنائها اليها لأنهُ كان في البلاد أقلية مشاكسة أو لسبب ما غير هذا . ولكن الحكمة تقضي بالشروع في دراسة هذا الموضوع من جميع نواحيه الآن ، واقرار قواعد عامة لتطبيقها حالاً بعد وقف القتال

٦ — ﴿ السيطرة على المواصلات البرية والبحرية والجوية ﴾ كنا نعلم الآن شيئاً عن السيطرة الحربية على أسباب المواصلات جميعاً وحبس القتاح من المكان في السفن والطائرات على النقل الحربي أولاً . وليس ثمة ريب في أن ما يغرق من السفن الآن سيقل بعد نهاية الحرب ولكن لا يحتمل ان ينشأ عن ذلك زيادةٌ في السفن والطائرات الناجة للنقل الأهلي والتجاري لأن نقل الجيوش المسرحة من مناطق القتال الى مواطنها لا بدَّ أن يشغل جانباً كبيراً منها ، ونقل مقادير كبيرة من المأكل والملبس والأدوية الى المناطق المحتاجة جانباً آخر . فلا بد اذاً من استمرار السيطرة الحربية على أسباب المواصلات والنقل فترة ما مع تحويلها الى أغراض السلم

٧ — ﴿ تثبيت النقد ﴾ هنا مشكلة لا شك فيما لها من شأن وصلة بخير ملايين وملايين من الناس وهي في حاجة الى دراسة دقيقة وتأهب حكيم ووضع القواعد خلال الحرب لخلها فيستطاع تطبيقها عند ما تنتهي أبواق السلام . فنحن نعلم ان قيمة المارك الالماني وجميع انواع النقد التي تتصل به وتعتمد عليه إنما هي قيمة وهمية لأنهم ان المانيا وفرنسا تمثلان ثروة

مادية كبيرة ولكن العقار فيها له قيمة وليس لفقده مثل . فلقد ورث ولا بد ان تهبط قيمته حتى تتلاشى ، وويل للارملة أو للشيخ الذي يجمع ثروته بالمركات أو السندات . فالحاجة الى انشاء نقد جديد في بلدان الاعداء أو البلدان المحررة من ربقة الاعداء على أساس المقايضة وبما ليته يكون نقداً دولياً على أساس عشري . ولا بدَّ من التشريع تشريعاً حازماً لكف يد المستغل ومعاقبته . وكل هذا يجب أن يكون معدًّا لاعلانه وتطبيقه حالما تنتهي الحرب

٨ — ﴿ التربية والنشر ﴾ من المهام التي يجب أن توجه اليها عناية خاصة في الايام التي تلي نهاية الحرب مهمة التربية والنشر المشروع . فلا بدَّ ان يتطلق بعد الحرب ذوي لا همَّ لها الا سم عقول الامم الظافرة أو المقهورة او المحررة من السواء . وستند الى المشرفين على توجيه شؤون العالم بعد الحرب بواعثُ كثيرة حسيسة لاصحة لها . فلا بدَّ اذن من اذاعة بيانات رسمية وخطب عامة على شعوب الارض في هذه الفترة الدقيقة . واننا لنذكر كيف تمكن الرئيس روزفلت والمستر تشرشل في أحوال معينة من تبديد رياح النقد الخاطئ وتعزيز الوحدة وتوجيه الامم المتحدة توجيهاً سديداً بخطبهما . ولا بدَّ ان تجيء بعد الحرب فترات تشتد فيها الحاجة الى اذاعة بيانات وافية ويجب أن يكون في مستطاع اقطاب العالم اذاعتها . والوقت لا يتسع الآن لتوفية هذه الناحية من البحث

٩ — ﴿ مهام أخرى ﴾ وهناك مهام اخرى كثيرة لا بدَّ من معالجتها حالما تضع الحرب أوزارها ولكنها لا تحتاج الى تفصيل الآن ويهمنا العناية بالايتان وتدبير المسائل اللازم للمشروعات التجارية وفي طليعتها وضع الاركان التي تقوم عليها الهيئة الدولية العالمية . وحسبنا ما تقدم لبيان ميادين الخدمة التي لا بدَّ أن تستأثر بالعناية حالما يعقد الصلح

فترة الانتقال

من المسلم به في جميع الدوائر الآن انه لا بدَّ من فترة انتقال تلي انتهاء القتال وتسبق عقد معاهدة دائمة تقرر فيها الحدود السياسية وقواعد تنظيم الهيئة العالمية الدائمة . واليكم فترة منتقطة من تقرير وضعته اللجنة التي عينها معهد كرنيجي للسلم الدولي لبحث تنظيم السلام :

« حالما تنتهي الحرب تواجه [illegible] الامم [illegible] مشكلتين منفصلتين ولكنهما متداخلتان ولا بد لهن من التأهب لهما قبل أن يجيء الحين . هاتان المشكلتان هما مشكلة التعمير المادي والمعنوي وترميم الى تلي الحرب ورزاياها . ومشكلة انشاء نظام دولي دائم وهي مشكلة عويصة لا بد [illegible] الكثير الراقي بعد الحرب الاخيرة ان الضرورة تقضي بعقد مئات من المؤتمرات لبحث السلاح وستتوفر للمؤتمر الجوي الدولي ترك لامم [illegible] الاعتراف بهم وجعل [illegible] ولدولي بحرها وتحديد [illegible] التي لا تحصى .

فكانت النفقة المالية فادحة والعواقب الاجتماعية والسياسية أفدح . هذه الطريقة لم تكن واقية في سنة ١٩١٩ وستكون أقل وفاء في مواجهة الحاجات الناشئة عن هذه الحرب»

وثمة عاملان كبيران يقتضيان فترة انتقال قبل انشاء هيئة عالمية دائمة وتعيين الحدود السياسية في تسوية عامة. اما العامل الأول فناحية الوقت النفسي لبحث المسائل المعقدة بحثاً مفرهاً ولخمود الشهوات القومية والعنصرية والشخصية التي تحركها الحرب . ولكن في الوقت نفسه لا يجوز التأخر في معالجة الموضوعات التي تقدم ذكرها وادماجها في تسوية ما. فاذا اهملت فكأننا أتحنا فرصة لنمو العوامل الفاسدة فتفضي الى شقاء ملايين من الناس وقيام عقبات كأداء في سبيل انشاء الهيئة العالمية بعد ذلك . فالحكمة والرغبة في النجاح تقتضيان علاج هذه المسائل حالما تنتهي الحرب

فكيف المخرج من هذا المأزق ؟ اذا كان انشاء هيئة عالمية دائمة بعد الحرب مباشرة أمراً متعذراً ، واذا كان التأخير في معالجة المشكلات السابقة الذكر باعثاً على الفوضى ، فالى أية هيئة منظمة نستطيع ان نعهد في معالجة هذه المشكلات ؟ ان الجواب الوحيد هو أن هذه المهمة الخطيرة يجب ان تقع على كاهل الهيئة الحربية العامة التي انشأتها الدول المتحدة للاشراف على الحرب . ولا نقصد بها الهيئة الحربية كما هي الآن اذ لا بد من التسليم بانه ليس لنا الآن هيئة حربية موحدة توحيداً تاماً ولكن الدول المتحدة سائرة الى هذا الهدف وقد تقدم انشاء هذه الهيئة فيما يخص الولايات المتحدة وجامعة الامم البريطانية تقدماً كبيراً وحول هذه النواة أنشئت صلات وثيقة بالصين وروسيا تدل على وحدة العمل وروح التعاون وفقاً لمقتضى الحال . وللدول الصغيرة والبلدان المحتلة نصيب في هذا التنظيم . هذه الوحدة لا تتجلى في اتفاق المبادىء والآراء وحسب ، بل هناك لجان ومجالس تتولى توحيد العمل الحربي من جميع وجوهه ، ومنها ما لا نعرف اسمه ولا شيئاً عن اعماله . ولكن مظاهر نشاطه بادية لا يخطئها النظر ، في توزيع المهام الخاصة بالانتاج الحربي ، وتثبيت الصلة النقدية بين الدولار والجنيه وغيرهما من انواع النقد، وفي السيطرة على أسباب النقل وتوجيه القتال في شتى الميادين وفقاً لخطة عامة مشتركة . وسيستطرد تعزيز هذه الوحدة بحسب سير القتال

والباعث على القاء مهمة فترة الانتقال على كاهل الهيئة الحربية للدول المتحدة هو انها خير أداة معروفة تستطيع النهوض بالاعمال التي تقدم ذكرها . تصور الحالة في طائفة من الامم كأمم البلقان او الامة الهولندية أو الامة النروجية. فقد تنقضي أشهر أو سنوات قبلما تعود الحياة النيابية في هذه البلدان الى حالتها السوية ، وقد مضى فريق غير يسير من أقطاب هذه الامم الى لقاء ربهم خلال الحرب ومنهم من نجا ولكنه لا يمثل الآن الرأي الغالب على تفكير أمته. والحياة النيابية من جميع وجوهها لا يستطاع استئنافها الا استئنافاً بطيئاً. وهذا مثل واحد

ولست أجهل أن نقداً لاذعاً سيوجه الى هذا المقترح وان الناقد سيزعم انه بتطبيقه ينزل عن مثلنا الديمقراطية ويعمد الى اسلوب التحكم النازي ، وانما نقيم على انقاض النظام الذي كان هذا هدمه . وفي الوسع ان نرد هذا الاعتراض من غير ناحية واحدة . في المقام الأول إن الغرض من هذا النظام ليس هو ابداء الضعن الى المحكومين وفيه تضحية من جانب الحاكمين،وهو ما لا يمكن ان يقال عن الحكم النازي . وفي المقام الثاني هذا يكون من الحكم عابر والغرض منه أن يفضي الى انشاء نظام عالمي أساسه الاختيار والتمثيل . وفي المقام الثالث ان هذه الهيئة المشرفة عليه هي في الواقع هيئة تمثل الدول المتحدة مع ان التمثيل ليس على قاعدة برلمانية . ثم ان تطبيق القواعد العامة يتفاوت بتفاوت البلدان ففي بلدان الاعداء يكون التطبيق شديداً وفي البلدان الموالية يكتفي بالاشراف حتى تثبت ان هناك من يستطيع النهوض بالتبعات العامة على أكفأ وجه . ولعل أبلغ دليل على ضرورة فترة الانتقال هو الحاجة الى الصدوف عن المسائل السياسية فتعامل الشعوب من حيث هي طوائف من الرجال والنساء والاطفال بغير نظر الى جنسية أو عنصر ويكون المقام الاول في معاملتها لها تحتاج اليه من قوت ولباس وعلاج وعمل ونقد ثابت على أساس من الانصاف والعدل وفي جو من الامن والسلام . وكذلك تتعلم أوربا ان حاجة الناس انما هي الى هذه الاشياء أولاً وانه اذا كانت الحاجة اليها قائمة فالمسائل السياسية والحدود الجغرافية تأتي في المقام الثاني أو لا شأن لها . ولعل الناس الذين تحركهم المطامع القومية يتعلمون عن طريق الحس والمشاهدة في أثناء فترة الانتقال،أن للانسانية رابطة جامعة وان الاهتمام المبالغ فيه بالمزايا القومية والعنصرية يجب أن يعنو لما تتيحه الحياة الدولية المشتركة والتعاون التام من مزايا عظيمة

أما ما يجب ان يكون أمد هذه الفترة فرتبط بأمرين في المقام الأول ، أحدهما مدى علاج الامراض الحادة ، الاجتماعية والاقتصادية التي يعانيها العالم بعد الحرب . وثانيهما مدى النجاح في انشاء هيئة عالمية دائمة تكون كفوءة للنهوض بالتبعات والمهام التي لم تنجز في فترة الانتقال . ويجب ان يلاحظ ان مدى فترة الانتقال وعمل الهيئة التنفيذية المشرفة على معالجة مسائلها الكثيرة ، لا ينتهيان عند حدّ قاطع ، بل الرأي ان المدى والعمل يمتدان رويداً رويداً في نظام الهيئة العالمية وفقاً لاستكمال انشائها واطراد تقدمها في النهوض بالمهام الملقاة على كاهلها . ويجب ان نذكر كذلك ان عشر سنوات تقريباً انقضت بعد الحرب العالمية الاولى قبل ان تنظمت انحاؤها عضواً في عصبة الامم . ولذلك يختلف القول في أمد هذه الفترة من خمس سنوات الى عشر سنوات (١)

(١) وقد لخص الدكتور وضين في ختام محاضرته موقف الهيئة العالمية المقترحة ومستقبلها

وقفة وداع[1]

لعدنان مردم بك

أي سرّ هتك الدمـــع لنا يوم الوداع
أيقظ الكاشح ما أبـــديت من فرط انتباع
حين للذكرى على العيـــنين فيض من شعاع
ولغرب العين من نا ر الأسى سبق اندفاع

* * *

عصف الوجد فريع الـــقلب من هول انصداع
فلفحّـات النوى في الـــصدر عضات السباع
يتلوى جامح الأهـــواء غيظاً كالافاعي
ولهُ وثب اندفاع ولهُ قبض ارتجاع
ونجيٌّ الهم من أشـــجانه شلو صراع

* * *

مُدّت الأيدي الى الاعـــناق من فرط ارتياع
والتقى ثغر بثغر وذراع بذراع
وهوى الرأس على السا عد من عبء اضطلاع
حين للاشواق في الاكـــباد نيران اندلاع

* * *

يوم راحت نصف البيـــن وتبكي من هلاع
فالتقى الثغران منا واعتنقنا لزماع
كلما قبلتها أو رى الأسى ناو التباعي
حين للأشواق في الاكـــباد نيران اندلاع
أي سرّ هتك الدمـــع لنا يوم الوداع

دمشق

---

(١) وداع عزيز لدى الوفادة الاخيرة

معضلة التغذية

في مصر

الدكتور حسن كمال
مساعد مفتش صحة القاهرة

« فابعثوا أحدكم بورقكم هذه الى المدينة
فلينظر أيها أذكى طعاماً فيأتكم برزق منه »
(قرآن كريم)

سوء التغذية في مصر

﴿ مقدمة ﴾ : هناك طائفتان يتكوّن منهما السواد الأعظم من سكان القطر المصري . هما الفلاح والعامل . أما الفلاح فمخلوق تعس سيء التغذية فقير كثير الأمراض . وهو في الوجه البحري ومصر الوسطى يقتات خبز الذرة الشامية . وفي الصعيد خبز الذرة الرفيعة المزوجة بالحلبة . ويفضل الفلاح هذا الخبز على خبز القمح لأن مدة مكثه في المعدة أطول فيؤخر ألم الجوع . أما أدمه فأغلبه الخالي من البصل والفلفل والخيار والفلفل والليمون وأحياناً السمسم والخبيص السلق والكوسة والباذنجان اذا ما كبر حجمها ورخص ثمنها . ويطبخ غذاءه مع البصل دون اللحم ، بالزيت مرة أو مرتين في الاسبوع . ويفضل فلاحو الصعيد ملعي العدس . ولا يأكل الفلاح اللحم الا في المواسم والاعياد . واذا أشرفت احدى مواشيه على النفوق ذبحها وباع لحمها رخيصاً . ولحالته الثانية علاقة باستهلاك اللحوم. ويأكل الفلاح البساريه وهو سمك صغير رخيص . أما البيض فيستعمله للمقايضة لا للطعام. ولا يأكل من الفاكهة الا رخيصها كالخرش والعجور والخيز والبلح

وأما العامل في المدن فعناصر طعامه في الصباح هي الخبز والفول أو العدس المدمس أو العسل أو الفطيرة ، وعناصر طعام الظهر هي الخبز والطعمية أو السلطة أو الفجل أو الكرنب أو الباذنجان المقلو وما شاكل ذلك . وقد يأكل العامل اللحم مرة في الاسبوع لكنه لا يشرب اللبن الا في الندر أما الفواكه فيأكلها أحياناً . فهو من هذه الوجهة أحسن حالاً من الفلاح

وإن نظرة واحدة الى هذا الغذاء كافية لأن تظهر سوء حالة الفلاح والعامل من ناحية الغذاء وكثرة امراضها الناجمة عنها. لكن الامر لا ينتهي عند هذا الحد. فالزراعة في القطر المصري مهنة خطرة لها أمراضها كالبلهارسيا والانكلستوما كما ان هناك امراضاً أخرى كالديدان المعوية تنتقل عن طريق الغذاء الوضيع السالف الذكر. والى القارىء بياناً عن تفشي هذه الامراض

فعدد المصابين بالبلهارسيا ١٢٫٠٠٠٫٠٠٠ أي ٧٥ ٪ من السكان
وعدد المصابين بالانكلستوما ٨٫٠٠٠٫٠٠٠ أي ٥٠ ٪ من السكان
وعدد المصابين بالديدان المعوية ٨٫٠٠٠٫٠٠٠ أي ٥٠ ٪ من السكان

قال الدكتور علي بك حسن في محاضراته بمؤتمر الاتحاد المالكي للجمعيات الطبية سنة ١٩٣٩ [١] ان الحكومات الأوربية وسواها لم تكن مدفوعة بعوامل انسانية محضة عند ما نهضت في دراسة مسائل التغذية في بلادها بل كانت مسوقة بعاملين أولهما: ارتباط حالة العامل الصحية بغذائه وانهُ كلما كان العامل صحيحاً كلما كان انتاجه كثيراً ومتقناً. وثانيهما: متصل بمقام الأمة الحربي لأن كثيراً من البلاد الاوربية اكتشف في أحرج الاوقات ان نسبة الرجال الصالحين للخدمة لا تكفي لتأليف الجيش المطلوب. وان كثيرين ينسبون هزيمة المانيا وانما في الحرب العظمى الى نقص المواد الغذائية نتيجة الحصار البحري الشديد الذي فرضه عليها الحلفاء. والقسم الصحي في عصبة الامم قد ساهم في هذا الموضوع من سنة ١٩٢٥ وظهر اول تقرير له سنة ١٩٣٥ للدكتورين (بيرنف) و (ايكروريد)

وقد قررت الهجة الصحية أثر ذلك تأليف قومسيون فني ولجنة مختلطة لدراسة مسائل التغذية. وفي عام ١٩٣٦ أصدرت اللجنة المختلطة تقريراً أولياً عن علاقة التغذية بالصحة والزراعة والسياسة والاقتصاد. وفي عام ١٩٣٨ ندبت وزارة الصحة الدكتور علي بك حسن لتمثيل اللجنة الأهلية المصرية للتغذية في عصبة الأمم

والكساح ونين العظام والبلاجرا والأنيميا الخبيثة من أخطر أمراض سوء التغذية في القطر المصري. وتسبب البلاجرا ٩ ٪ من إصابات النازلين في مستشفيات الأمراض العقلية. وقد تكلم معالي وزير الصحة الدكتور عبد الواحد بك الوكيل عن علاقة التغذية بالصحة العامة [٢] بإيضاح جاء ضمنه ان ٧٠ ٪ من تلاميذ المدارس الابتدائية مصابون اصابة واضحة بسوء

(١) المجلة الطبية المصرية عدد اكتوبر سنة ١٩٣٩ ص ٨٤٠ — ٨٨١
(٢) المجلة الطبية المصرية اكتوبر سنة ١٩٣٩ ص ٨١٣ الخ

التغذية (ص ٨١٥) . وان ١٧ ٪ من المقترعين يرفضون لقصرهم . وان ٩٠ ٪ من طلاب الجامعة غير لائقين عسكريًا لقصرهم . وان أغلب النساء الفقيرات لا يعلمن أطفالهن قبل السنة الثانية من العمر لأنهن لا يجدن في حالتهن من الفقر غذاء صالحاً غير الرضاعة لأولئك الاطفال . وان ٤٥ ٪ من الأطفال دون السنة الثانية من العمر مصابون كثيراً أو قليلاً بالكساح . وان مرض العوز الناشيء عن قلة البود في الغذاء متوطن في بعض قرى القطر (ص ٨١٦) وان جفاف القرنية والعشو منتشران انتشاراً غير قليل . وان هناك ٢٠٠ ٠٠٠ الى ٣٠٠ ٠٠٠ مصاول بالبلاد يموت منهم سنويًا ما بين ٢٠ ٠٠٠ و ٣٠ ٠٠٠ (ص ٨١٧) . وان الطعام الذي يعطي الرجل البالغ نحو ٣ ٢٠٠ سعراً حراريًا في اليوم ويشمل كذلك ما يحتاج اليه جسمه من أغذية الوقاية، يساوي في السوق (عام ١٩٣٩) ٥٢ مليماً . وان رجلاً وزوجته ومثلين (سنهما ٣ سنوات و ٥ سنوات) تتكلف تغذيتهم ٤١٣ قرشاً شهريًا . وان هناك أربعة ملايين مصري بايراد شهري أقل من جنيه واحد و ٢٫٥ مليون آخرين يعيشون بايراد شهري أقل من ٣ جنيهات و ١٫٦ مليون مصري فلاح يعيشون بايراد شهري أقل من ٦٠ قرشاً . وان ٩٣ ٪ من ملاك الاراضي لا يملكون غير ٢٠ ٪ من الاراضي (ص ٨٢٠) . وان متوسط ما يخص الفلاح الواحد من الارض انحطّ من ٠٫٨٧ فدان (عام ١٨٩٧) الى ٠٫٤١ فدان (١٩٣٧) فكأنما قد تضاعف الفقر في الاربعين السنة الاخيرة (ص ٨٢٠) وان الأغذية الواقية هي عادةً المرتفعة في الثمن (ص ٨٢١)

ويرى الدكتور ولسون أستاذ علم وظائف الاعضاء بكلية الطب سابقاً ان الغذاء المصري المحلي غير صالح للاسباب الآتية : (١) قلة المواد الزلالية فيه وعدم جودة نوعها . (٢) نقص محتويات الفيتامين (أ) و (د) . (٣) نقص مقادير المعادن الحيوية . وان سوء غذاء الشعب من نقص محتوياته الزلالية والفيتامينية يعد من أهم العوامل في ارتفاع نسبة الوفيات وانتشار أمراض الملاجرا وأمراض الصدر والقناة الهضمية والكساح وتسوس الاسنان وانخفاض أجور العمال يحول دون التغذية الصحية الكافية . فالاجر اليومي لعمال الترسانة والخبازين وعمال السجاجيد والورق الخ . هو ٠٫٦٢ مليم (١٩٣٩) ولعمال السكك الحديدية والكناسين والفعلة ٤٠—٤٥ مليماً وعمال الزراعة بين ٢٠ و ٣٠ مليماً (١)

وفي ١٧ نوفمبر سنة ١٩٤٠ أصدر معالي علي باشا ابراهيم وزير الصحة قراراً بتشكيل لجنة لبحث مرض الدرن جاء ضمن تقريرها ان البحث المصري تكشف عن النتائج الآتية : —

(١) مجلة الصحة العمومية يونيو ١٩٣٩ (ص ٤٠١ — ٤٠٥)

(١) ان نسبة التفاعل الايجابي للتيوبركلين في الوجه القبلي والبحري لا تقل عن نسبته في البلاد الاوربية . (٢) ان ارتفاع نسبة التفاعل الايجابي بين ذوي الاعمار الى ١٥ سنة يدل على ان العدوى تحدث في المنازل والمحيط العائلي غالباً . وان السل مرض الفقير لانهُ لا يمكن صاحبه من أن يحصل على الغذاء الكامل القوّي لجسمه والذي يدفع عنه العدوى . . . . . وان هناك ملايين من المصريين يعيش الواحد منهم على أجر قدره قرشان يوميًّا . . . . . (ص ٥٦٤) وان نقص الغذاء بين غير المحاربين في البلاد المحاربة أدّى الى زيادة مرض الدرن بشكل محسوس (ص ٥٦٨) [1] . وقالت اللجنة أيضاً (ص ٥٦٩) مما لا شك فيه ان غذاء الطبقات الفقيرة في مصر غير كافٍ مطلقاً لحفظ الصحة او للوقاية من الامراض . فالغذاء المصري غير صالح لقلة المواد الزلالية فيه وعدم جودة نوعه . والأغذية الشعبية تصنع عادةً من الغلال والحبوب وليس من مصدر حيواني كاللحوم واللبن والبيض . وهي فوق ذلك فقيرة في محتوياتها من الفيتامينات (أ) و(د) وهي فقيرة ايضاً في المعادن الحيوية ولا سيما مادة الجير . يضاف الى ذلك ان أكثر الفلاحين يبيعون جميع بهائمهم وطيورهم ومنتجاتها دون أن يتذوقوا ولو قليلاً منها لاضافته الى غذائهم فيحرمون أنفسهم وأولادهم المنصر الواقي الهام في الغذاء . . . وسوء التغذية منتشر ايضاً انتشاراً كبيراً بين المدارس على اختلافها . مع ان الحاجة الى التغذية في سن الثمو أكبر منها بعد اكتمال سن الرجولة . وخاصة في أطفال المدارس الذين هم في أشد الحاجة الى تنظيم الوجبات الغذائية ومراعاة النسب في عناصرها ومطابقتها لأعمارهم وكفاية الغذاء حتى ينفق والجهد الذي يبذله الطفل بالمدرسة سواء أجسمانيًّا كان في الالعاب الرياضية والنواحي المختلفة من النشاط المدرسي أم عقليًّا في الدرس والتحصيل . . . . وسوء التغذية هذا وخاصة بين طبقات الشعب العاملة من أهم عوامل انتشار الدرن . . . ورأت اللجنة في هذا الصدد (ص ٥٨٢) ما يأتي (١) خفض أثمان الاغذية (٢) الاكثار من مطاعم الشعب حول السنة وبيع اللبن فيها بثمن يسير (٣) الاكثار من انتاج الألبان وخفض ثمنها (٤) تعليم الجمهور ما يحتاج اليه جسمه من أغذية (٥) تدريس التغذية في مراحل التعليم (٦) اعطاء وجبة غذاء كاملة يوميًّا بالمدارس مع ملاحظة ان بعض الشركات الصناعية تعطي حرفًا من أجور عمالها كطعام (مثل شركة البترول الصناعية المصرية) . كما ان بعضها انشأ مطابخ محلية في مصانعه (كمصنع اسلام باشا و محمد يسين بك) يباع فيها الطعام بثمن يسير

هذا من جهة البالغين . أما من جهة الأطفال فان لسوء التغذية تأثيراً خطيراً فيهم أيضاً .

(١) راجع العدد الخاص ٩ ، ١٠ و ١١ من المجلة الصحية المصرية سنة ١٩٤١

فقد جاء في تقرير لجنة بحث وفيات الأطفال بشكوة بمراز وزاري في ١٧ / ١١ / ١٩٤٠ [1] ان الاطفال الى الخامسة من العمر يتكوّن منهم أكثر من نصف وفيات القطر عامة بحث يمكن القول إنه يجب عدّ مشكلاتهم وحدها في منزلة نصف جميع المشكلات الصحية والاجتماعية التي يجب العناية بها في هذه البلاد ولو كانت المحاولة قاصرة على هذه الوفيات وحدها فان الامر شيئاً ما تبعاً لنظرية بقاء الأفضل ولكن هذه الوفيات لا تدل على سلامة الباقين بل على تفشي الامراض بينهم . والسلالة المريضة لا يمكن ان ينتج منها غير شعب سقيم

ومن أهم أسباب ارتفاع نسبة الوفيات الفقر والجهل وخاصة جهل الأمهات . وتشمل ايضاً عوامل أخرى كزيادة المواليد في العائلات الفقيرة . وكذلك عوامل ناتجة عن الفقر كسوء المساكن وسوء التغذية واستخدام الامهات وغير ذلك (ص ٥١٧) وانه يجب بذل الجهد في تقليل أمراض الاطفال وانرضع من سوء التغذية بتفهيم العوامل الامهات كيفية الرضاعة الصحية ومقدار التغذية اللازمة للطفل والابتعاد عما يضرهم من هذه الناحية . كذلك تفهيمهن كيفية تغذية أنفسهن تغذية صحية على قدر الامكان (ص ٥١٨) . وان هناك عادة منتشرة بين بعض الامهات أسوأ من إرضاع الطفل بدون انتظام . وهي اعطاء أغذية دسمة فتزداد حالات النزلات المعوية عند الأطفال وكذلك اعطاؤهم حلوى قذرة قد تراكم عليها الذباب أو فاكهة ملوثة غير ناضجة أو لحوم لا تقوى عليها صحة الكبار الاقوياء لا الصغار (ص ٥٢٦)

قال الدكتور وندل كليلاند بالجامعة الاميركية بالقاهرة « مما يدعو الى التفكير انه على الرغم من ضعف الصحة العامة في مصر فلا يوجد بها سوى طبيب واحد لكل ٥٠٠٠ من السكان . هذا مع العلم بأن السواد الاعظم من الاطباء يشتغلون في المدن وليس في القرى إلا عدد يسير منهم . فاذا حدد نسبة الاطباء في المدن هي طبيب لكل ١١٠٠ نسمة من السكان . بينما النسبة في القرى لا تتجاوز طبيباً واحداً لكل ١٣٠٠٠ من السكان . مع ان ٩٠ ٪ من أهالي القطر المصري في حاجة الى العلاج الطبي . وقد بلغ من سوء الحالة الصحية أن التجنيد للفرقة العسكرية لا يصلح منهم للخدمة دون علاج سوى ٤ ٪ وان ١٦ ٪ منهم يصلحون للخدمة بعد المعالجة . بينما ٨٠ ٪ لا يصلحون قط » . . . ومن البديهي ان الروح المعنوية في أية جماعة وتقدمها يتوقفان الى حدٍّ كبير على صحة الأفراد . . . لكن نسبة الوفيات في مصر عالية جداً . فهي ٣٠ في الألف أي أعلى نسبة في العالم . والسواد الأعظم من الوفيات هو بين الأطفال وان نسبة الوفيات بين الأطفال تبلغ ٢٠٠ في الألف من المواليد في العام . . . لكن مسألة الوفيات ليست الا ناحية واحدة لحالة السكان العامة . فقد يعيش الانسان عمراً مديداً

(١) المجلة الطبية المصرية أعداد ٩ و ١٠ و ١١ سنة ١٩٤١ ص ٥١٥ — ٥١٨

دون ان يتذوّق طعم الصحة والعافية ويكون عاجزاً عن القيام بواجبه في المجتمع على أوفى وجه ... » (١)

طرق البحث

يجمل بنا أن نبدأ هذا الموضوع بإيراد بعض آراء الدكتور علي بك حسن (٢) وتتلخص في ما ان طرق بحث هذا الموضوع جرت عادةً بأن يبدأ أولاً بمعرفة ما يأكله الاهالي جميعاً مع بيان ما يقومون به من أعمال ، مقارنة ما يأكلونه فعلاً بما يجب ان يأكلوه من الوجهة الفسيولوجية ، لاظهار عيوب غذائهم ان وجدت . ولمعرفة ما يأكله الاهالي عدة طرق أشهرها (١) طريقة الوزن . (٢) طريقة القيد . (٣) طريقة السؤال . (٤) طريقة الاحصاء . ومتى حصلنا على البيانات استطاع بعد ذلك البحث في كفاية هذا الغذاء فسيولوجيًّا . ولا يمكننا تقرير ذلك الا بعد معرفة ما يأتي

(١) القيمة السُعرية لما استهلك من الغذاء اثناء البحث (٢) مقدار القيمة السعرية التي يحتاج اليها أفراد العائلة فرداً فرداً في مدة البحث (٣) أصناف الاطعمة الواقية التي أكلتها العائلة فعلاً وما مقاديرها وتشمل هذه المواد الزلالية والفيتامينات والاملاح (٤) الاحتياجات الفسيولوجية لكل فرد من هذه الاطعمة الواقية . أما الاجابة عن السؤال الاول فسهلة . ومن الميسور تعيين القيمة السعرية لغذاء ما في مدة وجيزة . أما باقي الأسئلة فلن نستطيع الاجابة عنها الآن . لاننا الى هذه الساعة لم نحلل أطعمتنا تحليلاً غذائيًّا . ولم نعين الغذاء الفسيولوجي لأفراد الأمة . أما الاستعانة بالمراجع الأجنبية للاجابة عن هذه الأسئلة فعادة أصبحت مكروهة في الأوساط العلمية . لأن البحث أظهر أولاً ان تركيب الأغذية يختلف اختلافاً بيناً بين مملكة وأخرى حتى في الصنف الواحد . وقد يختلف التركيب أيضاً في النبات الواحد في مناطق مختلفة داخل المملكة نفسها . وثانياً لأن هناك ما يسوّغ الظن بأن الاحتياجات الفسيولوجية قد تختلف قدراً ونوعاً بين أمة وأخرى . ويخيل إلي اننا لو قارنا نماذج الأغذية التي اتخذت منها اللجنة المختلطة أساساً فسيولوجيًّا بما يأكله بعض المصريين الأصحاء والكثيري الذرية للاحظنا فرقاً كبيراً بينها قد يسوّغ الظن بجواز جيازة بعض أطعمتنا لخواص غذائية خفية لم يكشف عنها العلم ، لأن أغذية المصريين يندر فيها اللبن وتقل فيها اللحوم »

« والحقيقة انهُ لا يكون البحث بحثاً تامًّا الا اذا عرف تركيب أطعمتنا المصرية معرفة تامة

---

(١) مقتطف مايو سنة ١٩٣٩ ص ٥٣٢ و ٥٣٣

(٢) المجلة الطبية المصرية يوليو سنة ١٩٣٩ ص ٨٤٦ — ٨٨١

تشمل مواد ها العضوية وغير العضوية والفيتامينات أيضاً ..... وان حالة الشعب كما أراها تجعل من المتعذر الا في حالات شاذة الاستعانة بطريقة الوزن او طريقة الدفاتر في أبحاثنا الغذائية . والطريقة الوحيدة التي تفعمنا في أبحاثنا هي طريقة الأسئلة (ص ٨٥٠) ..... وان المعايير الصحية الأجنبية لا تصلح لدراسة الأمراض الغذائية المستكنة في البيئة المصرية وان النتيجة التي حصل عليها الاستاذ الدكتور الوكيل ملك والدكتور الملاح بك بين التلاميذ تعزز عندي هذا الرأي . فقد أظهرت معادلة فون بركيه مثلاً ان ٧٠ ٪ من التلاميذ دون المتوسط او دون الخيار الاوربي . ومعادلة فون بركيه هذه تستعين بطول الجسم والوزن . ولكن ظهر ان نسبة بدوت فقر الدم بين هؤلاء التلاميذ لا تزيد على ١٦ ٪ وفقر الدم كما تعلمون هو من العلامات الثابتة لسوء التغذية . فأيهما نصدق اذن ؟ معادلة فون بركيه او فقر الدم ؟ أنا أميل للاعتماد على فقر الدم الى ان نعمل لانفسنا معادلة مماثلة خاصة بنا كأمة لها ميزاتها الجسمانية (ص ٨٥٤) ... « واني أشعر أننا صغير في هذا السبيل ببطء مادامت البلاد خالية من معهد خاص بمسائل التغذية (ص ٨٥٨) ...»

الزراعة والصحة

هذا من الوجهة الطبية البحتة اما الوجهة الزراعية فللموضوع خطورته ايضاً . لان هذا البحث متعدد النواحي متباين الأطراف . ولعلّ أكفأ من ساهم في هذه الناحية هو سعادة حسين بك عثمان وكيل وزارة الزراعة . وسأورد هنا بعضاً من آرائه التي تمس الموضوع وان كان بحثه من اوله الى آخره جديرٌ بكل تقدير وعناية . قال سعادته في علاقة الانتاج الزراعي بتغذية الطفل[1] ما يأتي : —

« لضمان تغذية الشعب المصري يجب ان تتوافر العوامل الآتية (١) وفرة الانتاج الزراعي (٢) تعدد انواع الحاصلات والخضر والفاكهة ووفرتها للاستغناء بها عما يرد الينا من الخارج (٣) توفير الاغذية الحيوانية . (٤) المحافظة على المحصول سواء النباتي والحيواني وحفظه من التلف في اثناء النمو والتخزين والشحن الى مكان التوزيع والاستهلاك . (٥) التوسع في الصناعات الزراعية واتقانها . (٦) ضمان توزيعه في كافة انحاء القطر بين كافة الطبقات من غير تلف وبأسعار متهاودة لا تزيد الا يسيراً عن سعر الجملة . (٧) عمل احصائيات دقيقة سنوية عن الانتاج »

وقد عالج هذه الموضوعات بما هو معهودٌ فيه . فقال عن وفرة الانتاج الزراعي انه يتوقف على عوامل أهمها : (١) توافر الارض الصالحة للزراعة . (٢) كثرة الايدي العاملة المدربة في الشؤون الزراعية . (٣) توافر الشروط اللازمة لنجاح المحصول (٤) . زراعة

(١) منتخف ابريل سنة ١٩٣٩ ص ٤٢٠

الاصناف الكثيرة الغلة . ثم استنتج (ص ٤٢١) ان بالقطر المصري ما يقرب من مليون فدان من الاراضي البور القابلة للاصلاح كافية لقيام بأود الزيادة المضطردة في السكان الى أمد بعيد. ومن أهم ما عالج به سعادته مشكلة الأيدي العاملة المدربة توجيه التعليم الالزامي والأولي توجيهاً زراعيًّا محضاً . وان تكون أغلب المدارس الابتدائية مدارس زراعية ابتدائية عامة وتخصيصية بحسب الزراعة السائدة بالمناطق المختلفة كمناطق الأرز بشمال الدلتا والقصب في الصعيد والألبان في دمياط والخضر في الاسكندرية وهكذا . وانشاء مدارس لاخراج نظار الترع وأخرى زراعية ميكانيكية وأخرى لصناعة الألبان وتربية النحل وغير ذلك »

« وقد ثبت من دراسة الاحصاءات الخاصة (ص ٤٢٣) ان القطر المصري يأتي نفسه من كافة الحاصلات علاوة على ما يصدره منها . ولكنه يستورد مقادير قليلة من القمح والحمص والترمس والفول السوداني والسمسم وذلك في الفترة بين ١٩٣٤ و ١٩٣٧ . وبلغت مساحة الاراضي المزروعة خضراً وقتئذٍ ٢٠٢ ٨٨٩ فداناً . أما زراعة الفواكه سنة ١٩٢٩ فبلغت مساحتها ٢٦٦ ٥٤ فداناً منها ١٧ ٧٣٤ فداناً موالح . فواجب على مصر التوسع في زراعة هذه الاصناف واقامة ثلاجات كبيرة لحفظ الفاكهة والخضر لسد حاجات السوق وقت الحاجة . وقال سعادته أيضاً (ص ٤٢٤) عن البلح ما يأتي : —

« اذا كان البلح من الاغذية الغنية المولدة للطاقة وبه نسبة لا بأس بها من البروتين ، وهو غني كذلك بالفيتامينات والاملاح المعدنية الثمينة كأملاح البوتاسيوم والكالسيوم والمغنسيوم والفسفور والفلور والكبريت الخ . . . وله تأثير مدفيء لما يختزنه من قدر كبير من طاقة الشمس Solar energy فانه يجب تشجيع استهلاكه بين الطبقات العاملة إذ يكفي لتغذية شخص واحد منه ١٨٠ جراماً .... ويبلغ عدد اشجار النخيل بالقطر المصري بحسب آخر احصاء ٤٠٠ر٠٨٣ر٠ سنة (١٩٣٩) وهذه المقادير لا تكفي لاستهلاك القطر ويجب ان تتضاعف حتى يتيسر للفلاح والعامل المصري أن يجعل البلح غذاءً أساسيًّا له لرخصه وجودته وهذا هو مشروع وزارة الزراعة والسياسة التي يعمل قسم البساتين على تنفيذها

« ويجب أن تكون هناك سياسة خاصة لتوفير الاغذية الحيوانية من ذبائح وألبان ومنتجاتها ودواجن وأرانب وغيرها لينوفر الفحم لعامة الشعب . ومن يجب أن تستورد مصر من الاغذية الحيوانية الكثير من الخارج كفلسطين وسوريا والعراق والبلقان والحجاز وتونس وفرنسا وغيرها مع أنها بلاد زراعية . وقد أورد عثمان بك ما تستورده مصر من الحيوانات ومنتجاتها عن سنة ١٩٣٧ بياناً شاملاً [1] أورد منه ما يأتي : —

(١) المقتطف مجلد سنة ١٩٣٩ ص ٥٩٢

أغنام	٧٠٩ر٩٠٠ رأس	ثمنها	٦١ ١٠٠ جنيه
فصيلة بقرية	٧ر٩٠٠ رأس	»	٤٧ ٥٠٠ »
جمال	٢٥٠٠٠ رأس	»	١٤٩ ٠٠٠ »
مواد دهنية حيوانية		»	٧٠٨ ٠٠٠ »
ألبان ومنتجاتها وبيض وعسل نحل		»	٢٨٨ ٠٠٠ »

وقل وكل هذه تمكن انتاجها وأكثر منها بل اضعافها في بلادنا واغراق الاسواق الاجنبية بها . وقال أيضاً والغرض من الاغذية الحيوانية اعطاء الجسم ما يحتاج اليه من البروتينات . ولكن الجسم يمكنه أن يحصل على ما يحتاج اليه منها من فول الصويه Glycine Soya الذي ينمو ببلاد الصين واليابان وقد جربت زراعته صيفياً كالذرة الشامية وهو من جهة المحصول والصنف والصفات لا يقل في مصر عنه في البلاد الأخرى (من ٥٩٣) . . . ويستخرج من هذا الفول الزيت والبروتينات والدقيق وغير ذلك . . . ومحصول هذا النبات كثير الغلة غني في البروتينات التي لها نفس القيمة الغذائية كالبروتينات الحيوانية في اللحم والبيض والجبن . وهو من الوجهة الحيوية غذاء كامل بمعنى الكلمة . ففي كيلو غرام واحد منه غذاء يعادل ما في ٥٨ بيضة او ٦ر٥ لتر لبن او ٣ر٥ ك لحم خال من العظم . وبروتين كيلو جرام واحد منه يوازي بروتين ١٥٠ بيضة وهو يحتوي على ٤١ ٪ بروتين و ٢٠ ٪ دهن و ٢٠ ٪ كربوايدرات . وهو غني في مادة اللسثين التي في صفار البيض . وهو علاوة على ذلك سهل الهضم مشبع . فاذا عمت زراعة هذا الفول وانتشاره بين الطبقات العاملة في القطر المصري فانهُ يسبب اقتصاداً عظيماً جداً في مقادير الفول واللحوم والدهن المستهلكة الآن في البلاد

ودقيق هذا الفول مفيد جداً للذين يزاولون أعمالاً بدنية مجهدة فهو لذلك أوفق غذاء للفلاح والعامل المصري . وهو علاوة على ذلك غذاء شديد القلوية (+ ٥ر٢٦) »

ومن أهم العوامل التي تؤثر في تغذية الشعب هي المحافظة على المحصول من التلف وتخزين ذلك المحصول . وقد نجحت تجارب وزارة الزراعة في تخزين البطاطس للتقاوي في الثلاجات أعظم نجاح (ص ٥٩٤) . أما وسائل الحفظ بالتعقيم بالحرارة فتفقد فيتامين (د) أو جزءاً منه . ومن أهم العوامل في تغذية الشعب ضمان توزيع المحصول في كافة انحاء القطر بين كافة الطبقات من غير تلف وباسعار متهاودة لا تزيد الا يسيراً عن سعر الجملة ومن أهم وسائل ذلك تنظيم أسواق الغلال والحبوب والخضر والفاكهة وتحسين وسائل نقلها وتعبئتها وتنظيم السلخانات وتعميمها . . . وان عمل احصاءات دقيقة سنوية عن الانتاج من أهم العوامل لضمان تغذية

الشعب اذ يمكن البلاد من معرفة حالة حصلاتها ومقاديرها وكفايتها لسد حاجاتها لتبني بذلك سياستها التي تبغي السير اليها . لذلك كان الواجب يحتم وضع سياسة عملية يمكن بواسطتها الحصول على بيانات احصائية صحيحة وافية من الحقل مباشرة عن نوع المزروعات ومساحتها ومقدار غلتها وغير ذلك من البيانات اللازمة وذلك باعطائهم « استمارات » تصرف مع ورود الاموال نيابة وهنا بمعرفتهم او بمعرفة الصراف مع تفهيمهم ان نتائج هذا الاحصاء هي في مصلحتهم الشخصية لانها تساعد على تحديد الاسعار بما يتفق والانتاج الحقيقي »

الخبز الشعبي

والآن ننتقل الى موضوع آخر من موضوعات التغذية له خطورته القصوى في مصر . فالرغيف أساس التغذية في هذا القطر . لكنه كثير التباين من حيث محتوياته ووزنه ورضوبته وغير ذلك . لذلك يجب ان يبذل جهد كبير لضمان بقاء قيمة الرغيف الغذائية عالية وافية . فإن اصلاح الرغيف ناحية هامة من نواحي اصلاح تغذية العامل في المدن . والثابت بضرورة عمل الرغيف من دقيق صافٍ ابيض اللون يجب ان لا يقف عثرة في عمل الباحث الطبية لابتكار الدقيق الذي يتفق وحالة البلاد . ومن الحرب فرصة مناسبة لاصلاح نقائص الخبز . واذا لاحظنا ان النساة الهضمية بأكملها من الاسنان الى القولون لا تنسجم مع الاغذية النقية حتى شبّ الشخص النقائص في الاغذية النقية refined عن يحفر قبره بأسنانه، واذا كان غش الالبان باضافة الماء اليها مما يسبب الاقلال من نسبة المواد الصلبة وغيرها يعاقب عليه قانوناً ، فأجدر بنا ان لا نُعِدَّ فصل المعادن والفيتامينات المفيدة من دقيق القمح عملاً يستوجب الثناء والتقدير . والصعوبة في تفهم ذلك راجعة الى أن الرأي العام يأنف كثيراً من تدخل الاطباء في فرض اشتراطات على أغذيته باسم الصحة . وهذا النكره الغريزي سوف يستغرق زمناً طويلاً لازالته . والى ان يأتي هذا اليوم يمكن استعمال الخبز الاسمر في المستشفيات والملاجئ والمجتمعات العديدة الاخرى

قال الدكتور رونس « استاذ الفسيولوجية » ان الخبز يكوّن ٨٠ ٪ من المجهد الحراري في غذاء الفلاح بينما يكوّن ٥١ ٪ من قيمة غذاء العامل بالكيلو ونحو ٣٠ ٪ من قيمة غذاء الطبقات الراقية بالكيلو . ومن الغريب ان سعر القمح المزروع بالكيلو بواقي نحو ١٠٠ قرش (١٩٣٩) للاردب وهذا أرخص كثيراً من سعره بمصر وقتئذ مع ان أجور اليد العاملة هناك تكاد تكون عشرة أضعافها هنا !!!

(١) راجع الحياة المصرية بوجه سنة ١٩٣٩ ص ٤٠٦

وقال الدكتور محمد عبده عباسي « ان هناك أمراً له شأنهُ من الوجهة الغذائية للحبوب . وذلك ان معظم ما تحتويه الحبوب من مواد زلالية وأملاح معدنية وفيتامينات يوجد في الأغلفة الخارجية للحبوب وكذا في الأجنة التي تنزع عادةً وتهمل قبل تهيئة الحبوب للاكل . مثال ذلك تبييض الارز وطحن القمح لعمل الخبز من الدقيق الابيض فقط واهمال الباقي من ردة بأنواعها والسن . فالخبز الابيض الذي يحبهُ الناس لحسن لونه أقل فائدة من الوجهة الغذائية من الخبز المصنوع من الدقيق الكامل الناتج من خلط الردة والسن وخلافه مع الدقيق بعد طحن القمح والذي يبقى فيه من المواد الزلالية والدهنية والاملاح والفيتامينات فضلاً عن ان ما بالردّة من سليولوز يساعد على تنشيط الامعاء ومنع الامساك . وهكذا الحال في باقي الحبوب . ولتدين الخبز أو تقميره فائدة كبيرة اذ تتحول بعض المواد النشوية الى دكسترينات وهي أكثر ذواباً وأسرع هضماً من النشا . ثم ان العيش المدّن أو البسكويت نظراً لصلابتهما فان الاسنان تستطيع تكسيرهما ومضغهما جيداً وبسهولة . وبذلك يمتزجان أكثر باللعاب الذي يحوي خميرة خاصة (التايلين) لهضم المواد النشوية »[1]

وفي أثناء مناقشة الخبز الأبيض والأسمر بمجلس اللوردات بجلسة ١١ / ٣ / ١٩٤٢[2] حبّذ اللورد هوردو Horder الخبز الأسمر قائلاً ما معناهُ :

ان الدقيق الاسمر الحاوي ٨٥ ٪ من حب القمح لا يحدث عسر الهضم . ولم يلاحظ عسر هضم ناشيء من الدقيق الاسمر في أثناء استعماله في الحرب العالمية الماضية مع انه كان يحوي نسبة أعلى من ٨٥ ٪ ويستعمل في جنوب افريقيا للخبز دقيق يحوي ٩٠ ٪ من القمح. وقال انهُ لا يستطيع ان يخصّ بالذكر مرضاً ما ، يفضّل فيه أكل الخبز الابيض على الاسمر حتى في حالات فرح المعدة والاثنى عشري فانه متى سمح للمريض بتناول الخبز تساوى احتمال المريض للخبزين الاسمر والابيض . بل أكثر من ذلك فان الأدلة تتجمع الآن على ان زيادة مقادير المعادن والفيتامينات التي في الخبز الاسمر المصنوع من الدقيق الشعبي National Wheatmeal تساعد كثيراً على التئام القروح . وخرج بالنتيجة الآتية :

وهي ان الرغيف الشعبي المعروف بالاسمر National Loaf قد يكون عظيم الفائدة للطبقة الفقيرة. وهذه عبارتهُ حرفيًّا أوردها هنا لعظم قيمتها

" The National Loaf would be of great benefit to those living behind the poverty line. "

---

(١) : عرض مؤتمر اتحاد الكليات الطبية — المجلة الطبية البريطانية ٢٦ سبتمبر سنة ١٩٣٩ ص ٩٢٨ و ٩٢٩

(٢) المجلة الطبية الانكليزية ٢١ - ٣ - ٤٢ ص ٤٠٠

وقد أكد اللورد وليون [illegible] وفي اجتماعه في نفس الجلسة ان الخبز المصنوع من هذا الدقيق ٨٥ ٪ سوف يكون جيد [illegible] حسن التكوين و [illegible] مستساغ الطعم. وانه سوف يكون خبزاً نقياً يختلف كثيراً عن خبز الحرب العالمية السابقة وبفوقة ذائقة[1]

وفي أيام الماضي (١٩٤١) أصدر مجلس الابحاث الطبية الانكليزي British Medical Council مذكرة عن الخبز يتنوع من ٨٥ ٪ من القمح المستعمل ببلاد الانكليز في صناعة الخبز الشعبي National Bread جاء فيها[2]:

﴿ مزايا غذائية خاصة بهذا الدقيق ﴾ انه يحوي [illegible] أكبر مقدار من الفيتامين B1 بأنواعه عما في ذلك nicotinic acid و riboflavine وفي الأخص الفيتامين B1 [illegible] انه يحوي أكبر مقدار ممكن من البروتين عما في ذلك الموجود منه في الغلاف الخارجي للحب. وهذا الأخير معروف انه أكثر تغذية من البروتين الموجود في الدقيق الأبيض [illegible] أقل مقدار من الردة الخشنة bran حتى لا يسبب عسر الهضم. واشترطت لجنة عوامل التغذية الاضافية The Accessory Food Factors Committee بجلستها في ٢٣ / ١ / ١٩٤١ — ان هذا الدقيق يجب ان لا يحوي أقل من وحدة دولية من الفيتامين B1 في كل جرام منه — وان الردة الخشنة fibres فيه لا تزيد على ٩٫٠ ٪. وأوصى مجلس الابحاث الطبية ايضاً باضافة كربونات الجير Creta Preparata B. P. الى دقيق الخبز الأبيض بنسبة ٧ أوقيات لكل شوال به ٢٨٠ رطلاً من الدقيق الأبيض. وبنسبة ١٤ اوقية لكل شوال من الدقيق الأسمر ٨٥ ٪. وذلك نتيجة لما ظهر من ان الطبقة القشرية ببلاد الانكليز ينقصها في طعامها أملاح الجير الضرورية لنمو العظام والاسنان والمحافظة على سلامتها. وبالنسبة لكثرة حالات فقر الدم هناك حسنت تجارب باضافة بعض الحديد الى الدقيق لكن اتضح انه من المحتمل ان أملاح الحديد هناك تسبب تلفاً لبعض المواد الغذائية الأخرى. فرؤي عدم السير فيها الى ان تستجلى هذه المباحث

طريق الحل

﴿ النتيجة ﴾ يتضح مما تقدم ان التغذية في مصر معضلة على جانب عظيم من خطر الشأن وهي كثيرة التشعب بعيدة التأثير في صحة الشعب وقوة انتاجه ودفعه. ولعل أفضل الطرق لمعالجة ذلك يكون بتشكيل لجنة عليا لمراقبة تغذية الشعب المصري مهمتها الاشراف على ثلاث لجان

(١) مجلة الطبية الانكليزية ٦١ ٣ ٤٢ ص ٤٠٠

(٢) مجلة The Medical [illegible] ٤١٠٦٧٧ ص ١٨٤

(هي اللجنة العلمية واللجنة الاقتصادية ولجنة الدعاية والنشر . وتذليل العقبات التي تعترض أعمال هذه اللجان علميًا وإداريًا وماليًا . أما اختصاص اللجان الثلاث فيكون على المنوال التالي :

(ا) ﴿اللجنة العلمية﴾ أعضاؤها من رجال الصحة والزراعة ويتركز عملها في معهد صحي خاص بمسائل التغذية مهمته (١) دراسة ما يحتاج اليه الشعب المصري من المواد الغذائية (٢) وضع معدل عام للاحتياجات الغذائية للفرد رجلاً كان او امرأة أو طفلاً (٣) بحث تنوع الأغذية بحسب الفصول وبحسب المناطق (٤) بحث مقدار انتشار سوء التغذية بين طبقات الشعب (٥) تشجيع الابحاث العلمية في الداخل خلاف المعهد (٦) تتبع الابحاث العلمية في الخارج

(ب) ﴿اللجنة الاقتصادية﴾ أعضاؤها من رجال الصحة والزراعة والصناعة والتجارة والعمل ومهمتها (١) خفض الاسعار للجمهور (٢) مقاومة غش الأغذية (٣) وجبات مجانية بالمدارس الالزامية والابتدائية والثانوية (٤) احصاء الانتاج الغذائي سنويًا (٥) زيادة انتاج أغذية الوقاية (٦) مخازن للتبريد لحفظ الاغذية (٧) تنمية صناعة حفظ الأطعمة (٨) تنمية الصناعات عموماً لرفع مستوى الدخل بين الفقراء والعمال (٩) وجبات مجانية للامهات والمرضعات بمراكز رعاية الطفل الخ (١٠) العناية بتغذية قوة الدفاع (١١) مساهمة مجالس المديريات والبلديات والمجالس المحلية والقروية وغيرها (١٢) وضع اشتراطات صحية للخبز الشعبي

(ج) ﴿لجنة الدعاية والنشر﴾ أعضاؤها من رجال الصحة والزراعة مهمتها (١) تعليم أصول التغذية بالمدارس جميعها (٢) مقالات بالجرائد اليومية والمجلات (٣) الاذاعة بالراديو (٤) عرض موضوعات التغذية في متاحف ثابتة ومتنقلة (٥) نشر النصيحة الصحية بواسطة الوحدات الصحية والزراعية المتنقلة (٦) محاضرات للجمهور عن التغذية (٧) خطب منبرية أيام الجمع (٨) نشرات غذائية طبية (٩) صور ورموز تظهر للجمهور أهم المواضيع الغذائية (١٠) أشرطة سينمائية (١١) الاستعانة بالفانوس السحري (١٢) مراسلات غذائية (١٣) روايات تمثيلية (١٤) مكافآت وشهادات تقدير (١٥) منافسات سنوية عامة بين هيئات من نوع واحد

هذه هي طريقة الحل المقترحة بايجاز . وبديهي ان كل ناحية من نواحيها تستغرق بحثاً يناهز هذا المقال من أوله الى آخره . لكن ما سبق ذكره يكفي لان يشرح للقارىء المقصود من هذه النقط الهامة المتباينة . والرجال الاخصائيون على العموم يستنتجون من هذه العبارات أضعاف ما يستنتجه القارىء العادي

طبقات الأرض

وموارد القارات

مهما تكن وجوه التحوّل السياسي والاجتماعي التي يحتمل أن تطرأ على حياة البشر ، فلا مفرّ من اعتماد اعتمادهم في الحرب والسلم ، على الموارد المعدنية من فلزات ووقود وما أشبه. ومهما تكن قواعد النظام العالمي ، الذي يكافح في سبيله عشرات الملايين من الرجال والنساء ، فهذا النظام لن يصبح حقيقةً واقعة إلاّ إذا كان ملائماً لخصائص الطبيعة البشرية ، ولأوصاف الموارد المتاحة في طبقات الأرض . فجدير بجميع الذين يهمّهم مصير الانسان أن يعلموا بطبيعة المواد الخام وتوزعها في طبقات الأرض وشتى مناطقها

ان المواد الأساسية التي يحتاج اليها الناس المتحضرون ، توجد في أحوالٍ جيولوجية معروفة . وتوزيع هذه المواد ليس نتيجة لمصادفات. واذن فني الوسع ان تعرف مواقعها على وجهٍ كافٍ من الدقة . أما وقد علم الجيولوجيون بالمسح والبحث . التركيب الجيولوجي لجميع قارات الأرض ، وما ينبع ذلك من مواقع العروق والتراكيب المعدنية المختلفة فيها ، ففي مكنة العلماء المختصين ، أن يصفوا وصفاً دقيقاً ما تحتوي عليه طبقات الأرض من الفلزات الرئيسية وأصناف الوقود وغيرها من الموارد المعدنية ، أو على الأخص ما كان من هذه المواد صالحاً منتجاً للانسان . وفي مكنتهم كذلك انشاء موازنة دقيقة بين القارات من ناحية ثروتها المعدنية . وقد يسهّل البحث أن تقسم صخور قشرة الأرض ثلاث طوائف :

١ — فثمة أولاً الطائفة المتقدمة في القدم وهي الصخور المعروفة بشوهة فيما يعرف بالطبقات السحيقة للعصر الكبري Precambrian وهذه الصخور تشمل الجرانيت والصخور النارية وكذلك الصخور المتحولة وهي صخور مترسبة طرأ عليها تغيرات الحرارة العالية والضغط الشديد ، خلال عصور طويلة ، فغيّرت من طبيعتها الأصلية . هذه الصخور تحوي كثيراً من ركازات الفلزات مثل الذهب والفضة والنحاس والنيكل والحديد . وليست تحتوي في مكانٍ ما فحماً ولا نفطاً ولا ركازات فلزات من نوع الالومنيوم والمغنيسيوم

في كل قارة من قارات الأرض صخور من هذا القبيل ، وليس في العلم ما يشير الى أنّ

منطقة كبيرة ما من مناطقها ، أبت أن تبيح لباحثين كنوزها الفلزية ، اذا أحسنوا البحث والتنقيب . ففي كندا حول خليج هدسن منطقة من هذا القبيل تقابلها منطقة أخرى في شمالي أوربا الغربي ، وأخرى في سيبيريا المتوسطة الشمالية في آسيا . أما في نصف الكرة الجنوبي فهناك منطقة في البرازيل من هذا القبيل تقابلها منطقة في افريقية الجنوبية والمتوسطة وأخرى في استراليا

٢ — أما الطائفة الثانية فتشمل الطبقات المترسبة من العصر الكمبري والعصر الذي يليه Post-Cambrian . وقد تكون هذه الطبقات منبسطة تحت تربة السهول او في النجود ، وقد تكون منجعدة جبالاً كما في جبال « أبلاكيان » Appalachian في شرقي الولايات المتحدة الأميركية . هنا نقع على أغنى موارد الفحم والنفط والبوتاس والمغنيسيوم وبعض الحديد والفلزات غير الحديدية . ولكل قارة نصيب من هذه الطبقات . فحوض نهر المسيسبي المتسع في قارة أميركا الشمالية ، يقابله منطقة صخور مترسبة شاسعة في أوربا الوسطى بين جبال الألب ومرتفعات سكندیناوه . ومنخفضات حوض الأمازون في قارة اميركا الجنوبية تقابلها المنطقة المتوسطة في استراليا والسهول الواسعة في شمال آسيا

٣ — أما الطائفة الثالثة فهي الصخور المقترنة عادة بالفعل البركاني وأثره . وهذه الطائفة لا تقتصر على ما انقذف من لابة البراكين ولكنها تشمل الصخور النارية ، التي تبلورت في المنافق التي دفعت البراكين الى التكوّن ، او الى انشاء جبال كالقباب فوق سطح الأرض بغير ان تنقذف من فوّهاتها ما وتفيض على السطح . ففي تركيبات صخرية من هذا القبيل ، ولا سيما ما كان منها من العصر الثلاثي Tertiary نجد طائفة من أغنى موارد الفلزات الثمينة كالنحاس والرصاص والزنك وكذلك التنغستن والفناديوم والبولبديوم والتنغنيس ، وهي الفلزات التي لا غنى عنها في صناعة الخلائط الفلزية الحديثة . وكأن الطبيعة قصدت ان تعامل الفلزات بالقسطاس فقسمت لكل منها نصيباً من هذه الصخور أسوة بالصخور التي تقدم ذكرها . فالجبال الغربية في قارة أميركا الشمالية وجبال الأندس في قارة اميركا الجنوبية وكثير من جبال آسيا الشرقية والجنوبية ، وغير يسير من نجود افريقية المتوسطة وجبالها ، تسلك جميعاً في هذا النظام

والواقع ان في كل قارة ، جميع أنواع الطبقات التي يستقر فيها أهم الموارد الطبيعية ، المستغلّة الآن في الصناعة أو التي يحتمل استغلالها في المستقبل . واذا كانت شعب الولايات المتحدة ، قد استخرج من أرضها حتى الآن ، أكثر من ثلثي انتاج النفط العالمي ، فلا أنه سبق غيره من الشعوب في احكام استغلاله هذا المورد . واذا استثنينا استراليا ، ففي

كل قارة موارد للنفط ، لا تقل ، اذا قيست بموارد النفط العالمية ، عن مساحة تلك القارات بالقياس الى مساحات القارات جميعاً

واذا كانت بلدان قارة أوربا وبريطانيا والولايات المتحدة وروسيا ، قد صمدت حتى الآن تمانين في المائة من كل النصب الذي صنع في العالم ، فهذا لا يعني أن هضبة بلدان العالم لا تحوي إلا عشرين في المائة من موارد الحديد العالمية . بل يعني شيئاً واحداً وهو ان شعوب هذه البلدان سبقوا غيرهم في استكشاف افكار واستخراجه وصنعه . وما في آسيا وافريقية واستراليا وأميركا الجنوبية من موارد الحديد لا يزال على الأكثر في انتظار من يستغله

وخلاصة هذا البيان ان في كل قارة من القارات موارد وافية من المعادن الاساسية اي ان الطبيعة تتيح فرصاً متساوية للناس ولكن الناس اختلف شأنهم حتى الآن في اقتسام هذه الفرص واستغلالها . إلا ان هذا لا يعني ان الطبيعة تميل الى انعزال كل قارة عن الاخرى واكتفائها . ذلك بأن القول بأن كل قارة تحتوي في طبقات ارضها موارد معدنية وافية ليس صحيحاً على اطلاقه . حتى اذا سلمنا بان بعض المعادن يصلح الاستعمال محل الآخر ، كإحلال النفط المستخرج من الفحم في اوربا — حيث الفحم كثير — محل النفط الطبيعي حيث النفط الطبيعي قليل ، وجدنا شذوذاً على القاعدة العامة . ففي معظم المناطق التي ارتقت فيها الصناعة وازدحمت مدنها نجد قلة ظاهرة في موارد التصدير فلا يكاد يكون في ثرى القارة الاميركية الشمالية ركاز قصدير ، وفي اوربا موارد يسيرة لا تجهز تلك القارة باكثر من خمسة في المائة مما تستهلكه من هذا المعدن . وكذلك قل — على تفاوت — في النيكل والراديوم . . فالمواقع التي يوجد فيهما هذان المعدنان قليلة وهي في قارتين او ثلاث من القارات الست

ويخرج العالم الجيولوجي كرتي مينر — استاذ الجيولوجيا في جامعة هارفرد — من هذا البحث (راجع مجلة العلوم سبتمبر ١٩٤٧) بان استغلال موارد الارض المعدنية المتاحة استغلالاً كاملاً يقتضي تنظيم حياة الامم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية على اساس عالمي بدلاً من اكتفاء كل قارة وعزلتها لانه اذا كانت كنوز الارض في القارات لا تبيح للباحث القول بان هناك تفاضلاً بين القارات من هذه الناحية . فليس هناك قارة واحدة تستطيع ان تجهز الشعوب التي تقطنها بالمقادير الكافية من جميع المعادن اللازمة للحضارة العصرية وأن تكفي جميع حاجات الناس . والاستغلال التام لموارد الارض لا يتم الا اذا ساهمت كل قارة بنصيب في سبيل الخير العام . والعالم الجيولوجي على رأي الاستاذ مينر لا مفر له من القول بأن تنظيم هذا الاستغلال على أساس عالمي قاعدته التبادل الحر — تبادل موارد الخام والمصنوعة — أدنى الى تحقيق الخير العام من اقامة الحواجز بين القارات

جغرافيو العرب

وسوريا[1]

لنقولا زيادة

كانت مسألة ادارة البلاد المفتوحة وتنظيمها من أمهات المسائل التي شغلت العرب . وهي مسألة كثيرة التعقيد لارتباطها بالطريقة التي تمّ بها الفتح . لذلك اهتمّ أصحاب السير والمغازي ورواة الأخبار ببحثها لينقرر مقدار الجزية والخراج . ومن ثمّ كان وصف البلدان جزءاً من عمل المؤرخين . لكن الامر لم يلبث أن اختلف ، فاستقل كتّاب بوصف الاقاليم ودرسها . وكانت المحاولات الاولى تدور حول التعرف الى البلاد وطرقها وخراجها . لذلك كان كتاب (المسالك والممالك) ، وهو من أقدم الكتب الجغرافية العربية ، تقريراً عن جباية المملكة العباسية في أواسط القرن الثالث . وليس من المصادفات ان مؤلفهُ كان متولي البريد والخبر بنواحي الجبل بفارس . وكذلك (كتاب الخراج وصنعة الكتابة) ، لقدامة بن جعفر ، كان يبين الطرق والمسافات فضلاً عن قيمة جباية المملكة

وقد شجع الاسلامُ الكتابة الجغرافية من ناحيتين أخريين : أما الاولى فجاءت عن طريق الحج . فصلح فريضة على المسلم ما استطاع اليه سبيلا . ومن حق الحاج على سلطانه ان يبيّن له خير الطرق للوصول الى مكة والمدينة ، ويشرح له الصعوبات ووسائل التغلب عليها . وكان أثر هذا الامر كبيراً في حفز الكتّاب الى تدوين ما لاحظوا ورأوا كابن جبير وابن بطوطة . وأما الناحية الثانية التي شجع الاسلام فيها الكتابة الجغرافية فهي طلب العلم . فقد كان المسلمون يتنقلون في سبيل انتجاع المعرفة من قطر الى آخر ، وكان همّهم محروصون على تدوين مشاهداتهم ليطلع عليها الخلف ويستفيد منها

ونحن اذا عرضنا المكتبة الجغرافية العربية وجدناها تضم ما يقرب من الاربعين من كبار المؤلفين الذين وصلت الينا آثارهم ، عدا الذين لم يبقَ من كتاباتهم شيء . وقد تأثرت الابحاث الجغرافية في عهدها الاول بما وصل اليه اليونان من قبل . شأن بقية الابحاث التي أخذها العرب عنهم . فكتاب الكندي المسمى (رسم المعمور من أقصار الأرض) هو ترجمة

(١) حديث ألقي في محطة الشرق الادنى الاذاعية العربية

لبطليموس اليوناني . وابن خرداذبه نقل بعض كتابه « المسالك والممالك » عن بطليموس أيضاً ثم أضاف اليه الخراج والطرق . على ما ذكره هو في مقدمة كتابه

على ان القرن الرابع الهجري يمثل في تاريخ البحث الجغرافي العربي فترة النضج . فاليعقوبي والاصطخري وابن حوقل والمقدسي بلغوا درجة عالية في البحث المبني على الاختبار الشخصي ، والمعرفة المكتسبة من السفر والتنقل . وانتهى امر الكتابة الجغرافية في القرون الثلاثة التالية بأن كثرت المعاجم الجغرافية . فالبكري يفتتح كتابه بقوله (هذا كتاب « معجم ما استعجم » ذكرت فيه جملة ما ورد في الحديث والاخبار ، والتواريخ والاشعار ، من المنازل والديار ، والقرى والامصار ، والجبال والآثار ، والمياه والآبار ، والبدارات والحرار ، مفسوبة محددة ، ومبوبة على حروف المعجم مقيدة) . وياقوت الحموي في طليعة اصحاب المعاجم الجغرافية على الاطلاق . فكتابه معجم البلدان « خزانة علم وأدب وتاريخ وجغرافية » لانه اذا ذكر بلداً أورد شيئاً من تاريخه ، ومن اشتهر فيه او نسب اليه من الأدباء والشعراء والفقهاء . هذا بالاضافة الى مقدمة وافية في علم الجغرافية . والمعجم دقيق في معلوماته ، منظم في طريقته . وثمة ناحية أخرى من التصنيف الجغرافي حرية بالعناية . تلك هي الموسوعات الكبيرة التي ظهرت في القرن الثامن الهجري . فقد وصلت الينا كتب فيها التاريخ والادب والجغرافية وغير ذلك . ومن هذه « نهاية الارب » للنويري و « صبح الأعشى » للقلقشندي و « مسالك الابصار » لابن فضل الله العمري . فهذه الكتب المعدودة في مقدمة خزائن المعرفة تحوي فصولاً في الجغرافية العامة والسياسية تمدنا بكثير من معلوماتنا عن الدول الاسلامية وغيرها في تلك العصور

وتمتاز الكتب الجغرافية العربية وخاصة بعد تحررها من تأثير اليونان المباشر فيها ، بأنها تعتمد على المشاهدة الشخصية والحس . فاليعقوبي يقول عن نفسه « انه أسافر وحدثت وسألت » وابن حوقل يقول « وأعاني على تأليفه اتصال السفر وانزعاجي عن وطني . . . . الى ان سلكت وجه الارض بأجمعه في طولها . وقطعت وتر الشمس على ظهرها » والمقدسي فقد جال في البلدان ودخل اقاليم الاسلام والتقى العلماء وخدم الملوك وجالس القضاة ودرس على الفقهاء واختلف الى الادباء والقراء . وخطب على منابر . وصاح في المراري . وناء في الصحاري وأشرف على الغرق وسجن في الحبوس وقام للتجارة في كل بلد ، وعشى بالمعاشرة مع كل احد ، وهذا الامر — اي العناية بالرحلة في سبيل التعرف الى البلدان والكتابة عنها — ينطبق على العالم الاسلامي ذلك ان اكثر الكتاب عنوا بهذا الجزء من العالم . ومع ان بعضهم تحدث عن القسم الآخر ، فقد جاء حديثه متأخراً

والاصطخري يقول « ذكرت في كتابي هذا أقاليم الارض التي ممالك وقصدت فيها بلاد الاسلام بتفصيل مدنها وتقسيم ما يعود بالاعمال المجموعة اليها . . . . . » وابن حوقل يذكرنا

انهُ فصل بلاد الاسلام اقليماً اقليماً وصقعاً صقعاً وكورة كورة لكل عمل . وهذان الكاتبان يبدآن الوصف بديار العرب ، لان القبلة ومكة فيها ، وهي أم القرى ، وهي بلد العرب وأوطانهم ، ومثل ذلك المقدسي . أما اليعقوبي فيتخذ العراق نقطة ابتداء لكتابه (لانه وسط الدنيا وسرة الارض) ويذكر بغداد (لانها وسط العراق والمدينة العظمى التي ليس لها نظير في مشارق الارض ومغاربها)

ويعنى الجغرافيون العرب بالمسالك والطرق والمسافات لعلاقتها بالرحلة والتجارة والبريد وهذه عندهم صحيحة دقيقة . والمستعمل عندهم الفراسخ والأميال للقياس والفرسخ ثلاثة أميال ، والميل يقل عن الكيلو متر قليلاً . ويستعملون المسافات الطويلة وحدة للسير هي اليوم . فسوريا مثلاً طولها خمسة وعشرون يوماً . وقد وجدت بعضهم كالادريسي يذكر (يوماً طويلاً) في تعيين المسافات

ومن النادر ان يعثر القارىء في كتب الجغرافيين العرب على احصاء يتعلق بعدد السكان ، او مقدار ما ينتج في صناعة معينة أو من زراعة معينة . على ان احصاءاتهم المتعلقة بالخراج وارتفاع الارض المترتب على ذلك دقيقة صحيحة . فالارقام التي يوردها قدامة ابن جعفر عن ارتفاع السواد مأخوذة من القيود الرسمية السنة ٢٠٤ للهجرة . وهو يذكرها بالحنطة والشعير والدراهم . وقد نقل الناس عن السلف في الكثير من الأحيان . فالبعض ذكر ذلك ، والبعض الآخر سكت عنه . وقد حذر المقدسي قراءه فذكرهم انه لم ينقل عن أحد ولكنه خبر ودوّن وكتب . وقد انتقد المقدسي كتب من سبقه من الجغرافيين . فمنهم « من كتب باختصار لا يفيد ومنهم من جمع الغرباء وسألهم عن الممالك ودخلها وكيف المسالك اليها . ومنهم من اختصر ولم يذكر الأسباب المفيدة » . ويقول عن ابن الفقيه الهمذاني انهُ (أدخل في كتابه ما لا يليق به من العلوم .... مرة يزهّد في الدنيا وتارة يرغّب فيها ودفعةً يُبكّي وحيناً يضحك ويتباهى) . وهنا نلحظ المقدسي الجغرافي العالم الدقيق الذي يريد أن يكون البحث دائماً مبنيّاً على الدرس والاختبار منظماً مبوباً وافياً بحيث لا يخلط بين جد العالم وهزل الهازل . كما نلمس هذه الناحية فيه اذ يقول عند تقرير خطته (وفي كتابنا هذا اختصار لفظ يدل على معان . مثل قولنا . لا نظير له يريد ان ليس مثلهُ بتة . . . . فان قلنا غاية فانها تعني في الجودة من الاجناس) ولما جاء ابو الفدا تناول في مقدمة كتابه : تقويم البلدان ، ما تقدمه من الجغرافيين بالنقد . فأظهر ان ابن حوقل والادريسي وابن خرداذبة لم يحققوا الاسماء وغيرهم لم يحقق الاطوال . أما هو فقد جمع بين التحقيق في الاسماء والاطوال . والواقع ان كتابه يصح ان يُعدّ تاريخاً انتقادياً للكتابة الجغرافية العربية الى عصره (القرن الثامن للهجرة)

وثمة مؤلف جغرافي آخر حري بالالتفات : ذلك هو الادريسي . صاحب كتاب « نزهة المشتاق في اختراق الآفاق » . ألف هذا الكتاب بالعربية في صقلية في بلاط ملكها روجر الثاني وصاحبه لم يزر ممالك الاسلامية الشرقية لكنه كتب عنها مما حصل عليه من كتب الرحلات ورسائل الزوار . ومن الطبيعي ان يختلف الكتّاب في مقدار ما يخصص كل منهم للاقليم الواحد دون الآخر . فاليعقوبي يخص بغداد باثنتين وعشرين من الصفحات . ويفصل عن العراق اكثر مما يفصّل عن غيرها . بينما نجد المقدسي يعنى بالشام عناية خاصة لانه يعرفها معرفة تفوق معرفته لغيرها من الاقطار

والامور التي عني بها جغرافيو العرب في وصفهم سوريا هي (١) اسمها وسبب التسمية . ويجدر بنا ان نذكر في هذا الصدد انهم أشاروا الى سوريا بانها الشام (٢) حدود الشام . وفي هذا نجد ما يشبه الاجماع على ان الحدود تمتد من بلاد الروم شمالاً الى حدود مصر جنوباً ومن البحر المتوسط غرباً الى الفرات شرقاً . وهذه المسألة ذات قيمة من نواح متعددة (٣) صفات سوريا البارزة وخصائص الاقليم ، من حيث المناخ والماء والارض والحبوب والثمار والزهور والحيوان (٤) اجناده أو أقسامه الادارية والموظفون وتوزيع الجيوش ومقدار الخراج (٥) مدنه وصناعاته وتجارته وتمركزها في هذه المدن

فأنت واجد ان ابن الفقيه ينقل عن عبد الله بن عمر « قُسِّمَ الخيرُ عشرةَ أجزاء فجعل تسعةُ أعشارٍ في الشام وجزءاً في سائر الارض » . وتمر بك ملاحظةٌ دقيقة للاصطخري عن فلسطين إذ يقول « وفلسطين ماؤها من الامطار وأشجارُها وزروعُها اعذاء إلاّ نابلس فان بها مياهاً جارية . . . وتطالعك عند ابن حوقل هذه اللفتة عن أهل دُثَير بناحية البحيرة الميتة أو المنتنة ، انهم يلقّحون كرومهم وكروم أهل فلسطين كما تلقّح النخلُ بالطلع الذكر . . . وبها (أي زغر) من عمل البلقاء والنحلة به ما لا يقصر عما يكايل من ضياعه وعماله »

ودرس سوريا عند جغرافي العرب يجب أن يكون مستهلّه ما جاء في كتاب « أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم » للمقدسي ، فالرجل سوري يعرف البلدَ وأهله . ومعلوماته ذات قيمة خاصة في درس الناحية الاقتصادية من حياة سوريا في ذلك الوقت . فقد تناول في كتابه سوريا بحدودها وقسمها الى ست كور وعدّد مدن الكور المختلفة ، ثم فصّل أخبار المدن هذه مبتدئاً بالعواصم وانتهى من ذلك الى جعل كل اقليم . فهو يقدم البلد بقوله عنهُ « اقليم الشام جليلُ الشأن دارُ النبيين ومركزُ الصالحين ومعدنُ البدلا ومطلب الفضلا . به القبلة الاولى وموضع الحشر والنشر . وبمدد مشاهد الانبياء فيه ثم يقول « ومع كل هذا مشاهد لا تحصى ، وفضائل لا تحوى ، وفواكه ورغا وأشجار وأنهار ، وآخرة ودنيا . به يرقُّ القلب وتنبسط للعبادة الاعضا . . . . ثم به دمشق جنة الدنيا . . . . والرملة المهيبة

وخبزها الحوّاري ، وايلياء الفاضلة بلا لاوى ، وحمص المعروفة بالرخص وطيب الهوا . . . . له سهلٌ وجبل وأغوار وأشيا . . . . وبه معادن الرخام وعقاقير كل دوا ، ويسار وتجار ولباقة وفقها ، وكتّاب وصناع وأطبا) . لكن الرجل ينتهت الى أطراف الشام كما جاور الروم فيقول عنها (والاطراف قد خربت وأمر الثغور قد انقضى . . . . عامة أهلها جهالٌ أو غوغا لا نهضة في جهاد ولا حميّة على الاعدا) . فاذا انتهى من هذا التقديم المقتضب عرض لتسمية الشام وتحديدها ، ثم تناول وضعها الاداري فقسمها ست كور هي من الشمال الى الجنوب ، قنسرين وحمص ودمشق والاردن وفلسطين والشراة ، ثم عدد مدن الكور وذكر خصائصها وأعمالها وصناعتها وتجارتها . وطريقته أن يبدأ بالعاصمة ثم ينتقل الى بقية المدن . (فدمشق هي مصر الشام ودار الملك أيام بني أمية . . . . ديانها خلف وطين . . . أكثر أسواقها منظمة وهما سوق على طول البلد مكشوف حسن . وهو بلد قد خرقته الانهار وأحدقت به الاشجار وكثرت به الثمار مع رخص أسعار وثلج وأضداد لا ترى أحسن من حماماتها ولا أعجب من فوّاراتها) . والمقدسي يصف الجامع الاموي بدمشق والمسجد الأقصى وقبة الصخرة بالقدس وصفاً دقيقاً . وسبب ذلك ، فضلاً عن منزلة هذه الاماكن الدينية ، ان المقدسي كان بنّاء وكان جده كذلك قبله . فهو يحسن الفن المعماري ومن ثمّ كانت أوصافهُ هذه ذات قيمة خاصة لمؤرخ الفن العمارة الاسلامية

ويحدّثنا المقدسي عن منطقة الحولة ومدنها وكانت تابعة لجند دمشق ، فيقول (وبانياس على طرف الحولة وحد الجبل . . . وهي خزانة دمشق . . . غير ان مائها ردي . . . والحولة معدن الافطان والازهار ، وهي أغوار وأنهار) . أما طبرية قصبة الاردن فهي ضيقة كريهة في الصيف مؤذية . . . بها حمامات بلا ماء . . . ويقال إن أهل طبرية شهرين يرقصون من كثرة البراغيث ، وشهرين يقمقمون أي يلوكون النبق وهو الدقيق المستخرج من لب النخلة والمقوي بالدبس ، وشهرين يثاقفون لأنهم يشتغلون بطرد الزنابير عن اللحم والفواكه ، وشهرين عراة من شدة الحر ، وشهرين يزمرون أي يمصون قصب السكر ، وشهرين يخوضون الوحل لكثرته في بلدهم . والرملة وهي قصبة فلسطين (ليس أرك من كورتها ولا أنقّ من فواكهها . . . ذات فنادق رشيقة وحمامات أنيقة وأطعمة لذيذة وادامات كثيرة ومنازل فسيحة) . ومن الطبيعي أن ينال جند فلسطين من بين أجناد الشام حظّاً خاصّاً من العناية . فالمقدسي ابنهُ . ومن ثمّ كانت عنايتهُ بالصغير من بلدانه وقراه

وينتقل بعد ذلك صاحبنا الى جل شؤون الاقليم . فيتحدث عن طيب هوائه وتوسطه ، دون أن يغفل استثناء وسطيه من الشراة الى الحولة : فهو بلد الخير والنور والنحيل . ويلاحظ المقدسي امتداد غور الاردن جنوباً الى الحجاز . وثمة أمر ينبه له الكاتب وهو

انك كلما اتجهت شمالاً في سوريا ازدادت الانهار وكثرت الثمار . ويذكر انه ليس في الشام نهر يسافر فيه . ويعدّد ثمارها في تفصيل ودقة عن تجارات الشام . فالسكاكيد يرتفع من دمشق وطبرية ، والسكر من صور . هذا الى أنواع الأقمشة المذكورة بأسمائها الدالة على تباين طرق صنعها . ثم يعدّد ثمارها فيذكر الاجاص الكافوري والتين الساعي والقطقاص والفليون . ثم ينتقل الى مكاييلها وموازينها فالصاع والمد والوَيْبة والمكوك والذراعة وأنواع الأرطال : موضحة

ويتحدّث المقدسي عن رسوم أهل الشام الدينية ، وعاداتهم الاجتماعية . ويروي الأمثال الدالة على الناس وأحوالهم . ويصف الأفرنة والطرابين وأنواع المآكل فيقول عنها (وبه) أي الشام ، طبّاخون للعدس والبيسار . ويقلون القول المبوث بالزيت ويصفونه . ويباع مع الزيتون . ويطحون الحمص ويكثرون أكله ويصنعون من الطرنوب فطفاً ... ويصنعون زلابية في الشتاء !

ولعلّ المقدسي أول من لاحظ التوازي في طبيعة سطح سوريا . فهو يقسمها الى السهل الساحلي وسلسلة الجبال والأغوار وسيف البادية . وهذه على ما اعتقد من أدق ملاحظات المؤلف

عاش المقدسي في القرن الرابع الهجري وكتب (أحسن التقاسيم) في أواخره . فالصورة التي نحصل عليها لسوريا هي صورة البلاد في زمن من أزهى عصورها وأزهر . ويحق لنا ان نغتبط لأن الحال أتاحت لنا مثل هذا الرجل ليدوّن لنا مرافق سوريا الاقتصادية في ذلك الوقت

فاذا انتقلنا الى ياقوت لقينا في مؤلفه معلوماتٍ عن سوريا في الزمن الذي كان فيه الصليبيون يحتلون بعضها الغربي . وهذه قيمة معجمه من الناحية التاريخية

أما القرن الثامن الهجري فشيخ مؤلفه الجغرافيين أبو الفدا . عاش أبو الفدا في أوائل زمن المماليك وأرّخ لهم ، وكتب تقويم البلدان واصفاً فيه العالم الاسلامي بشكل خاص . وكانت سوريا من تحقيقه حظاً كبيراً . فهو ينقل في بعض الأحيان ما قاله المتقدمون ثم يعلق عليه بما يوضح الموضع في زمنه . ويتبع البحث العام بجداول يفصل فيها عن كل مدينة الطول والعرض والاقليم ويضبط الاسم ثم يسوق أوصافاً وأخباراً عامة عنها . ولا يغفل ذكر مصادره

ليس من المستطاع ان يتناول المرء في مقال يشغل صفحات معدودة موضوعاً كهذا الا من أوسع نواحيه ، وأكثرها شمولاً . فالمكتبة الجغرافية العربية واسعة كما ذكرت ، شاملة لأنواع من الدرس والبحث ، حرية أن يتوفر الناس على درسها ويعنوا بتتبعها . وأؤكد لحضرات القراء أن العمل فيها مرجوّ الفائدة واللذة

الهيكسوس

مطاردتهم في مصر

للدكتور باهور لبيب

جازت هذه الرحلة أدواراً كثيرة أهمها :—

ما وصل إلينا من عهد الملك « سقنن رع » اللقب « قن » أحد ملوك الأسرة السابعة عشر . والدور الذي لعبهُ ذلك الملك في مطاردة الهيكسوس مذكور في بردية ساليه بالمتحف البريطاني ثم ما ورد في لوحة معروفة بلوحة كارنارفون بالمتحف المصري وهي لوحة خشب كتب عليها بالهيراطيقية ملخص الحرب التي دارت بين الملك كامس والهيكسوس ثم النص الذي يحدثنا فيه القائد « أحمس بن أبانا » عما قام به الملك أحمس الاول في سبيل طرد الهيكسوس من مصر

أما المصدر الاول فيحدثنا عن أن الملك « سقنن رع » كان ملكاً على اقليم طيبة وكان يعاصره ملكٌ من الهيكسوس يدعى « ابوفيس » . وقد جمع ابوفيس في أحد الأيام كبار قومه وتحدث معهم وربما كان الحديث يدور حول تدبير مؤامرة لاغتيال الملك « سقنن رع » وها هو ذا جزء من هذه النصوص تدلنا ترجمته على ما ذهبنا اليه :« . . . انقضى زمن طويل بعد ذلك فأرسل الملك ابوفيس الى الملك « سقنن رع » بالعاصمة الجنوبية (طيبة) رسالة ولما وصل رسول الملك أبوفيس الى طيبة احضروا الى ملكها — فسئل أحد رسل الملك أبوفيس هذا السؤال : لماذا جئت الى العاصمة الجنوبية ولاي سبب سافرت مع زملائك طوال هذه المدة ؟ »

فأجاب ان الملك ابوفيس أرسلنا اليكم لنخبركم بأن دب البحر الساكن في بحيرة طيبة يمنع جلالته من النوم نهاراً وليلاً وصياحهُ يرعج أذني الملك » . « حزن الملك سقنن رع وتألم ولم يرد الجواب ثم عاد رسول الملك ابوفيس الى سيده . . . » ومن سياق الكلام نفسه نعلم انهُ على أثر ذهاب رسول ابوفيس الى سيده دعا سقنن رع قواده ورؤساءه حكومته وأخبرهم برسالة الملك أبوفيس فسكتوا جميعاً ولم ينطقوا بكلمة واحدة (وهنا سقط الاصل) ولم تكمل القصة التي كانت تحوي كثيراً من المعلومات التاريخية

فمن الجائز أن يكون رسل الملك ابوفيس عبارة عن أفراد عصابة أرسلها الملك لاغتيال

حياة « سقنن رع » وقد خابوا في مهمتهم عائدوا بعد أن اختلقوا الحيل واتقنوا الاسباب التي من أجلها أرسلهم ملكهم. كذلك نعلم أن جثة هذا الملك « سقنن رع » وجدت في معبد الدير البحري وفيها آثار جروح نتيجة ضربات ميتة فهل معنى ذلك أن هناك مؤامرة دبرت لاغتيال هذا الملك العظيم؟ أم سقط صريعاً في ميدان القتال ثم أنقذ أحد أتباعه جثته من العدو؟

أرجح شخصياً الرأي الثاني وذلك لأن آثار الجهاد واضحة في جثة هذا الملك وهذا ما يحملنا على الظن أنه ثار على العزاة وأوقد الحمية في صدور شعبه فقاموا قومة رجل واحد ليطردوا الهيكسوس من مصر. ويؤيد ذلك أيضاً أن خليفة هذا الملك وهو ابنه كامس واصل الحرب مع الهيكسوس

أما المصدر الثاني وهو لوحة كرنارفون فقد عرفنا تفاصيلها عندما تكلمنا في أول هذا المقال (مقتطف نوفمبر ١٩٤٢ صفحة ٤٠٥) عما وقع تحت حكم الهيكسوس من المناطق المصرية

والمصدر الثالث عبارة عن نص القائد البحري أحمس بن ابانا (أحمس أبانا نسبةً الى اسم أمه وقد كان ذلك شائعاً عند قدماء المصريين مما يبين لنا مركز المرأة قديماً. أما اسم والده فقد كان « ابنا » وقد كان بابا والد القائد أحمس هذا معاصراً للملك سقنن رع)

وقد ظهر هذا القائد في المرحلة الاخيرة من مطاردة الهيكسوس وعاش في بلدة الكاب وقد بدأ حياته العملية أيام الملك أحمس الاول الذي عيّنه قائداً في إحدى السفن. وما يهمنا في نص هذا القائد [1] من الوجهة التاريخية في موضوع مطاردة الهيكسوس هو ما يأتي:

«.... كنت أتبع الملك ماشياً عند ما ركب عجلته وعند ما حاصر الملك بلدة حات وعرت (هواوس) وقد أظهرت شجاعة على قدميّ ماشياً أمام جلالته وبعد ذلك رقاني (جلالته) إلى السفينة المسماة خع ام مع أنور. ثم حارب الملك في مياه قناه يجدكر الواقعة جنوبي حات وعرت (هواوس) ثم حوربت وأحضرت أسيراً وسُلمت هذه المسألة الى كاتب سر الملك فأنعم عليّ بعد ذلك بقدر الشجاعة وحارب الملك في أجزاء مصر بعد ذلك الواقعة في جنوبي هذه البلدة (وقد اختلف العلماء فيما هو المقصود من البلدة التي حارب الملك جنوبيّها فبعضهم يقول أن المقصود بها « بلدة هواوس » المذكورة في النص. وبعض الآخر يقول انها بلدة الكاب حيث مقبرة هذا الموظف الذي كتب لنا عن تاريخ حياته. وأرجح أنا شخصياً الرأي الثاني لأنه ليس من المعقول أن تدور معركة في هذا الوقت العصيب ضد الملك أحمس الاول فتقصد إذن في مدينة الكاب ويستنتج ذلك أيضاً من استمرار إغارة السوريين على مصر. والجدير في نص هذا الموظف ذكر تلك الاغارة التي كانت في عهد الملك الذي

[1] K. Sethe, ... (Urkunden ...) ...

سبق أحمس وهو كامس (« وبعد ذلك استولى الملك على مدينة حات وبرت (هوارس) وكنت قد انضممت من هناك غنيمة رجل واحد وثلاث نسوة أي أربع رؤوس (أسرى) »

ثم يستمر النص فيقول : « وقد أعطاهم جلالته إياهم كعبيد » « ثم حاصر الملك المدينة شاروهين مدة ثلاث سنوات ثم استولى جلالته عليها »

فمن هذا النص نستنتج محاصرة الملك البدة هوراس عاصمة الهيكسوس ثم استيلاءه عليها ثم بعد ذلك مطاردته الهيكسوس في عقر دارهم ومحاصرته بلدة شاروهين بعد أن تعقبهم الملك اليها ثم استولى عليها بعد محاصرتها ثلاثة أعوام . وهذا مهم من الوجهة التاريخية إذ يبين لنا ان احمس الاول طرد الهيكسوس من مصر بعد ان استولى على عاصمتهم ثم طاردهم إلى جنوب فلسطين

وبذلك يتم الجزء التاريخي الذي يهمنا في مطاردة الهيكسوس من نص القائد أحمس بن أبانا

وبحكم الملك أحمس الأول ينتهي حكم الهيكسوس ويعتلي ملوك طيبة ثانية عرش مصر ويبدأ تاريخ مصر هام تحقق فيه توحيد مصر من جديد وهو ما نسميه « بعصر التوحيد الثالث » والمسمى « بعصر الدولة الحديثة » طبقاً لما هو شائع . وذلك لأنه على يدي أحمس الاول تمت مطاردة الهيكسوس من البلاد المصرية وعلى يديه كذلك رجعت الى مصر الوحدة القومية لأن حرب مطاردة الهيكسوس لم تكن حرب استقلال فقط بل هي أيضاً فرصة اغتنمها ملوك طيبة لكي يسيطروا على القطر المصري بأجمعه . وقد تم لهم ذلك على يد عميدهم الملك أحمس الأول . وهنا نرى ظهور نفوذ طيبة السياسي للمرة الثانية بعد أن ظهر أولاً في أيام الدولة الوسطى وكان من أهم الاشياء في هذا العهد ليس الانتصار[٣] على فرقة آخرين وانما كان مطاردة شعب اجنبي

وبالرغم من الخطار التي عادت على مصر من حكم الهيكسوس من تفكك في الادارة وتصدع الوحدة إلا أن المصريين جنوا من عصر هؤلاء الغيرين الفوائد الآتية :—

عند مطاردة الهيكسوس رأت مصر تتطلع الى البلاد الاسيوية المجاورة لها ولاسيما فلسطين وسوريا وأصبحت جزءاً من مصر أي نظرت اليها كأجزاء لا يمكن الاستغناء عنها وبذلك أصبحت مصر أمة غير منعزلة عن باقي العالم فأصبح لها مقام دولي عام تحدد في مراسلات أو معاهدات دولية . كذلك كان لغزو الهيكسوس لمصر مزايا لا يمكن انكارها فظهرت آثارها فيما بعد ظهوراً واضحاً مما أنتجه من رخاء فمثلاً استفاد المصريون أشياء كثيرة أثرت في الصناعة المصرية ومنها صناعة العربات التي كانت سبباً في رقي وحلب أيادي عمة كثيرة

(٣) راجع مقالة المؤلف في مجلة كلية الآداب . العدد الخامس من السنة ١٩٤٢ صحيفة ١٣٧

للمصريين كما ان المصري تعلم هذه الصناعة تعلماً دقيقاً وما يتبع ذلك من عمل الجلود وغيره للعربة وللجياد وهناك كذلك صناعة أخرى وهي صناعة الأسلحة ولا سيما الخناجر فبذلك زادت أعمال الشعب المصري في هاتين الصناعتين

ومن مميزات غزو الهيكسوس لمصر انشاء جيش نظامي دائم مجهز بالاسلحة ومزوّد لأول مرة في تاريخ مصر القديم بالجياد والعربات الحربية وذلك لأن الهيكسوس هم أول من أدخل الجواد والعربة في مصر وزيادة على ذلك استفاد المصريون أثناء وجود الهيكسوس في مصر استعمال الجواد والعربة في الحروب فتعلموا من الهيكسوس الفنون الحربية وطرق الكفاح المختلفة فثاروا في وجه الغزاة كما تقدم ثورة موفقة وعلى ذلك كان حكم الهيكسوس في مصر هو العامل القوي الذي جعل من الشعب المصري لأول مرة في تاريخه شعباً محارباً مستبسلاً طلب الحرية فنالها ثم عرف طعم الحرب وتذوّق معنى الانتصار فخرج من مصر يطلب الغزو والحرب فتولدت في الشعب المصري روح الاستعمار . ومن الطبيعي إذن أن يتبع ذلك كثرة الوظائف الحربية والمدنية أي وجود أيادٍ عاملة في مصر وفي خارجها وقد استنتجنا ذلك من الألقاب التي كان اكثرها غير معروف قبل عصر الهيكسوس

وكان المصريون يفخرون بوظائفهم الحربية وقد أشارت الى ذلك نقوشهم وازداد تشجيع الملوك للقواد الحربيين فأعطوا الاراضي ومنحوا النياشين بل فرض أغلب ملوك عصر التوحيد الثالث على أولياء عهودهم دراسة الفنون الحربية في مدرسة أو كلية أنشئت خصيصاً لذلك في منف[٣] بل أكثر من ذلك فقد فرض على اولياء العهود أن يتولوا بادارة مصنع بناء السفن والاسطول (دار الصنعة) الذي أنشئ في هذا العصر على مقربة من منف فعلى سبيل المثل نعلم أن ولي العهد امنحتب ابن الملك تحتمس الثالث وهو الذي عرف فيما بعد باسم الملك امنحتب الثاني كان يشرف على ادارة مصنع بناء السفن والاسطول[٤]

وكذلك كان من نتيجة غزو الهيكسوس مصر تأسيس امبراطورية مترامية الاطراف تدفقت الخيرات منها على مصر كما تدفقت الأموال على بيت فرعون فعمّ الرخاء وازدادت موارد مصر كثيراً مما أدى الى تقدم المدنية المصرية

وكان من الفوائد والمميزات الكثيرة التي عادت على مصر بالخير أيضاً بعد غزوة الهيكسوس ظهور شبه انقلاب في السياسة وفي الحالة الاجتماعية بل وأدمجت في اللغة المصرية نفسها كلمات سامية كثيرة

(يتبع) (جورج فؤاد الاول)

(٣) Helck, Der Einfluss der Militärführer
(٤) Gauthier, Aeg. Zeitschrift, 61

نشيد الشجرة

أذاعت جمعية « أصدقاء الشجرة » اذاعة النشيد الذي أعلنت وتبرع فخامة رئيس الجمهورية اللبنانية من جيبه الخاص بمائة ليرة أسبوعية عن دور الاديب الناشيء محمد يوسف حمود فاز النشيد الذي نظمه بموافقة فخامة الرئيس و جائزة نهضته وفيما يلي النشيد الفائز

جنتي في وطني من صباح الزمن
تملأ الأرض اخضرارا والسماوات افتنانا
فالشجر يتعالى في الهواء
والثمر يتلألأ كالضياء
ما أحب الشجرا
يمنح الدنيا شباباً أخضرا
وربيعاً أنورا وثماراً سكرا وخيالا

من جدودي الاول هذه الآفاق لي
ما أعز الارز فيها يزرع الأجيال تيها
والزهور تتهادى بالجمال
والطيور تتنادى في الظلال
ما أعز الشجرا
يمنح الدنيا شباباً أخضرا
وربيعاً أنورا وثماراً سكرا وجمالا

إن لبنان لنا ولبنانا بعدنا
فازرعوا الآمال فيه شجراً يحمي بنيه
والجبال يتجلى في هواه
والغلال تتحلى في جناه
ما أعز الشجرا
يمنح الدنيا شباباً اخضرا
وربيعاً أنورا وثماراً سكرا وجمالا

إعن الفنون اللبنانية

فلسفة الاخلاق

في الاسلام

وصلاتها بالفلسفة الاغريقية

ليوسف كرم

لما كتبنا كلمتنا عن مؤلف الاستاذ كراوس في « جابر بن حيان والعلم اليوناني[1] » كان من اغراضنا تحبيذ الطريقة المقارنة في تاريخ العلم والفلسفة . ولم نكن نعلم حينذاك ان مطبعة الازهر تعمل على اخراج كتاب بالعنوان الذي توجنا به هذا المقال ، للاستاذ محمد يوسف موسى « مدرس الاخلاق والفلسفة بكلية أصول الدين » . فما إن وقع نظرنا عليه حتى اغتبطنا به اغتباط الذي يصيب شيئاً مما كان يتمناه . فقد أراد المؤلف ان يدرس ناحية من نواحي الفلسفة الاسلامية ، وان يرجع الى المصادر اليونانية التي استقى منها الاسلاميون . وله سابق عهد بالاخلاق وتاريخها ، تدريساً وتأليفاً ، وها هو ذا يخص موضوعاً بعده طريفاً اذا نظرنا اليه في جملته ومنهجه . ولا شك انه سيكون قدوة في نهج هذا المنهج ، فتظهر كتب في التاريخ المقارن للفلسفة تستقبل خير استقبال لاستعداد بيئاتها العلمية لها وشديد حاجتها اليها

الكتاب في خمس مقالات : الاول في « التفكير الاخلاقي قبل عصر الفلسفة » أي قبل نقل الفلسفة الاغريقية الى العربية . والمقالة الثانية في « الحالة العامة في عصور الفلاسفة » اي الخلافة والادارة ، والحالة الاجتماعية ، والحالة العلمية . والمقالات الثلاث الباقية تدور على ثلاثة اعلام هم : ابن مسكويه كممثل للاخلاق الفلسفية الصريحة ، والغزالي كممثل للاخلاق الفلسفية الدينية ، ومحيي الدين بن عربي كممثل للاخلاق المبنية على التصوف (ص ٢٧) . الاختيار موفق ، والترتيب منطقي فضلاً عن انه تاريخي

يفتتح المؤلف المقالة الاولى بكلمة مأثورة عن بسكان اولها قوله : « لا يوجد تقريباً شيء عادل او شرير عادل الا ويغير من صفته تغير اقليمه » — ويتبعها باخرى للتربه بنفس المعنى — فهو اذن يثير مسألة طالما كانت مدار بحث الباحثين ، وهي المسألة الاولى في الفلسفة الاخلاقية :

---

(١) مقتطف نوفمبر ١٩٤٢ ، صفحة ٣٥٥

هل الاخلاق عرفية او طبيعية ؟ ورأيه الخاص « ان الضمير في حركته الاولى فطري عرف به الناس ، على اختلاف الاعصر والبيئات ، اصول الاخلاق ، وان اختلفوا في التطبيقات » (ص ٤) . وهو الرأي الصواب ، على أن نفهم بالضمير القوة العاقلة تنظر في الاعمال الانسانية كيف يجب أن تكون ، لا ضربا من الغريزة العمياء او من الالهام الخفي كما ذهب اليه البعض. ويؤيد الاستاذ رأيه بايراد أقوال تدل على معرفة العرب للاخلاق ، فقد كانت لهم حكم وآداب ، عرفوا وثاقة الرابطة بين الطبع والاخلاق (ص ١٢) ، وعرفوا للتوسط فضيلته (ص ١٤) « ولم يفت الحكماء أن يوصوا بضرورة معرفة المرء نفسه » (ص ١٥) وقالوا بمحاسبة النفس (ص ١٦) ، وعرفوا في جاهليتهم واسلامهم اصول الفضائل وفروعها .. وكانوا يستوحون في ذلك كله الدين : قرآنه وحديثه ، والادب : جاهليه واسلاميه ، والحكم القديمة : هندية وفارسية ، والديانات السابقة اليهودية والمسيحية (ص ١٧) . وكانت الغاية العليا ... عندهم ، سعادة الآخرة وما وعد الله في جناته » (ص ٢٢) .

الاستشهاد هنا مأخوذ عن العرب جملة ، جاهليين واسلاميين ، تتداول اقوالهم ويتخلل بعضها بعضاً . ولكن وضع المسألة يقتضي منهجاً آخر . كان حريًّا بالاستاذ ان يقسم الكلام الى جاهلية واسلام وان يفيض في دراسة الجاهلية ويناقش بسكال ولتريه بما عرف عنهما من حكم ونظم وعادات واخبار ، فيبين لنا ما يرجع الى الفطرة والطبيعة ، وما يمكن ان يعد « أخلاقاً قبلية » أملتها ظروف الحياة وزوات النفوس . انه لو فعل ذلك لجاء استدلاله أدق وأوفع . لسنا نزعم ان عرب الجاهلية كانوا بدائيين ، وان عقائدهم اظهرتنا على الفطرة الخالصة فتصلح دليلاً قاطعاً على فطرية الاخلاق او عرفيتها ، ولكن نقف بذكر انهم كانوا على اتصال بالامم المحيطة بهم واطلعوا على احياء كثيرة من آدابها وديانتها . كل ما نريد ان نقول هو ان ما استساغته عقولهم البدوية الحرة يمثل الفطرة الى حد كبير ، وان هذا المنهج هو على كل حال الجدير بالاتباع

وكان حريًّا بالاستاذ أن يغفل المقالة الثانية بأكملها . فقد اعتقد ان « لا غنى لنا عن دراسة سريعة للعصور التي ظهر فيها الفلاسفة الذين نحن بسبيل دراسة مذاهبهم الاخلاقية ... لنفهم العوامل التي وجهتهم ودفعتهم » (ص ٣٧) . فرسم لنا صورة قاتمة لتلك العصور مليئة بالفتن والدسائس من رجالات الدولة والامراء ومن يليهم بعضهم لبعض ، وبتفاسد الاخلاق في المجتمع عامة ، حتى اذا ما بلغ الى الحديث عن مجتمعات العلم قال انها كانت زاهرة زاهية . أليس هذا الازدهار ينطوي بضعف تأثير الفاسد السياسية والاجتماعية او عدمه في رجال العلم واوساطه ؟ واذن فقد كان الكتاب في غنى عن هذا الفصل التاريخي . وفي الواقع

لم نرَ لعصر تأثيراً في واحد من اولئك المفكرين ، اللهمَّ الاَّ من الناحية العلمية ، من ناحية الكتب الموضوعة بالعربية أو المنقولة عن لغة اجنبية . هذا الى ان موضوع الكتاب خاص ، هو فلسفة الاخلاق ، فهل يقدم كل كاتب بين يدي موضوعه الخاص بحثاً تاريخيًّا عامًّا ؟ وان الاستدلال التاريخي عمل دقيق للغاية ، فان الجمع في صحيفة واحدة بين حوادث وقعت وأوامر صدرت قد لا يمثل حياة العصر تمثيلاً صحيحاً ، اذ قد تسير الامة سيرتها بالرغم من الاوامر والحوادث ، وهذا ما كان بالفعل في الاسلام ، وما كان في الغرب في اثناء العصر المتوسط حيث حُرمت دراسة ارسطو مرة بعد اخرى فما كان الاَّ أن تزايد الاقبال عليه واشتد حتى صار « المعلم الاول »

***

اذا أقبلنا على المقالة الثالثة المخصصة لابن مسكويه (٣٣٠ — ٤٢١ هـ) رأينا المؤلف يترجم له ثم يشرح آراءه في الاخلاق فيذكر تعريفه للخلق وتقسيمهُ اياه « الى ما يكون طبيعيًّا وما يرجع للعادة والرَّوية » ويقره على الرأي الذي انحاز اليه وهو اننا قابلون للتخلق بالأخلاق المختلفة . لأن الواقع يشهد بذلك ولأن الرأي المخالف « يؤدي الى ابطال قوة التمييز والعقل ، والى رفض السياسات كلها وترك الناس همجاً مهملين » (٥٣) . وهذا في منزلة وضع الحرية في أصل الاخلاق . غير أن المؤلف يأخذ على ابن مسكويه « عدم استقرار فكره » اذ يراه « يزيف قول الرواقيين ، ويتبعهُ بتزييف الرأي المقابل ، ثم يحكي رأي جالينوس ، وأخيراً يتعرض لرأي ارسطو ، فما رأيهُ الخاص ؟ » (٥٣ — ٥٤) والذي تبيناه بالرجوع الى « تهذيب الاخلاق » أن تزييف الآراء حكاية عن جالينوس ، وان ابن مسكويه على رأي ارسطو ، كذلك يرميه « بالتناقض او بما يشبهه حين حمل من الخلق ضرباً يكون طبيعيًّا من اصل المزاج ، ثم ذكر ان كل خلق ممكن تغييره ، واذن فلا شيء بالطبع » (٥٤). وعندنا ان التناقض يرتفع اذا ذكرنا ان المزاج الطبيعي ليس من الماهية حتى لا يتغير ، ولكنهُ حالة جسمية خاضعة للارادة قابلة للتغيير ، وان على هذا التغيير يعمل الانسان في تربيته لنفسه ولغيره . وان هذه المعاني كانت حاضرة لذهن ابن مسكويه ، ويورد المؤلف أقوال صاحبه في النفس وقواها ، ويردها بلا عناء الى افلاطون وارسطو (٥٥ — ٥٧) ويورد تعريفه للفضيلة بانها وسط بين طرفين مرذولين على ما قال ارسطو ، وتقسيمه اياها الى ثلاث تابعة لقوى النفس الثلاث على ما قال افلاطون ، وقوله بأن اعتدال هذه الفضائل (الحكمة والعفة والشجاعة . وانسجامها فيما بينها تكون فضيلة أخرى هي كمال الفضائل

الثلاث السابقات (٥٧) وهي العدالة في مذهب افلاطون أيضاً . غير اننا لاحظنا ان ابن مسكويه يأخذ العدالة أحياناً بالمعنى الذي أراده أرسطو حين جعل منها فضيلة رابعة قائمة في اعطاء كل ذي حقٍّ حقه في المعاملات . فيختلط عليه الأمر في بعض المواضع ، منها الاشكال الذي يورده عنه المؤلف (٥٨) وهو ان تنازل المرء عن بعض حقه للغير تفضل محمود مع انه يزيد عن الوسط والزيادة عنه كالنقصان خروج عن الفضيلة . يجيب ابن مسكويه باجابة أولى يرد عليها المؤلف ، ويجيب باجابة أخرى يراها المؤلف غير مقنعة كذلك ، ويترك الاشكال بغير حل . وحله ان التفضل أو الزيادة عن وسط العدالة بالمعنى الارسطوطالي هو الوسط بالاضافة الى فضيلة أخرى هي الاحسان داخلة في العدالة بالمعنى الافلاطوني ، وهي الملحوظة في التفضل . فليس بصحيح ما يقول ابن مسكويه وأشكل عليه الأمر من أن « الهيئة النفسانية التي يصدر عنها التفضل هي نفسها الهيئة التي تصدر عنها العدالة » (٥٨) . ان لفظ العدالة مشترك بين معنيين مختلفين . ويعود ابن مسكويه (٧٣) فيعد الظلم والانظلام رذيلتين خاصتين لازمتين من وضع العدالة فضيلة خاصة على رأي ارسطو . فيأخذ المؤلف ذلك عليه استناداً الى التعريف الأفلاطوني للعدالة . وهكذا يستمر سوء التفاهم بين ابن مسكويه وبين نفسه من جهة ، وبينه وبين المؤلف من جهة أخرى . ويستوفي المؤلف عرض آراء ابن مسكويه في السعادة والاجتماع والتربية ، ولا يجد مشقة في ارجاع هذه الآراء الى سوابقها عند اليونان

***

الغزالي (٤٥٠ — ٥٠٥) أعمق فكراً وأوسع أفقاً وأغزر مادة من ابن مسكويه وقد حرص المؤلف على أن يستقصي آراءه في الاخلاق بالتفصيل فجاءت المقالة الرابعة ثلاثة أضعاف الثالثة . الضمير عند الغزالي نظري (٩٤ — ١٠٢) والعدالة تارة جملة الفضائل (١٠٨ — ١٠٩) وطوراً فضيلة خاصة (١١٦) . فاللفظ مشترك هنا أيضاً . غفر الله لأفلاطون وأرسطو . والغزالي متصوف وفيلسوف ، فيسأل المؤلف وهو يبحث في معنى السعادة عنده (١١٧ — ١٣٢) : أي الفريقين أقوم سبيلاً المتصوفة أو النظار ؟ ويجيب بأنه لم يثبت برأي واحد للناس جميعاً بل جعل الحال تختلف حسب الاشخاص والاحوال . أما لنفسه فقد ارتضى طريق الصوفية : « هم السالكون لطريق الله خاصة » ، والنور الالهي « مفتاح أكثر المعارف في ظن ان الكشف موقوف على الأدلة المحررة فقد ضيق رحمة الله الواسعة » . وعلى ذلك أفاض الغزالي في الزهد ، وأفاض المؤلف في التعريف بحقيقة الزهد عنده وعلامته وفضيلته

ودرجاته وأقسامه والغاية منه » — بل اذا ما جاء الى تعيين « المعين الذي استقى منه الغزالي » قال انه القرآن والحديث « والفيثاغوريون وأفلاطون وأرسطو » والفارابي وابن سينا وابن مسكويه » والراغب الاصفهاني صاحب « الذريعة الى مكارم الشريعة » » والانجيل والمتصوفون . وبهذه المناسبة يلوم الغزالي وقد « طرحت له نفسه أن يأخذ (في كتابه « معارج القدس ») ما سبقه به ابن سينا (في كتابه « النجاة ») فكرة وتعبيراً تقريباً دون أن يقف قارئه على مصدره » . ولكن يمكن الدفاع عن الغزالي بشهادة المؤلف نفسه : فقد قال من جهة (١٥٦) كثيراً ما أعربنا عن شكنا في نسبة « معارج القدس للغزالي » فاذا كان الكتاب منحولاً ارتفع اللوم . وقال من جهة أخرى (١٤٥) « ان مصدر الاثنين الاصلي هو ارسطو » ، فعلى فرض صحة نسبة الكتاب للغزالي لم يكن ملزماً بالاشارة الى مصدره لانه انما أخذ أشياء لم تكن ملكاً خاصاً لابن سينا بل كانت شائعة بعد نقل كتب ارسطو . ومثل هذا الاخذ كان مألوفاً عند الغربيين في العصر المتوسط

ويحاسب المؤلف الغزالي حساباً عسيراً على اشادته بالزهد ، ولكننا ندافع عنه في هذه النقطة أيضاً . يسأل المؤلف : « هل الغزالي بما دعا اليه من مذهب في الاخلاق جعل للزهد فيه رفيع الدرجات ، كان يرعى صالح الامة عامة أو صالح فئة خاصة ترجو الخير لنفسها وان أضرَّ ذلك بغيرها » ! ١٦٦) . ثم يقول . « وان أسعد أيام أمم الغرب التي تتقاتل في سبيل استعمار الشرق ، وخصوم الاسلام وأعدائه الذين يتربصون به الدوائر ، لهو اليوم الذي يرون فيه المسلمين آخذين — لا قدر الله تعالى — بمذهب الغزالي فيصيرون عدماً أو كالعدم في هذه الحياة » ! ١٦٩) .

نقول : هذا وضع المسألة خطابي أو جدلي ، على اصطلاح المناطقة ، وهذه خصومة خلقت من عدم . ليست المسألة مسألة صراع بين شرق وغرب — وكم كانت هذه الفكرة بعيدة عن ذهن الغزالي ! — ولكنها مسألة الانسان وغايته القصوى

فاذا ثبت ان آخرة الانسان روحية — وهذا ثابت عند الاستاذ — فقد صارت الدنيا بما فيها عدماً أو كالعدم وصارت الامة الزاهدة هي الرابحة السعيدة ، والأمة العالية هي الخاسرة الشقية . انه أكبر لو وجدت أمة تجمع على التزام حدود الله ، وتذهب في سبيل الكمال ، ليس فقط الى حد ايثار العدالة على القوة ، بل الى حد ايثار الاحسان على العدالة . ان أبناءها يكونون ملائكة تمشي على الأرض ، ونعلم بصلحون الأرض ومن عليها ! على أن الغزالي لم يفرض الزهد على الناس جميعاً . وقد سبق للاستاذ قوله انه ترك الحال تختلف ، فلا عداو عليه ان نصب الزهد مثلاً أعلى تندب له النفوس . بل ان للزهد معنىً روحيًّا يجعله واجباً

على الناس جميعاً ، هو عدم التعلق بالدنيا مع ضرورة استخدامها ، وما التجرد المادي سوى وسيلة للكمال لا الكمال نفسه

ولسنا ندري كيف صح عند الاستاذ ان زهد الغزالي « فقر وجوع وخمول وتوكل » حتى رأى حتماً عليه ان ينكره

***

أما محي الدين بن عربي (٥٦٠ — ٦٣٨ هـ) فتصوف كالغزالي ، ولكنه فيلسوف من نوع آخر ، يذهب مذهب وحدة الوجود ، فيرى « ألاّ موجود الا الله تعالى ، وان جميع الممكنات مظاهر له » (١٩٣) . فاذا تحدّث عن الموجودات ، واذا ردها الى أركان أربعة هي : الله ، والعقل الاول أو الكلي ، والنفس الكلية ، والجسم الكلي أو الهيولي أو الخلاء (١٨٤ — ١٨٧) فهمنا انهُ يتحدث بحسب الظاهر فقط ، وانهُ يصدر عن الأفلاطونية الجديدة (٢١٠) ما في ذلك شك ، ولا فرق بينهما ، حتى الفرق الذي يذكره الاستاذ حيث يقول : « الوجود في مذهب الأفلاطونية الجديدة حركة في خط مستقيم لا يلتحق آخره بأوله ، بينما هو في رأي فيلسوفنا حركة مستديرة ، وكل شيء منهُ ثم اليهِ يعود » (٢٠٠ — ٢٠١) فقد قالت الأفلاطونية الجديدة بالعودة كما قالت بالصدور . ويقارن الاستاذ بين وحدة الوجود عند ابن عربي وعند الاشاعرة (١٨٨) ، ويعرف وحدة الوجود ، والحلول ، والاتحاد (١٩٠) ويبين تأثر ابن عربي بالحلاّج مع فرق بينهما (١٩٩) . ونستطيع ان نقول ان ابن عربي ، في ذهابه مذهب وحدة الوجود ، متمشٍ مع نظرية الصدور أكثر من الفارابي وابن سينا اللذين أخذا بها ثم جعلا للموجودات حقيقة ذاتية ، مع أن الصادر عن شيء صدوراً ضرورياً صادر عن ذات الشيء ومحاكٍ له بالضرورة . وتتجلى عبقرية ابن عربي في تفصيل مذهبه ومحاولته تأييده بتأويل القرآن والحديث ، وقد أغرب في هذا التأويل أيما اغراب . نشبهه في ذلك بفيلسوف مسيحي ظهر قبله بأكثر من ثلاثة قرون ، جون سكوت اريجنا ، اصطنع الأفلاطونية الجديدة وألبسها ثوباً ملفقاً من آيات العهدين القديم والجديد وأقوال آباء الكنيسة ، وربما كان ابن عربي أكثر اغراباً منه . وقد لاحظ المؤلف انهُ « شرق في الكلام وغرب » (١٧٥) ، وانهُ « قادر قدرة فائقة على التوفيق بين الآراء المختلفة » (١٨٧) ، ولكن ليس يكفي القول انهُ حاول التوفيق بين مذهبه وبين الشريعة ، انهُ جرّ الشريعة الى مذهبه

وانى هذا ينتهي المؤلف حين يقدم على ابداء رأيه في الشيخ ، بعد تردد وتهيب ، فيقول : « يقوم مذهب ابن عربي على وحدة الوجود . . . وهذا الرأي لا يمكن ان يتفق مع الدين الذي يفرق تماماً بين الله والعالم . . . ولا يتفق كذلك مع العقل السليم الذي يأبى ان يجعل الله هو العالم كله حتى ما به من حيوان » (٢٣٣)

ويشرح الاستاذ آراء ابن عربي في الاخلاق ، فيبين مقصوده بالانسان الكامل (٢٠١) ويورد أقواله في النفس (٢٠٨ — ٢٠٩) وهي أقوال الافلاطونيين . ثم يبحث مسألة أصل الاخلاق : هل هي جبلية أو كسبية ؟ وهل هي قائمة على الشريعة ؟ فيعرض أقواله ويناقشها مناقشة دقيقة ، ويلاحظ ان القول بوحدة الوجود « لا يتفق واقامة الاخلاق على أساس وثيق . . . فما دام الله الذي اتخذني مظهراً له هو الذي يفعل .. كيف يستقيم أن أكون أنا المسئول ؟ » (٢١٥)

ويذكر رأياً لابن عربي يبدو غريباً إذ يقول : « ان الذي وصل الى درجة المحبة (محبة الله) يباح له أن يتجاوز حدود ما أنزل الله بعد أن لازم زمناً طويلاً حفظها ! وليس بعد هذا خطل وضلال وفوضى في الاخلاق » (٢١٦) . وهذا رأي صادفناه عند بعض مدّعي التصوف في غير مرة ، وحجتهم ان التعوّل على الروح فلا خطر ولا أثر لأعمال الجسم ! — ويثير مسألة ما اذا كان الله يحبنا لذاتنا أو لنفسه (٢٢٥) . وأخيراً يعود فيؤاخذ ابن عربي بما أخذ به الغزالي بعد غاية الاخلاق فيقول : « ان مذهبه كله نهايته التصوى السعادة الشخصية التي تكون بالاتحاد بالله . . . ما جدوى هذه السعادة للامة ان تأتت ؟ انها لا شيء إلا لذة عقلية ومتعة روحية يشعر بها من قدر له ان ينعم بها » (٢٣٨) وهل لنا بتلك المتعة الروحية شيئاً فليلاً ؟ أليست هي غاية الانسان كما هو انسان ؟ ولا خوف منها على الشؤون الدنيوية في حدودها المعقولة ، أي في حدود الاخلاق التي يعرفها الاستاذ ويدعو اليها

هل نحن بحاجة ، بعدما تقدم ، الى زيادة في القول للدلالة على قيمة الكتاب ومقدار ما وعى من مسائل عديدة دقيقة خطيرة صاغها المؤلف بمقدرة وأسلوب جديرين بالاعجاب ؟ فما بعد هذا الكتاب حدثٌ ملحوظٌ في انتاجنا العلمي الحاضر . وما التعليقات التي سمحنا لنفسنا بابدائها الا أمانٍ نرى الاستاذ قمناً بتحقيقها ، أو مشاركة في النظر لعلم انه أول من يرحب بها . وانا لمهنئه بهذا التوفيق ، ومرتقب بفارغ الصبر ما وعدنا به في آخر عبارة له من بحوث مقبلة

المقتطف ، — في باب الرسالة والمناظرة المقيب على هذا النقد العلمي من المؤلف

عوالم اخرى

كثيرة كأرضنا

يقول الدكتور جورج جامو أستاذ الطبيعة النظرية في جامعة جورج وشنطن ان العلماء تفذوا من دراسة النجوم في أقصى رحاب الفضاء ودراسة طبيعة الذرة ، الى رأي جديد في مبدإ الكون

وأصحاب هذا الرأي الجديد يذهبون الى ان الكون كما نعرفه، ولد قبل نحو ثلاثة آلاف مليون سنة . وان الطاقة التي تولدت منها مادة الكون كانت محشودة في ذرات مشعة ، عند ما كانت النجوم ، المتفرقة الآن ، مزدحمة في نطاق ضيق لا تميز بينها ، فكأنها جزيئات مادة مفرقعة في قنبلة ، فلما انفجرت القنبلة ، انتثرت الجزيئات ، أي تفرقت النجوم

واذا قيس عمر الأرض بعمر الانسان على سطحها كانت الأرض قديمة بالغة القدم . وكان الرأي قبلاً انهُ اذا قيس عمرها بعمر الكون ، كانت الأرض حديثة التكوين . ولكن أصحاب الرأي الجديد يذهبون الى أن قِدمها و قِدم الكون نفسه من مرتبة واحدة

ما عمرُ الارض ؟ إنَّ البحث الدقيق في الصخور المشعة أفضى الى القول بأن عمر الأرض نحو ٢٥٠٠ مليون سنة . وطريقة البحث كما يلي : — ان عنصر الراديوم يفقد طاقتهُ فقداً بطيئاً فهو يتحلل رويداً رويداً فاذا مضى عليه ١٦٠٠ سنة أصبحت طاقتهُ في نهايتها نصف ما كانت في بدئها

والسبب في فقد هذه الطاقة معروف . ذلك بأن الراديوم يتحوّل الى شيء ليس راديوماً فلندعهُ بنهاية الراديوم . فاذا أخذت قدراً من الراديوم الصافي تحوّل نصفهُ في أثناء ١٦٠٠ سنة من راديوم صافٍ الى نهاية الراديوم . واذن فطاقة الراديوم قد نقصت نصفها الآن قدر الراديوم الصافي نقص نصفه

فاذا أعطينا مزيجاً من الراديوم ونهايته ، كان في الوسع ان نعلم مدى تحوّل الراديوم حتى أصبح فيه هذا القدر من النهاية. فاذا كانت النهاية نصف قدر المزيج — أي أن قدرها مساوٍ لقدر الراديوم — عرفنا ان ١٦٠٠ سنة قد انقضت على انحلال الراديوم . فاذا كانت النهاية ثلاثة ارباعه علمنا ان عمل الانحلال مضى عليه ٣٢٠٠ سنة وهكذا

وما يعلم عن الراديوم من هذه الناحية يعلم عن العناصر المشعة الاخرى. فقد حدّد العلماء مدى انحلالها وتحوّلها من شكل الى آخر. فعنصر الثوريوم يستغرق ١٦٥٠٠ مليون سنة حتى يتحوّل نصفه الى نفاية. وعنصر الاورانيوم يستغرق ٤٥٠٠ مليون سنة

وفي قشرة الارض يعثر الجولوجيون على قدر من الاورانيوم ونفاياته في صخر من الصخور. وقد ثبت ان مقدار النفاية كان في كل ما وجدوه أقلّ من مقدار الاورانيوم نصفه — اي انه لم يمض على الاورانيوم ٤٥٠٠ مليون سنة وهي المدة التي يستغرقها لتحول نصفه الى نفاية

وبتحليل الصخور التي عثر فيها على الاورانيوم والثوريوم وجد العلماء ان عمرها اي (الصخور) هو نحو ١٥٠٠ مليون سنة. فاذا أضفنا المدة التي استغرقتها هذه الصخور قبلما تجمدت أمكن الحصول على عمر الارض. وقد قال اللورد رذرفورد انهُ لا يمكن ان يزيد على ٣٤٠٠ مليون سنة. ثم اذا بحثنا في الشهب والنيازك وجدناها تؤيد ما تقدم. ففي بعض الاحيان يعجز الهواء عن حرق نيزك من النيازك فيسقط الى الارض جلموداً يحدث في سطحها غوراً كبيراً. وقد وُجد ان هذا الرجم الساقط يحتوي غالباً على عنصر الثوريوم او الاورانيوم كلٌّ مع نفايته. ومقدار هذه النفاية يمكننا من حساب الزمن منذ ما تحجّر الرجم. هذا الزمن لا يمكن حسابهُ بدقة عظيمة ولكن ليس بين الحجارة التي امتحنت ما زاد عمره على ٢٩٠٠ مليون سنة منذ تحجره. ويعلمنا من رتبة عمر صخور الارض اي نحو ١٥٠٠ مليون سنة فنستطيع ان نقول بوجه عام ان طول الزمن الذي انقضى على تجمد السيارات وغيرها من اجزاء النظام الشمسي لا يمكن ان يزيد عن نحو ٣٠٠٠ مليون سنة

***

هل النجوم أقدم من الارض؟ وهل انفصال الكتل التي تألفت منها السيارات عن الشمس لم يتمّ الا في مرحلة متأخرة من النشوء الكوني؟ وهل تمّ هذا العمل بمصادفة باقتراب شمس من شمسنا فأحدثت فيها مدًّا عظيماً تحوّلت مادته الى عطارد والزهرة والارض والمريخ والمشتري وما يليها وما يتبعها؟

كان الرأي الغالب الى عهد قريب ان الاجابة عن هذه المسائل الثلاث بالايجاب. ولعلّهُ لا يزال الرأي الغالب وقد لخص العلامة جينز هذا الرأي في كتبه وفصوله في مجلتي «نايتشر» و«ساينس» فقال ما ملخصهُ: ان احتمال تألّب عوامل مختلفة لاحداث نظام شمسي كهذا النظام بعيدٌ جدًّا. فعلماء الفلك المحدثون يرون ان كتلة الشمس الأصلية الغازية كانت آخذة في التقلص لا سراع دورانها حتى أصبحت تميل الى الانشطار. والكتلة الغازية التي تدور

دوراناً سريعاً تميل الى الانشطار، لا الى تكوين مجموعة قوامها كتلة مركزية كالشمس وتوابع حولها كالسيارات . وهذا الرأي أثبتته جيمز بالتجربة في معامل الطبيعة . وبينما كانت الشمس في هذه الحالة اتفق مرور شمس كبيرة قربها — أي في حدود فلك السيار بلوتو — وكانت سرعتها متوسطة فسبقت شمسنا او شمسنا سبقتها . فأحدث جذبها مداً في كتلة شمسنا وما زال هذا المدّ يرتفع حتى بلغ درجة ، انتثر عندها مجاريّ من المادة اللطيفة ، وما لبثت هذه المجاري حتى تقلصت وأصبحت سيارات . ومضت الشمس الاخرى في طريقها . ونظام السيارات في مجموعتنا الشمسية ليس الاّ أثراً من آثارها

وتألب هذه الحوادث غير محتمل حتى في حياة النجوم الطويلة . فان توزع النجوم في الفضاء شبيهٌ بعشرين كرةً من كرات «التنس» موزعة في فضاء كروي قطره ثمانية آلاف ميل. واقتراب الشمس المذكورة من شمسنا هو في منزلة اقتراب احدى هذه الكرات من الاخرى حتى تصير على بضعة أمتار منها . ويرى ادلنتن ان احتمال وقوع اقتراب كهذا كنسبة واحد الى مائة مليون . فبحسب هذا الرأي تكون النجوم أقدم كثيراً من الارض ، وتولد الارض وسائر السيارات على النمط السابق ليس أمراً مألوفاً في الكون

ولكن الدكتور جامو يقول (في مجلة خلاصة العلم ، مايو ١٩٤٢) ان أصحاب الرأي الجديد يجيبون عنها بالنفي ! فهو يقول ان بحث مسائل الطاقة الشمسية بحثاً دقيقاً يحمل على القول بأنه لا يحتمل أن يكون عمر الشمس أكثر من ثلاثة الاف مليون سنة ، فكأنها وُلدت هي والارض في عصر واحد تقريباً . وخلاصة هذا الرأي أنّ الحقائق المعروفة عن عمر الارض وعمر الشمس تشير الى أن كيانهما كما نعرفه الآن، لا يرجع الى أكثر من ألفي مليون الى ثلاثة آلاف مليون سنة . وان صورة الكون قبل ذلك كانت تختلف تماما عن صورته الآن

ولكن اذا كانت الشمس والارض توأمين كونيين أفلا يجوز أن تكون أجرام أخرى في الكون أقدم من احداهما هذا سؤال معقول ، ولكن الغريب ان الاجابة عنه بالنفي كذلك

فالبحث الفلكي الحديث يشير الى أن الكون بردّه أصلاً الى كتلة محشوكة انفجرت قبل ألفي مليون الى ثلاثة آلاف مليون سنة وأخذت أجزاؤه تتفرق . وقد بين الفلكي الاميركي « أدون هبل » ان المجرات بعيدة ، معدّة في الابتعاد عنا وإحداها عن الاخرى بسرعة عظيمة [1] وقد قاس هذه السرعات

واستناداً الى بحوث هبل لم يعسر على علماء الفلك الطبيعي تعيين الزمن الذي كانت فيه

(١) راجع المجرات الخارجية ، صفحة ٢٥ — ٣١

اجزاء الكون محتشدة في نطاق ضيق — نسبيًا — فلا تميّز بعضها من بعض . وهذا الزمن هو قبل ثلاثة آلاف مليون سنة

ومعنى هذا ، أن عمر الارض من رتبة عمر الشمس ، وأن عمرهما من رتبة عمر الكون كما نعرفه

أي ان الارض انفصلت عن الشمس في الايام الاولى من ولادة الكون كما نعرفه الآن ؛ أي في الزمن الذي انفصلت فيه الشمس عن قطع الهيول الكبيرة المنتشرة في الفضاء

أي أنه جاءت فترة في مستهل خليقة الكون — كما نعرفه الآن — كانت فيها كتل الكون والشموس المتولدة منها ، مندفعة في كل جهة ، فكانت الشموس تصطدم بعضها ببعض لأن النطاق الذي كانت تتحرك فيه كان ضيقاً ، قبل اتساعه بابتعادها بعضها عن بعض . والمرجح ان الاصطدام بين الشموس كان كثير الوقوع

وقد تقدم ان علماء الفلك الحديث يذهبون الى أن ولادة النظام الشمسي نشأ عن اقتراب شمس من شمسنا فأحدثت مدًّا كبيراً في سطح كتلتها بفعل التجاذب وما لبث هذا المدُّ حتى انفصل ، ثم تقلص وتكونت منه السيارات . ثم انهم يذهبون الى ان بُعد الشموس بعضها عن بعض ، يجعل احتمال اصطدام واحدة منها بأخرى بعيداً جدًّا ولا يزيد على مرة في مائتي الف مليون مليون سنة [1] . وهذه الحقيقة هي التي حملت علماء الفلك على القول بأن احتمال وجود مجموعات أخرى من السيارات كمجموعتنا بعيد

ويقيمون دليلاً على ما تقدم بأن ما رصد من النجوم يشير الى أن النجوم المزدوجة في رحاب الكون اكثر من النجوم التي حولها مجموعة من السيارات[2] . اما الآن ، فالتفسير الجديد ، يجعل احتمال تولد مجموعات من السيارات من شموس كثيرة احتمالاً غير بعيد . لأن الاصطدام بين الشموس — وهو الذي يحدث المد فتتولد السيارات منه — كان كثير الوقوع عندما كانت الشموس في نطاق ضيق . ويؤيد هذا ان عمر الارض وعمر الشمس وعمر الكون كما نعرفه من رتبة واحدة ، أي نحو ثلاثة آلاف مليون سنة

فحسب هذا الرأي ، يجب ان يكون في رحاب الفضاء وحول طائفة كبيرة من النجوم عوالم كثيرة كأرضنا وسائر السيارات التابعة للنظام الشمسي

---

(١) كتاب : درب التبان The Milky Way تأليف الاستاذ جنز ترجمة الاستاذ عبود

(٢) مجموعة العلم لمحمد احمد الاشقر في الكون : صفحة ٨٦ — ٨٧

المدخل

الى علم الحيوان

للاب أنستاس ماري الكرملي

١ — ﴿ تصدير ﴾ لما أخذ علماء اللغة بتدوين الالفاظ العربية ، كانت غايتهم تفسير ما ورد في الآيات القرآنية ، والاحاديث النبوية ، وما غمض من كلم الاقدمين في شعر الجاهلية ، وأما ما عدا ذلك فكان يُهمَل ، ويشار اليه اشارةً خاطفةً كقولهم : نبات ، حيوان ، طائر ، حشرة ، هامّة ، أو نظائر هذه الالفاظ التي لا تنفع ولا تضر

ثم لما ازداد العمران ، وتبحّر الناس في الحضارة ، أرادوا أن يتحققوا بعض الامور ، لتفهُّم ما يقوم عليها من الخير والضير ، والجَذْب والدفع ، كقولهم : نبات ينفع لكذا ، أو لطرد المرض الفلاني . — وهذا حيوان ، سامّ ، أو مؤذٍ ، أو ما شابه هذه الاشارات المفيدة بعض الفائدة ، أو كل الفائدة ، حتى كان عصر الرشيد والمأمون ، فاذا بالناطقين بالضاد يحاولون اللحاق بأبناء يونان ، ليقفوا على أسرار الطبيعة ، وما في زواياها من الخبايا ، واذا بهم سبقوهم في أمورٍ لا تحصى ، فكان لهم القِدح المعلى والسهم الاوفى

بقي ثمّ أمر لم يقدروه كل التقدير ، هو علم الحيوان ، فان السلف لم يدقّقوا النظر في ما كتبوه ، ولا في ما دوّنوه ، إذ أهملوه بعض الاهمال ، ولما انتبه نفرٌ منا الى دراسته لمسوا أموراً شتى ، كان عليهم أن يعرفوها معرفة تامة ، حتى لا يخبطوا فيها خبطَ عشواء ، وهو مما يؤسف له . وكنا قد نشرنا ، قبل نحو أكثر من ستّين سنة ، في إحدى المجلات أو احدى الصحف ، من غير أن نتذكر تذكراً جليًّا ، ملاحظات تفيد من يعنى بدرس علم الحيوان عند العرب . وقد سُرقت منا جميع الكتب والمجلات والجرائد التي كانت في خزانتنا ، وذلك في الحرب العظمى الاولى ، فلم يبق منها ورقة في ٧ آذار (مارس) ١٩١٧ وقد وقف عليها في وقتها كثيرون ، فاستفاد منها جماعة . وأما أغلب الناس ، فلم ينتفعوا بها البتّة . وها نحن أولا . ندوّن الآن ما يحذرنا منها ، لأن الرغبة في إتقان هذا العلم ، اشتدت في معاصرينا ، في هذا العهد ومن ثمّ ، فان أرادوا أن يأمنوا العثار ، فعليهم أن يسلكوا الجدد ، وهم

لا يوفقون إلاَّ بعد معرفة ما يوصلهم اليه، ولا يوصلهم اليه إلاَّ الوقوف على هذه الملاحظات التي هي نتاج دروس سنين عديدة

٢ — في الملاحظة الاولى معنى الذكر والانثى في قول اللغويين : هذا الحيوان هو الضخم ، والكبير من الحيوان الفلاني ، وهذا الحيوان هو الصغير من الحيوان الفلاني ، وهذا ذكرُ الحيوان الفلاني ، وهذه أنثى الحيوان الفلاني ، لا يراد بالضخامة والكبر والعظم ما تفيده كل لفظة من هذه الالفاظ ، ولا الذكورة ولا الانوثة ، نعم قد يكون ذلك بمعناها المألوف وقد يراد بها أيضاً ضرب من الحيوان فيه شبه من الحيوان الآخر. فقد ورد (الذكر) بمعنى الضخم لا غير ، وان كان أنثى ، وقد وردت (الأنثى) بمعنى الصغير من الحيوان وان كان ذكراً ، لكن كل ذلك ليس من المستعمل في كل حين ولا في كل عبارة ، انما قد يرد هذا الاستعمال بعض الاحيان فيجب أن ينتبه له القارىء

و (الذكر) في علم النبات معناهُ الصلب منهُ . فقد قالوا مثلاً : الجُمَّيْز : التين الذكر ، مع ان الواحد غير الآخر ، وان كانا من فصيلةٍ واحدةٍ ، إذ لكل منهما ثمر خاصٌّ به ؛ لكن خشب الجُمَّيز أصلب ، وأقوى ، وأبقى من خشب التين ، ولهذا قيل انهُ التين الذكر — وقالوا الأرزُ : ذكر الصنوبر ، مع انهما شجران يختلف أحدُهما عن أخيهِ ويختلف ثمر الواحد عن ثمر الآخر ، انما الذي دفعهم الى القول بالذكورة هو صلابته لا غير ، لا بل رأوا الذكورة والانوثة في الحديد ، وسائر المعادن فاذا كان الحديد صُلباً سمّوه (ذكراً) وإلاَّ فهو (أنيث) في نظرهم . ويقال : (ذكور البقول) ما غلظ منها وكان ضاراً الى المرارة ، لكنهم لا يقولون اناث البقول ، بل (أحمرارها) : وهي ما كان بعكسها

والعجب كل العجب : انهم قالوا ذكراً ما هو أنثى ، وقالوا أنثى ما هو ذكر . وأبناء العرب لم يتوهموا هذا الوهم . فقد قال الجاحظ إن اليعسوب أمير النحل ، وذكرها ، والرئيس الكبير لها ، كالعسوب ، مع ان ليس للنحل أمير ، بل أميرة ، لكنها لما كانت ضخمة ، والضخم عندهم يسمّى (ذكراً) ، قالوا . هو أمير النحل . والعوام يظنّ العوام في جميع البلاد العربية . لسان : ان ذا الجُمَّيز من الزمابير هو الذكر . مع ان الحقيقة ان الانثى هي ذات الحمّة . وليس للذكر حمة [١] أي إبرة

و (الذكر) من الطيب : ما لا يلوّن الثياب عند استعماله ، مثل المسك ، والعود ، والعنبر ، والكافور ، والزبد الطيبة الافرنجية المصرية ، التي لا تلوّن الثياب. وأما المؤنث

---

[١] ... الزنبور الذي لا حمة له أي الذكر : ومما ورد من مذكر وصفين الفراش يقال ذكر له أو رجله خيط ولصوص به . لانهم يسمون ذكر بعد ذكر ، ومما أكثر الذين يسمون ذكورة الابر لجهلهم انها في الظاهر

من الطيب فهو الذي يلوّن الثياب كالخلوق : والزعفران وكل ما يُستعان فيها أثراً للونه [٣]

٣ — ﴿ الملاحظة الثانية : لفظة واحدة لعدة حيوانات ﴾ قد تأتي الكلمة الواحدة دالة على عدة حيوانات ، فلا يحسن بالاديب ان يحصر معناها بحيوان دون حيوان آخر ، فهذا سوء تصرف في اللغة ، وتحكم فيها ، والكل يقضون عليك بأنك تتعدى حدود الحقوق وتجحف بها ، لأن هذا الاختلاف في المعنى ناشيء من اختلاف القبائل ، ولغاتها ، أو من اختلاف الربوع التي نزلوها ، فقد تعني الكلمة القلابة كذا ولا تعني هذا المعنى في البلد الآخر

(فالمرجان) مثلاً يعني في العراق كله ، وخليج فارس ، هذه الهنوات او الحرزات الحمر التي تنبت في البحر ، ويسميها بعضهم (البُسَّذ) [٣] . وكان معناها عند الأقدمين ، صغار اللؤلؤ أو اللؤلؤ عامة : وهي شديدة البياض ، وليس فيها أثر للحمرة ، وقد نقلها الازهري في تهذيبه بهذا المعنى ، وأبو منصور امام أئمة اللغويين ، وهي بهذا المعنى تعريب اليونانية margfarites. واما (المرجان) عند المصريين فمعناه ضرب من السمك يكثر في بحر الروم ، وهو بهذا المعنى تعريب اليونانية pageros بعض قلب وابدال ، كما لا يخفى

فهل يجوز ان يقال بعد هذا : لا يعني (المرجان) إلاّ البُسَّذ ، أو (المرجان) هو اللؤلؤ لا البُسَّذ ، ولا ضرب من السمك ، أو (المرجان) ضرب من السمك لا غير ، فهذه كلها جنايات على اللغة وعلى المتكلمين بها ، وعلى اهل البلاد المختلفة . زد على ذلك ان تحكمه هذا لا يغير امراً من الناطقين بها ولا شيئاً من معانيها

والعربية كثيرة الالفاظ الدالّ واحدها على حيوانات مختلفة . ونحن نذكر بعض الامثلة منها :

(المسبل) الاسد ، والنمر ، والذئب ، لانهُ يعيل سيداً اي يلتمس

(العيلم) : (بالعين المهملة) الضفدع ، والضبع الذكر . (الغيلم) : (بالغين المعجمة) الضفدع والسلحفاة الذكر . (العلجوم) : الضفدع الذكر ، والقرّاد ، والظبي الآدم ، والظليم والكبش ، والوعل ، والثور المسنّ ، والحيّة الذكر ، وطائر أبيض ، والشديد من الابل ، أو خيارها

(الهجرس) : القرد ، والثعلب ، او ولده ، واللئيم ، والدب ، وكل ما يعسعسُ بالليل مما كان دون الثعلب وفوق اليربوع (وهذا الاخير يدل على حيوانات كثيرة)

(الفراقر) : ولد النعجة والماعزة . والبقرة الوحشية ، أو هي الخرفان والحملان ، والذي يكسر كل شيء ، والغلام الشابّ والرجل الاخرق ، والفرس الذي يفرغ اللجام في فيه ، والأسد الذي يفرفر قرنه . والشواهد من هذا القبيل لا تكاد تحصى لكثرتها

---

(٣) هذه المعاني لا ترى إلا هنا في معجم لغوي فقط

(٣) اي لا أعلم كيف يؤلف معجم في الحيوان ولا يتعرض لمذكره (الفرس ، الجمل ، أو يعني اللؤلؤ ، هي ما في كتب متون اللغة . ولا يذكر في ديوانه (اللغة) ويذكر (الدينة)

﴿ ٤ — الملاحظة الثالثة : اقتباس العرب الفاظاً من الاعاجم ﴾ قد يستعير العرب الفاظاً من الاعاجم بمعناها ومبناها معاً ، وقد يستعيرونها بمبناها دون معناها ، وقد يستعيرونها بمعناها دون مبناها ، وقد يستعيرونها للفتهم ويتصرفون فيها كل التصرف ، من زيادة وحذف ، من قلب وابدال ، من تصحيف وتحريف ، حتى ليتعذَّر على الباحث معرفة الاصل المأخوذة منهُ ، وعندنا على اثبات ذلك من الشواهد ما يقع في مجلد ضخم ، ولا بد لنا من ذكر شاهد واحد على كل ما أشرنا اليه . فمثال الاول الفستق والقاز والجندبادستر — ومثال الثاني : الطهماي والزرجون والجريال — ومثال الثالث : الفاعوسة (بمعنى النار) والآنية (بمعنى الماء) والفاز (بمعنى الزيت المطبوخ) — ومثال الرابع : السيدلي والشفاوج والفشا والأدرة والقبيلة والبيرشت والسوار ، — ومئات من الالفاظ لا تحصى ولا تحصر

﴿ ٥ — الملاحظة الرابعة : قد يُعرَّب لفظ مع وجود ألفاظ مترادفة له ﴾ قد يعرب لفظ مع وجود ألفاظ مترادفات له من دخيلة ، ومعربة وعربية . فالعرب عرفت البلَّح ومن اسمائه عندهم البُسْرُ ، والمكلفة ، والشَّيْص ، وكاسر العظام ، ومع ذلك قالوا : الهُمَّا والهُمَّاي والهمايون والفيشة ، والثلاثة الاولى من الفارسية والرابعة من اليونانية — وقالوا الطرار وعندهم العندليب ، والعندليل ، والمُزَّة ، والمسهر ، وابو هرون . — وقالوا : الخشفاء وقد ذكرها الثعالبي في كتابه الاطائف ، مع ان السلف كانوا قد سبقوه الى اتخاذ اليَعْسُر ، بياء مثناة تحتية مفتوحة يليها عين معجمة ساكنة فراء ، وصحفوها (يعر) و(يعروا) و(يغروا)[٤١] ولم يكتفوا بذلك . فتفننوا في تصحيفها فقالوا : خشْقاو ، وخشفاء ، وحشفاو ، وفطاس ، وفطاش ، وقوتاس ، وقوتاش ، وقوطاس وقوطاش ، الى ما لا يحصى ذكره . وقالوا فيه ايضاً ثور العُزّ ، وجامرس العُزّ . فيجب طَرْح المصحَّف ونبذه نبذ النواة ، وحفظ غير المصحَّف ، اي حفظ الرواية الصحيحة ، وان كثرت المترادفات ، أي انه يؤخذ يَعْسُر وخشفاء وقُطاس ويهمل ما بقي من تلك المصحفات . لان ما صحَّ من الكلام كتبته ولغات أهالي بعض البلاد والقبائل يختلف بعضها عن بعض ، ويجب ان تراعى حقوقهم . اما سبب كثرة المعرَّب ، فلان

---

٤١ جاء في احد المعاجم الافرنجية العربية في علم الحيوان ان اليعفور (أو اليعر) الوارد في قصيدي ما هي إلا تصحيف (يغفر) وهي كلمة فارسية تعني الزيزفون أو الغزيرة ، وزاد صاحبه على ذلك قائلا : « أو من حطي بياض الاول الذي أخذ عن الصيني » . اه — ثم ان الكلمة بعد الوهم بصحته في الكلمة الانكليزية Yaffer (ياف) . وليس هناك وهم . وقد نشر مقالة في هذا المقتطف (التي تصدر في مصر (١٩٠٠ : ٢٤٥) ان اليعفور (بضم الياء المثناة) وصحفت (الى اليعسوب) هو الحيوان المسمى باك وهو القرطاس والقاقم والقوطاس وغيرها من تحريفاته ، ولم يتضح لنا السبب . وقد جاءت اليعفور مصحفة في كتاب المؤنسة والامتاع (١ : ١٦٤) بصورة (يعروا) وهي لم ترد في كتب عربي

الواحد منهم يجهل ما وضعهُ من تقدمه ، او يجهل الفاظ الناطقين بالضاد . أو أنه غير واقف على ما عرفه الاسبقون في الموضوع الذي يعالجه ، الى غير ذلك من الاسباب التي قد تخفى علينا الآن ، لأننا أضعنا في بيئة غير بيئة من جاء قبلنا

٦ — ﴿ الملاحظة الخامسة : يجب ان يكون تأويل المعرّب مجرداً من الهوى ﴾ كثيراً ما يسوق الهوى صاحبه سوقاً بلا هدًى ، فلا تكن من أهل الغرض ، لئلا تعمى وتصم . فقد ذكر لي أحد محبي الفرس ان الجريال فارسية ، مركبة من كلمتين ، من (جر) وأصلها (زر) أي ذهب . و(آل) أي لون . فيكون معناها ما كان لونه لون الذهب . وهذا شرحها العرب بقولهم : « الجريال بالكسر : صبغ أحمر ، وحمرة الذهب ، وسُلافة العُسْفُر وما خَلُصَ من لون أحمر وغيره ، والطَّسْرُ أو لونها ، كالجريالة فيهما (القاموس) — على ان الجريال من أصل يوناني هو korallion وهو المرجان ، أو البسذ ، يكون معناه : كل ذي لون أحمر كالمرجان ، فيصح على الجامد والسائل

أما المأخوذ من الفارسية وهو بهذا المعنى أو يكاد ، فهو الزَّرْجُون فقد جاء في القاموس شرحاً لها : « الزرجون : محركة : الخمر ، والكرم ، أو قضبانها ، وصبغ احمر » والكلمة منحوتة من (زر) الفارسية بمعنى ذهب . و(گون) أي لون . فيكون معناها ماكان لونه لون الذهب ، فيصدق على الخمر والصبغ الاحمر

٧ — ﴿ الملاحظة السادسة : قد يبين أصل الكلمة فروق الحيوان ﴾ يظن بعضهم ان لا فائدة من درس أصل الالفاظ الدالة على الحيوان . وهذا وهمٌ كبير ، لان درس أصل الكلم يهدينا الى ان هذه الترادفات هي غير مترادفة في الحقيقة فالشفنين ، والترغل ، والترتور والقمري ، والنواح ، والناحتة ، وساق حرّ ، والعُسْلُس ، والأمن ، هي كلها حمام ، الا ان الواحدة ، تختلف عن اختها ، بالنظر الى الأصل المأخوذة منهُ

(فالشفنين) كلمة مصرية الأصل من (شفن) وقد وجدت مكتوبة بجانب صورة الشفنين) الذي معناه اليمام ، أو لنوع منه صغير الحجم ، وكثيراً ما يقيم فوق المخل في دير النيل ، والشُّفْنين بضم الشين ، وكذا يلفظه أهل بغداد . وكذا ضبطه صاحب التاج في مستدرك شفن ، فهو بخلاف ما جاء في بعض الكتب كمحيط المحيط ومن نقل عنه . فقد ضبطت فيها بالكسر وهو غلط . قال ابن البيطار هو المسمى باليونانية [illegible]

و (الترغل) بضم التاء واسكان الراء وضم الغين وشد اللام ، ويقال (الدرغل) بالدال في مكان التاء ، و (الطُّرْغُل) ايضاً أي بطاء في الاول و (الأُطْرُغُل) . أي بضم الهمزة واسكان الطاء ، وضم الراء والغين ، وفي الآخر لام مشددة ، ولم يذكر منها القاموس والتاج

الأخيرة نقلا : « بعد الضبط الذكور الاطرغلات : الدباسي والقهاري والعلاصل ذوات الاطواق. قال الأزهري : ولا أدري أمعرّب أم عربي » اه . فلنا هي تعريب اليونانية trugôn التي مرّ ذكرها وكان يجب ان تختم بالنون فختمت باللام ومثل هذا الابدال كثير في المعرّب

و الترتور كلة لاتينية تعريب turtur ومعناها الفاختة ، او الترّاح

وأما (القمري) فمنسوب الى جزيرة من جُزر القمر ، والواحدة قمرية . قال ذلك شيخ الربوة في ص ١٦١ من كتابه نخبة الدهر ، وهذه عبارته معدداً جزُر القمر : « وقمرية ، والبها ينسب الطير القُمْريّ ، وهو نوع من الحمام »

قلنا : والقمري يمتاز عن سائر المطوّقات بأنهُ يهدر ليل نهار بخلاف سائر الانواع جميعها (والنوّاح) كشدّاد هي الكلمة العربية الصحيحة الوضع ، فهو ينوح ويطرب لغناء نفسه على ما قالوا ومن اسمائه العربية الوضع : (ساق حُرّ) قال ابوحاتم في كتاب الطير ، عقيب ذكر القمريّ : إنهُ يضحك كما يضحك الإنسان وساق حرّ كالقمريّ يضحك ايضاً ، وسمي بصياحه « ساق حرّ » (عن تاج العروس) وقال في المخصص (٨ : ١٥٣) : « لا تأنيث له ولا جمع » — ونزيد على ما تقدم ان الذي يضحك هو الانثى ، ولهذا سمي بلسان العلماء turturisonus اي الترتور الضُحَكة لكثرة قهقهته وضحكه والترتور يقع عندهم على الذكر والانثى . إذن ليس كل ترتور ، أو لا كل فاختة تسمى بلسان العلم «الترتور الضحكة » بل القمري فقط ، دون سائر المطوقات . فليحفظ وليقيّد

والفاختة عندنا من اليونانية الاتيكية phatta بهذا المعنى عينه . وقد أقام اليونان السلوقيون في العراق مدة ١١٧ سنة وأبقوا شيئاً من علومهم ، وآدابهم ، ولغتهم . وهذه الكلمة تُرى في العراق منذ عصر اليونانيين المذكورين الى يومنا هذا ، فهي اذن من أقدم الالفاظ في هذه الديار ، وهي خاصة بالعراق ، ومعروفة فيه ، دون سائر البلاد العربية اللسان

ومن أسماء الفاختة : (الصُلْصُل) وهي تعريب تُرتُر turtur اللاتينية ، فعربت بصورتين ، صورة اصلية ، وهي (تُرتُور) وصورة على لثغة جعل التاء صاداً اي (صُلْصُل) قال في المزهر (١ : ٢٧٠) (طبع بولاق) : جعل الصاد تاء لُثغة عند العرب ، من ذلك : خصٌ ورق الشجر وانحتّ إذا تناثر وحكى ذلك نقل الغربيون كلة صور الى تور ١٩٣ من هذه الطبقة القديمة

ومن اسماء الحمام : الأدْن بهمزة مضمومة ، فدونين والاولى منهما مفتوحة . وهو كالحمام إلا انهُ أسود لامطوق كطُرَيْق الدُبَسّي ، احمر الرجلين والمنقار . صوته أنين : أوه : اوه . (تاج العروس) وقد عدّت أسماء أخر . اكتفينا بالاشارة الى اشهرها في الكتب . خوفاً من احداث ملل في القارئ

(يتبع ثمة)

من الادب اليوناني

الدمعة

في صباح يوم من أيام الربيع الدافئة ، ذرفت مقلة الفجر دمعة صافية ؛ أصابت ورقة تينة يابسة على جانب طريق موحش في سفح مقفر . دمعة نقية مثلألئة تظهر للقريب مسة براقة وللبعيد نجمة لماعة

مرَّ بها ملك يحف به الجند والاتباع ، فقال وقد رافه منها ذلك الاشعاع ، إن في تاجي من الجواهر ما لا يثمن ، وفيه من لآلىء الشرق الساحرة ما يزري بدموع غوان صهرها لهب الدفين . ولكنني أتخلى عنها كلها مسروراً لو تتاح لي ان أعتاض منها بهذه الدرة اليتيمة لاجعلها شعاراً لملكي العظيم ومجدي الأثيل

سمعت الدمعة السماوية ما قال الملك وظلت شاحبة ولم تحفل بتاجه ودرره .

ومرَّ بها صليبي مدجج بسلاحه وعلى جسمه دوع ذهبية الزرد فقال وحق الصليب المقدس لا يليق بدرة كهذه إلاَّ مقبض حسامي فأسير بها في ساحات الجهاد ومن نصر الى نصر حبًّا بفادي الانام ومتى رجعت أجعلها قلادة في عنق حبيبتي فتكون عوذتي في جهاد الحروب ونصيري في امتلاك القلوب

سمعت الدمعة السماوية ما قال الصليبي وظلت صامتة يغمرها الرجاء ولم تعبأ بوعوده وعظمته . ومرَّ بها شيخ بقافلة يحمل ما خف وغلا من الكنوز فصاح يا لاسرائيل ما كنت أسد ملكاً على ما حشد من أموال ولا بحراً على ما حوى من لآلىء ، ولكنني تجاه هذه الدرة الفريدة أرى يدي الشحيحتين تجودان ولا أسف بكل ما أملك من كنوز وتحف

سمعت الدمعة السماوية ما قال اليهودي ولم تأبه لكنوزه وتحفه ، وكانت تحت اتينة عوسجة صغيرة ذاوية تشرئب مدلة مختها من رحمة الله فقالت تعالي أيتها الدمعة السماوية روي جفاف تربتي بحق الاله فكلما ضرعت اليه تزيدني شمسه جفافاً وانا بين الصخور لم أسمع زقزقة العصافير ولا لامست نعومة الاعشاش اغصاني ، اذ لا غصن لي يجثم عليه العندليب ولا ظلّ لي يؤمه بحبيبه الحبيب ، فأغيثيني أيتها القطرة السحرية ان لي بك غنى عن كل مال

سمعت الدمعة السماوية ما قالت العوسجة فاختلجت وسقطت منهمة صامتة

وبعد قليل من الزمن رأى الناس معجبين ان الحياة قد عادت إلى تلك العوسجة الذاوية ورقت وأزهرت زهوراً كجراح الحبوب وجاء النحل يمتص الشهد منها كما يجتنيه من أزهى الورود

فضائل الصلاة

الصحية

للدكتور شوكت موفق الشطي

— ٢ —

ج — نظافة الأذن والوضوء : من المعلوم ان الجلد في صماخ مجرى الأذن يفرز بعض مواد دسمة صفر اللون هي الآف او الصملاخ (وسخ الأذن) وتشبه وظيفة هذه المادة وظيفة المخاط في الانف من ضبط الغبار والجراثيم التي تدخل بالهواء فتنظفه غير انهُ ان أهملت في هذا المجرى تراكمت وكوّنت مع ما يضاف اليها من الاقذار الخارجية سدادة كبيرة قد تسد المجرى كله وتسبب الصمم لحاملها فلذلك يجب عدم اهمالها . ولا يجوز أيضاً اهمال نظافة الأذن خارجاً ولاسيما الكفاف أي صيوان الاذن لان تلك الإمات[1] والعفون المنتشرة فيه يجتمع في وهادها كثير من غبار الهواء وأقذاره ولاسيما في الزوايا المنخفضة منها وهذا ما يدعو الوضوء الى ملاحظته فتنظيفه

د — نظافة العينين والوضوء : لا جرم ان للعينين في الوجه المقام الأسمى وهما مصونتان بحصون طبيعية قوية كالحاجب والأهداب والأجفان وما فيها من الدمع ذلك السائل الطهر الجزيل النفع . وكما ان العين بما وليها بين حصونها هذه ، تكون مصونة من شر كثير من الطوارىء وقد تكون بذلك عرضة لاجتماع كثير من الاقذار حولها بما يتراكم في زواياها من غبار الهواء وبقايا الدمع او بعض مفرزات العين التي تجتمع في الآماق وتكوّن تلك المواد الخاصة المعروفة بالرمص أو التعمص وهي مواد لاشك في انها اذا أهملت كانت سبباً في تخريش تلك الناحية وبؤرة للاختمار بتأثير تلك الجراثيم وكثيراً لعوامل الرمد المختلفة التي يجلبها الهواء أو بعض الحشرات التي تستطيب ذلك من الأقذار كالذباب وفي ذلك ما فيه من الضرر والقذارة ويكفي في نظافة العينين خارجاً نظافة الوجه اجمالاً بغسله بالماء مع العناية بنظافة تلك الزوايا وهذا ما تحقق بغسل الوجه في الوضوء

---

(١) الامات جمع امت وهو القشرة القليل

هـ — نظافة الانف والوضوء : فلما تختلف نظافة الأنف عما مرَّ في الأذن لأن وظيفة المخاط في هذا العضو المهم كوظيفة الأذن في الأذن أو أعم وأكثر . وترفع هذه المواد بالاستنشاق فالاستنثار او المخط وهذا ما يدعو اليه الوضوء ويتم به

يتضح مما تقدم ان الغسل والوضوء يحققان أقصى درجات النظافة الواجب اتباعها في نظافة الجلد والايدي ونظافة الوجه والفم والأنف والعينين والأذن والقدمين وهذه النظافة أهم الاسس التي قال عنها العصريون الخبيرون من الأطباء بأنها كانت وسيلة تعميرهم وسبب دوام صحتهم ونشاطهم

و — فوائد الغسل العامة : ما الغسل الذي فرضه الاسلام في احوال كثيرة الاستحمام ووسيلة لنظافة البدن نظافة عامة ويكون بماء بارد ودافئة وحارة

اولاً — الغسل بالماء البارد : حرارة الماء فيه بين (٥ — ١٥) له فعل منبه عام يخفض الحرارة ويعدّل النبض والتنفس ويزيد في الاحتراقات الرئوية ويظهر أثره بادىء ذي بدء برعشة ثم يهيج الجلد ويقشعر البدن ثم لا يلبث هذا كله أن يتبدل ، فيعود للجلد لونهُ وتقف الرعشة وتزداد سرعة النبض التباطؤ وينشط التنفس . وأسباب ذلك هو ان حرارة الماء المنخفضة عن حرارة البدن تسبب تقبض العروق الشعرية المنتشرة في الجلد عند تماسها ، وبسبب تلك الرعشة يندفع ما فيها من الدم وهلة الى الداخل فيكثر العمل على القلب ، فيضطرب لذلك ويدفع ما فيهِ الى الرئة عاجلاً دون تهيؤ لذلك فتضطرب ولا تلبث ان تنأهب له بالسعة والنشاط ، ثم تعود أعمالها وأعمال القلب الى حال طبيعية اذا كان هذان العضوان سليمين ويجدان في العمل ع ... الطاقة ، مدة طويلة أو قصيرة ، ويحس الشخص عند الفراغ من الغسل بحرارة عامة فيحمر الجلد ويتسع التنفس ويمتلىء النبض ويزداد نشاط العضلات وقوتها ، كل ذلك من رد الفعل المفيد الذي يحدث أثناء هذا الاستحمام ويستمر فيما بعده . ويمكن تسهيل هذا الارتكاس بدلك الجلد أو بالتحرك حركة ما رياضية خفيفة وأحسنها الصلاة او المشي السريع أو ما شابه . ويحسن الاغتسال بالماء البارد للشبان والكهول الأصحاء فيفيدهم قوة ونشاطاً على انه يشترط ان لا تكون مدته طويلة أي دقيقتين أو خمس أو عشر دقائق لا أكثر وان يسبق بحركة معتدلة ويعقب بمثلها ولا يجوز الاغتسال بالماء البارد للمصابين وأصحاب الامراض القلبية والكلوية والضغط الشرياني والاحتقانات الحشوية مطلقاً والمنهيئين للزف أو نفث الدم وكذا الشيوخ الا من اعتاد ذلك منهم ولا يجوز للاطفال أيضاً

ثانياً — الغسل بالماء الدافىء : حرارة الماء فيه بين ٢٠ — ٣٠ تتقبض فيه العروق أولاً تقبضاً سريعاً ويتلوه تساع في العروق يعدد الدم ويخفض الضغط وينقص من عدد كريات

الدم البيض والحمر ويخفف من لزوجته ويزيد نسبة الفضلات الحامضية فيه فترتفع الحرارة ارتفاعاً لا يدرك إلاّ بأجهزة خاصة وتنقص حظرة Turgidité العضلات وتنشط المبادلات التنفسية وينشط الاعتداء وتخف الاضطرابات العصبية بهدوء الأعصاب

يوصى الاغتسال بالماء الدافىء للشبان والكهول أصحاب الأمراض القلبية والعصبية والكلوية والمصابين بارتفاع الضغط الشرياني وأصحاب الاحتقانات الحشوية والشيخوخ والاطفال

ثالثاً — الغسل بالماء الحار : حرارة الماء بين (٣٠ — ٣٥) ينشط الدوران المحيطي بتوسيع العروق وخفض التوتر وهو مفيد كواسطة للنظافة لانهُ يلين البشرة ويسهل زوال اقذارها

يوصى به لمن تدعو صنعته الى كثرة التلوث بالاقذار أو الى القادمين من سفر ويجب ألاّ تطول مدته بحيث لا تزيد عن عشرين دقيقة وألاّ يكرر أكثر من مرة في الاسبوع

ز — فوائد الوضوء العامة : الوضوء غسل موضعي يوصي باستعمال الماء البارد فيهِ ما لم تكن هنالك حالات مرضية تمنع ذلك كالتي بيّناها في فوائد الاغتسال العامة فيرجحهُ حينئذٍ الماء الدافىء . ويفيد الوضوء (وهو غسل الاقسام المكشوفة كما بينا) بالماء البارد فائدة لا تقل عن الفائدة التي ذكرناها في بحث فوائد الاغتسال لا بل هو أشد فائدة صحية لتكرره وخفة الارتكاسات الناجمة عنهُ فيؤدي الوضوء بالماء البارد الى تقبض العروق الشعرية السطحية حتى ان الجلد قد يبيض من ذلك وقد تتقلص العضلات فيدفع الدم الى أرجاء الجسم العميقة ولا يلبث أن يظهر ارتكاس يعيد كل شيء الى حالهِ الطبيعية . فتستفيد من ذلك الجملة الدورانية فائدة عظيمة فيرتفع الضغط الدموي أولاً وتزداد حركة القلب . ومتى وقف التقلص العضلي في المحيط أعقب تقبض العروق تمددها فيعود للجلد لونهُ ولتضغط حالته الطبيعية السابقة وتزداد عدد الكريات الحمر وتنشط المبادلات في الجسم وتقوى الحركات التنفسية فيزداد مقدار الاوكسيجين الوارد وتكثر كمية حامض الفحم الصادر

ويؤثر غسل الاقسام المكشوفة المعرضة بالوضوء تأثيراً عاماً فيفرز البول ويكثر معهُ افراغ السموم وتزداد الشهية الى الطعام وينشط الهضم وتزداد أكثر المفرزات وتنبه الجملة العصبية وينتج من الارتكاس البادىء بالجلد انتعاشاً عاماً وذلك بتنبيه الاعصاب الجلدية والاعصاب المحركة وبانتقال هذا التنبه الى جملتي الاعصاب الودية والرئوية المعدية ومنهما الى جميع الاعضاء والعدد

حديقة المقتطف

رابندرانات تاجور

الفصل السابع

«الوطنية»

محمود شنوري

تاجور في الحياة والاخلاق

والمدنية والسياسة والمرأة والادب والدين

— ٤ —

لمحمود المنجوري

وللوطنية عند تاجور معنىً روحي سام ، يلتمسه في غير ما يلتمسه القادة والزعماء من هياج وتدمير واحراق ، ولهذا أبى فيلسوفنا الكريم على الزعماء استهواء الجماهير في سبيل الوطن

« ان الذين يبذلون التضحيات في سبيل بلادهم يحق لهم أن يدعوا خدام الوطن ، واما من يكره الغير على التضحية لينال هو المجد فهو الخائن الآثم لوطنه ، لأنه يكون قد اختلس حرية مواطنيه ليصعد الى القمة . . . ان الذي يريد تأليه وطنه بالهتاف والهياج انما يعب الهياج أكثر مما يحب وطنه ، ويكبر شهواته وأغراضاً أكبر مما يكبر دواعي الوطن الحقيقية . اننا اذا وضعنا شهواتنا في مكان أرفع من الحقيقة كان ذلك دليلا ثابتاً على عبوديتنا »

ولقد سخر تاجور من زعماء الهند ومثّل بهم في روايته « البيت والعالم » على لسان « ساندیب » حين قال :

« لقد خلقت للسيادة ، ولتطيعني الجماهير ، فأقودها كما أقود الجواد من جانبه الى حيث أريد . ليس التردد ، ولا تأنيب الضمير من خلقي ، ان قاعدتي في الحياة هي : اني اريد ، وان أنال ما أريد ، ان العظم هو الشيء الذي اتحد وحده والافراد لأطفوا تفوزوا »

« ان الذين يعرفون ان يتالوا ما يرغبون فيه ، هم الذين خلقوا فرصة » . ان طريقي في الحياة تصلني الى الاعتقاد ان كل ما كان عظيما فهو عادل ظافر ، وان العدالة توافق مسار الاحلام وحدهم . أما الضعفاء فقد احتواهم الظلم والقوة وانكار الضمير »

« خلق الانسان كالارض ، عامر بتباين بين أفكاره ، وان حقيقته لمجبوهة فيه — ان خيراً في من خلق وبرعات قد ولد معي قبل أن أعلم نظام حياتي . اني خلاف آخر من الظلم أصبح مقضياً عليه بالفشل وتأنيب الضمير »

« لقد امتحنت أبنائي فسألتهم : من منكم يستطيع أن يعطيه تلك هذه العزة دون أن يقتل ويأخذ من عدوه أن سيقدم التضحية ؟ ذهبت نفسي فقطعت فخذ العزة تحتجري . ولقد عثروا في أني لا أعرف الضعف الانساني »

ويعارض تاجور زعماء الهند ويتهمهم في وطنيتهم فيقول :

« اني أعرف بلادي عن حياتها ، ولذلك أرغب في استخدام قوة الاستيلاء في سبيل وطني
وأما زعماؤكم أيها الهنود : هم الذين يتزوجون بالشعب اسمياً ، وتدليساً ، ويتصورون أنهم يحصون

فلادهم بتلاصيم ع لقب ، ويميزون بعضهم لأن الله نثر في هذا الوطن ، ثم يجاورون في جامعه تقديس أشخاص سيم كأن الوطن قد نثر فيهم ، وكأن الله قد تمثل في ورقة هذا الوطن في دواتهم المقدسة

« ليس من الوطنية أن ترتفع النغمة فوق الغناء ولا أن تكون التضحية في سبيل البلاد دون حساب أو تفكير ، لأن الزعماء يريدون أن يعترفوا بين الدين والوطن ، ولكن الوطنية الصحيحة أن تكون النفس فوق التضحية ، وأن تكون التضحية في سبيل الوطن تضحية شريفة سامية متصلة بالانسانية لا يشوبها غرض أو يقف فيها تعصب أو يقف عليها التسعب ، ويفرق بين الدين والمواطنة والوطن

أن الانسانية هي الوطنية في أسمى معانيها »

فتاجور ينظر الى الوطنية نظرة تصوف وتفكير وسمو ، ولا أستطيع أن أتهمه كما اتهمه خصومه في وطنه بالتردد وانحراف الرأي عن فكرة الوطن المستقبلة . فلقد هاجت أقواله خصومه في السياسة واتهموه بما لا ينبغي أن يذكر من ضعف واستسلام لخصوم بلاده . ولقد عارض في روايته « البيت والعالم » الآراء السائدة في الوطنية وأعلن رأيه في الوقت الذي ثارت فيه حركة الوطن بلندي ، وبقي هو بمعزل عن هذه الحركة لا يؤيدها ، ان كان يؤمن بالحق الوطني الذي أثار فكرة الخلود ودفعهم الى الفداء ، ولكنه مع ذلك لا يقر وسائل العنف فيقول على لسان « نيكهل » في روايته

«كل فوز يأتي من طريق الضغط دون فوز عابر يزول بزوال هذا الضغط»

ويعارض الرأي العام الذي يمثله قول الزعيم ساندب

« ان من يريد أن يمتلك يجب عليه أن يشرع ويغتصب ، وان يكون الفوز إلا على يد زعيم يقود البلاد بانتزاع الحق غاصبا لوطنه عصبة الايطان مقاتلا في سبيله متحديا له دون أن يجب أن يدعى الوطن له متبدأ أصبع في سبيله الارض بدماء التضحية »

ولكن تاجور يقول

« اني أريد أن أحدم بلادي من غير هذا الدرب ، اني لا أريد الدم والنار والخطب بين أريد الوطن الحي بالحب الناضر لقومه ، اني لا أريد أن يستعبد الناس وان كانوا قد اشتروا الاستعباد حتى حلوا عليهم ، اني أريد أن أقوم هذه البقاع الاستعباد الذي يتدثر باسم الوطنية

وليست فكرة تاجور في الوطنية فكرة أوحتها الخصومة مع الزعماء ، فهو يأبى الخصومة وينكر العداوة ، ولكنها فكرة نشأت من طبيعة فلسفته الانسانية ، لانه يعتقد ان الانسانية خير من الوطنية ، وان الوطنيات مثار الانانية ، ومجلبة الاحقاد والحروب . فلعل العلة هي التي أملت على تاجور هذا النظر الفلسفي فهو يقول

ليس من الوطنية أن ... وطنا ... أن ... ويعبد حبا لخيره ويعبد عنه ... ولكن ... لان هذه ... تزول ... والخصوص ... فلن يمنع الخير من الشرة ... أو الحسد أو الا ... هذه الوطن ... أن تخلق ... وتدبرها ... كوني ... لا اذا عرفت الدنيا ... وأرهف ... الخير والشر ... ليس من الوطنية ... يحسن

الانسان لبلاده إلا من حيث هي حقيقة كائنة مرتبطة بالعالم »

فتاجور عند مايعالج شؤون وطنه يعالجها علاج طبيب متريث يقدر الحقائق ويزن الأدواء بميزان دقيق حساس ، فهو حكيم يرقب عواقب الامور ، لا يندفع وراء الطوس والاعصاب ، وهو يقرر الامور حلوة او مريرة ، لا يمالىء ولا يقرر مرضاة لشهواته أو استهواء لآماله

« ان قوانا الحيوية وهي الآن في ضرر الاحتضار تحتاج الى مياقث تجدد من نشاطها وتنمي أعصابها . فما زلنا نناقش الحقائق ونحفل بالتوهات . تأخذنا الكلمات الفصفة ويسحرنا بليغ الخطب .

فيجب تقاس جدارة الامة في حكم نفسها ببلاغة زعمائها وهياج طوائفها ، ولكن تقاس جدارة الامم في خلقها وضبط أعصابها وسيادتها على أهوائها وشهواتها »

فالعنصر و الدم والوطن هي مقومات القومية والوطنية التي لا يدعو اليها الفيلسوف تاجور وانما يدعو تاجور الى الوحدة العالمية تلبية لأشرف الغايات التي تدعو اليها فلسفته في الحياة ، وهي الوحدة الروحية ، فهو انساني فهم الجماعة والحياة ونسي نفسه وأنكر أنانيته وحلق فوق الاثرة والمطامع البشرية المملوءة بالشهوات والاغراض ، وهو يحس وطنه قطعة من العالم غير منفصلة ، وهو في تفكيره ومشاعره يحقق دائما سمو المعاني الجامعة التي تأتلف وطبيعة الاشياء وتمتزج بكيان البشرية كخلية واحدة ، فالقوميات والالوان والعناصر ، كل هذه عوامل هدم في الكيان البشري العام ، ولهذا كانت وطنية تاجور وطنية جامعة تدعو الى الاتصال بالعالم من طريق المحبة وحقوق الانسان وادراك الحقائق ادراكا صحيحا

فالوطن في نظر تاجور كلمة معنوية لا تدل على مدلول محدود بحدود الأوضاع والجغرافية[1] والوطن وان كان له تاريخ متصل العروق بالوراثة والدم ، عزيز الذكرى وان جارت الاحداث عليه ، الا ان تاجور يملك أعصابه فيقرر أن فكرة الوطنية فكرة بدائية تدعو الى الانانية والاثرة ، وتحدد أوضاع التفكير البشري ، وتحصر مشاعر الانسان ومثله ، وتقهر تطلعه وسموه الى المثل العليا في الحياة ، وتخلق من الانسان خصما عنيدا لأخيه الانسان ، بل انها تخلق منه عدوا للطبيعة ذاتها اذ يجهد فكره لإذلالها واخضاعها ليسيطر على العلوم سيطرة جبارة لمحارب ويغزو ويستعمر ويدق أعناق البشر

ولكن مهمة الانسان في الحياة يجب ان يكون أسمى ادراكا لمعاني الحياة من حدود الاوضاع الضيقة المحدودة ، فنشأة الحرية وطبيعة الانسانية تدعو الانسان منذ خلق الى ان يكون أفق حياته واسع المدى غير محدود ، وان تكون حضارته ومدنيته مدنية مشتركة بعيدة

(١) راجع العدد الثالث والعدد ١ المجلد ١٠٠ الفتتاف الوحدة الروحية لتاجور

عن الشعور بالفردية الضيقة فكما انه لا يستطيع ان يخلق عناصر وجوده من ذاته ونفسه ولا يمكنه أن يعيش على ما في جسده من مدّخر ، ولا بدَّ له من مدد موصول بما حوله ، كذلك لا يمكن لوطن ان يكتفي على نفسه فيعيش غير متصل بالعالم ، فهو مفتقر الى عناصر قد حرمته الحياة ايها وجادت بها على غيره . فنكرة الوطن فكرة مبتورة عن أوسع الوجود والكيان الحيوي الدائم . و كما فكرة التعاون هي فكرة المدنية المشتركة لتوليد ثقافة عالمية ليس لجنس أو دم أو عصبية أي فضل فيها ؛ فالحضارة لا تعرف الوطن ولا الفئة ولا الجنس ولا اللون ؛ بل هي رسالة الفكر البشري التي ينبغي ان تعم الدنيا وتشمل الوطن الكبير

والتمادي في الوطنية جرم انساني يبيد الأمم ويفني الشعوب ؛ اذ يحتم وضع الحرب ضماناً لسلام الاجتماعي وضرورة لبقاء الحياة ؛ ولئن كان هذا جائزاً يوم كانت الحدود الجغرافية حقيقة واقعة تفصل الامم والقبائل ، وتجعل كلاً يعتز بكيانه وجنسه ، فليس بعد اليوم من سبيل الى اجازة هذه الامراض الاجتماعية بعد ما أصبحت الحدود الطبيعية شيئاً لاغياً ، وبعد ان تقدمت المواصلات ، ومحيت المسافات وسادت قوة الكهرباء واللاسلكي واخترقت الطائرة الفضاء . وبعد ان تمَّ التمازج العقلي بين الامم ، وأحست كل أمة في ويلات الأمة الاخرى ويلات لها تؤثر في حياتها وكيانها كما يؤثر النمو المريض في بقية الجسد

وتاريخ الانسانية يجب ألاّ يكون تاريخ الحروب والشرور ، وانما يجب ان يكون تاريخ الحضارة والعقل والسلم ، ويجب ألاّ تنفرد به أمة ، فما كانت المدنية لامة أو لجيل او لجنس او للون أو لوطن واحد

[illegible] تاريخ الانسانية يجب ان تكتبه جميع الشعوب ، وأن يتوحد جهدهم فيه ، وهذا لا يمكن القيام بأن يبيع المرء ضميره في سبيل انسانية واقعية ، وان يجعل وطنه معبوداً [illegible] الرجال الذين يتوثبون في سبيل الحقيقة يصبحون خالدين ، وكذلك اذا مات شعب في سبيل هذا السبيل أصبح حياً في تاريخ الانسان (١)

فتاجور فيلسوف يدعو الى الاتصال بالعالم ، ودعوته الى العالمية ليست دعوة زهد و تقشف ، فهو يرى في الزهد والتقشف اعلاناً بعداوة الانسان للحياة وعدم ادراك حقائقها ولهذا اراد ان يجوب العالم ، فذهب غير مرة ، وجعل منه بيتاً متصل الارجاء ، وطاف ممالك الارض ، وقابل الملوك والقواد ، وأعلن فلسفته على انها صورة صادقة من تفكير الشرق واحساسه ، ثم عاد الى بلاده وفي نفسه حسرة باكية على المدنية الغربية ، مدنية الانانية والاثرة ، مدنية الفتك والذلال الانسانية والغدر وانهدار كرامة الروح ، مدنية الجشع

(١) البيت العالم لتاجور

والجوع ، مدنية الذهب والفقر ، هذه هي المدنية القائمة على العصبيات والقوميات انها المدنية التي لا تزال ترقص فوق البراكين !

ولقد انذر تاجور قادة الغرب يوم حاضرهم (١)

« ان مدينتكم يجب ان تسودها روح المحبة العامة ، وأن تزول منها الاثرة والانانية ، والتعصب لوطن واجنس واللون ، وإلا فسيتدمر شبابكم وراء آبائه وعتائد ممالككم مدمرة وستتوالى عليكم الفتن والحروب والدمار » . « ان يوم هذا الجيل يجب ان يكون في محو الاثرة من النفوس ، رغم الناس ان يجاهد في سبيل تغليب الخير في مطالب الحياة وغرائزها وان تمحي فوارق الوطن والجنس واللون ، وان تسود انذاك الوحدة الروحية الجامعة »

تاجور في مصر

ومن الوفاء لتاجور أن أسجل الذكريات التي تركتها زيارته لمصر ، فلقد وصل الى القاهرة ظهر يوم الاثنين ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٢٦ بعد ان مكث بالاسكندرية يومين وكان المغفور له احمد شوقي بك قد كرّمه في حفل جامع دعا اليه المغفور له سعد زغلول باشا وجماعة من اعضاء البرلمان والوزراء ، ولقد لبى الجميع الدعوة احتفاءً بالشاعر الكبير وترتب على حضورهم تأجيل انعقاد جلسة مجلس النواب ، وتألفت لجنة برآسة وزير المعارف العمومية سعادة علي باشا الشمسي لتكريمه في حفل بفندق شبرد ضم الزعماء ورجال العلم والأدب والتعليم من مصريين وأجانب ، واقيمت له حفلة بمسرح حديقة الأزبكية في مساء ذلك اليوم ، وقدمهُ سعادة لطفي باشا السيد مدير الجامعة المحاضرين وتكلم فيها تاجور كلمات جامعة في الشعر والفلسفة والحياة (٢)

وتشرف تاجور بمقابلة جلالة المغفور له الملك فؤاد ، وقد أثرت هذه الزيارة في نفس تاجور حتى انهُ اشار اليها بقوله

« لقد لقيت في مصر ملكا عظيما ذا محبة بحبة العلم والعلماء »

ولقد أكرم جلالة الملك وفادة الشاعر فأهدى اليه مؤلفاته بعد تو قيعها بالامضاء الملكي الكريم فعد تاجور هذا تكريماً لتآليفه واكباراً لدعوته ، وطلب يومئذٍ من جلالته ان تكون هدية مصر الى الهند التآليف والكتب المصرية التي أنتجتها الثقافة الحديثة في مصر تعزيزاً للصلات الروحية بين البلدين

***

ولقد كان شعور المصريين لقاء زيارة تاجور لبلادهم شعور عطف ومحبة واحترام ، واشتركت في تقديره العاطفة الشرقية التي يشعر بها كل شرقي منقف ، ولقد رحبت به الصحافة

(١) محاضرات تاجور في اميركا

(٢) راجع خطاب تاجور الذي ألقاه في مصر ص ١٧٧ ـ ١٨٠ للمؤلف المترجم

المصرية واستقبلته مبعوثاً للوحدة الشرقية التي تشعرها شعوب الشرق وتعمل لها من النواحي الاجتماعية والسياسية ، ورأت في تاجور رسولاً كريماً جاء لبعث الصلات المعنوية التي تربط امم الشرق بعضها ببعض ، ولئن كانت عظمة هذا الحكيم دافعة كل الشعوب الى احترامه والاقرار بفضله ، فليس شك في ان شرقيته كانت ذات أثر عظيم في شعور العطف والمحبة اللذين خلقت بهما أفئدة المصريين فان هذا الفارق الذي أقامته الامم الاوربية بين الشرق والغرب وهذه الصلات التي توطدها فيما بينها وهذه الجبهة المتحدة التي ما فتئت ساستها ينادون بضرورتها للوقوف في وجه الشرق ومطالبه وإنشاء تكاتف يعتمدون اليها للتوسع وجهة النظر الاستعمارية — جميع هذه الاسباب جعلت من الشرق وحدة تسعى الى نوع من الاتصال ولئن كان هذا الاتصال السياسي غير محقق من الناحية الدولية لاسباب شتى الا ان الشرق سيطالب به كحق طبيعي كما سادت الديمقراطية نظم الحكم ، وعندما تتحقق فكرة المدنية الشرقية في وجوب المساواة بين الشعوب جميعاً — حتى ان الاتصال المعنوي ممكن وأدواته ميسّرة ، فان الروح الدينية التي ظهرت اول ما ظهرت في الشرق متشابهة بين الاديان المختلفة . وكلها ترمي الى مدى واحد وغاية واحدة ، وتصوّر الحياة وما بعد الحياة متشابه في غير الناحية الدينية ، وفكرة الشرق وجلال المعاني الروحية التي توحيه باعتباره مهبط العقائد والاديان ومنوى الانبياء والرسل والحكماء ، كل هذا يشترك في ربط قلوب الشرقيين رباطاً معنوياً يشعرنا بتقارب الاحساس والعطف والتفكير ، بل كل هذا يؤكد تحقق توارد العقائد والمشاعر المتصلة بالعبادات في الشرق

وتاجور يدعو الى هذه الدعوة ونكتفي بلمسها من الضمير الشرقي المستكن في وجدان جميع الشعوب الشرقية ، فهو يحاول بعث الروح المعنوي في الشرق ولتقوية الحياة الساسية التي تدعو اليها العقائد ، على انها مصدر الاتحاد والالفة والخير . وعلى انها مبعث التفكير والايمان بسمو الروح وتغليب الضمير الانساني على جميع مرافق الحياة العملية

* * *

ولقيت تاجور في غرفته بفندق شبرد عند زيارته مصر سنة ١٩٢٦ ، بعد ان طاف ممالك أوربا ومدائنه عما ستوقف نظره في اوربا فقال

[illegible] الغرب [illegible] الشيوعية وليس الاشتراكية وكلاهما غير عميق جارف [illegible] الاديب العصب في اي عصر من عصوره

ولقد أثرت في نفسي هذه الزيارة بابلغ التأثير ، دخلت عليه وهو في ركن من الغرفة ، يشع فيها نور بنفسجي هادىء ، وتاجور جالس في كرسي مريح في ثوب داكن فضفاض ، عاري الرأس الا من شعر فضي منسدل يكاد يصل الى كتفيه ، ولحيته طويلة بيضاء أكسبته جمالاً

وجلالاً ، وقد انبعثت من عيني الشاعر الكبيرتين نظرات تنقب الغيب وترقب الالهام، نظرات هادئة أفاضت على المكان قدسية وشعراً ورهبة أشعرتني بأني أمام قديس روحي، يبشر بما يدعو اليه الشرق الجليل من تعاليم ووحدة روحية واتصال دائم بحقيقة الحياة ، فوقفت صامتاً حتى دعاني الى الجلوس ، فجلست بعد أن لمست أناملي ندية ، كنت أمني النفس بلثمها طويلاً ، وتجلت في النفس فكرة الروحية تنبعث من كيانه النادي، ولكن تاجور أنا ض عليّ بما أخرجني من شرود تفكيري ، فسمعت صوتاً حلواً يفيض عذوبة وحنانا :

« أأنت مستر . . . فلت نعم . . قال أني سمعت من بعض الادب الهندي في مصر . قلت اني أقرأ شعرك ومقبل عليه منذ سنين ، منذ تفتحت امامي مناهج الحياة، وكتبت في أدبك في مجلة الهلال سنة ١٩٢٣ . فقال وماذا قرأت لي : قلت شيئا والبستاني وقطف الثمار وجيتانجالي فقال : وهل قرأت « سهدهانا » فقلت نعم يا مولاي قرأته وترجمت أكثره الى العربية ، هذا كتابك وفلسفتك وانة من رسالتك وهنا رفع تاجور بصره إلي ، فاذا عينان واسعتان ينبع منهما هدوء روحي وجمال قدسي لم أقو على احتمال النظر اليهما إذ أفاضتا على وجهه الجليل هالة من نور ، فلمعت في صدره عقداً من الزهر الابيض مدلى كأنه اللؤلؤ المنظوم . ثم سمعت يقول في نبرات موسيقية هادئة كمن يتحدث الى نفسه : اني مسرور برؤيتك ويلوح لي انك في مقتبل الشباب ، ومهم بما يشغل أدبي وفلسفتي من آراء ، فان كنت حقاً ظاهرة لشباب هذا الجيل في الشرق وفي بلدكم ، ملتقى الثقافتين ، فاني مطمئن الى تغلب روح الشرق وفلسفته في صميركم معشر الشباب . . وأما شباب الغرب فيخيل الي أن آراءه متقدمة بأعصاب ثائرة الى مزج الانانية والآلية ، الى مشقق على المدنية الاوروبية أن تنهار »

والتقى بتاجور غير واحد من المفكرين والادباء وقادة الرأي ، ولقد لقيه فضيلة الشيخ مصطفى عبد الرازق باشا مع رفيقه الدكتور طه حسين بك ، ولقد تحدثا اليه حديثاً اجتماعياً، ووصفا تاجور وصفاً رائعاً بديعاً فقالا : « لتاجور سمت النفس الهادئة ويزيده الهرم هدوءاً فهو يتحرك في رفق اذا تحرك ، وينظر في رفق اذا نظر ، ويتحدث حين يتحدث في رفق أيضاً ، وقد أثرت الشيخوخة في ذلك الهيكل الانساني كله ، فبدلته من جمال الشباب جمال الهرم وجلاله ، غير عينين بقي لهما كل ما في الشباب اليافع من قوة وجمال ، في عذوبة ورحمة ، هما أسمى من ان يكونا من أثر الشباب أو من أثر الهرم

عينان سوداوان في صفاء ونور ، لم يخلقهما تردد النظر في هذا العالم المادي الذي تخطف فتنته صفاء العيون ونورها ، كثيراً ما يطبقهما متحدثاً ومستمعاً ، حتى اذا رفع الى شيء بصره لم يرسله طويلاً ولا ممعناً وانما هي لمحة كوميض الالهام

ليس الذي يملأ نفس تاجور هو شعور الهية فحسب الانسانية ، ولا شعور الخضوع للطان الفكر المطلق المنبثق ، ولا هو الاعجاب بتوهية شعرية بارعة هتفت بأعظم اسمائه وردد ت نشيده الآفاق ، انما الذي يملأ نفس تاجور هي تجلي فكرته الروحية في كل شيء من كيانه المادي ، كذلك تجد روحاً صافية تسمو على ما في هذه الحياة من المادة ، من غير احتقار لها ، بل من حب وكلف ، ومن غير تحقير لذي من قوى هذا الوجود التي يريد الشاعر الفيلسوف ان تتصرف الى الحب والسلام والرقي ليس تاجور عابداً ولا ناسكاً ، فقد يكون في الابتسام شيء من السخرية ، ولا يضحك تاجور من شيء ،

وقد يكون البؤس من حرج في الصدر وتبرم ، وتاجور لا يضيق صدره بشيء في هذه الدنيا ، فان له من وراء كل ضيق سعة في العالم الروحي ، عالم الحقيقة والطمأنينة والرضاء ، ذلك العالم الذي يريد تاجور أن يأخذ بنصيبه القلوب التي تنشد به السلام .

وأما حديث الشيخين الكبيرين مع تاجور ، فقد كان حديثاً عذباً جامعاً . قال أحدهما وهو يحدثه :

« ان مما يؤسف له ان زيارة الشاعر الحكيم لمصر قصيرة لا تسمح له بأن يزور جامعتها المصرية الناشئة وجامعتها الازهرية العتيقة ويتحدث الى رجال هاتين الجامعتين . قال تاجور : « كم كنت احب ذلك وارغب فيه ، بعد ما لاحظته من ان في مصر نهضة ثانية جعلت شعب الاسلامي ينزل مما يظهر عند الشعوب الاسلامية الهندية من الاسراف في الاستمساك بالقديم والاستعصاء على حركة التجديد ، وما يتبع ذلك من الآثار ، على ان من النافع جداً ان تقوى الصلات بين مصر وبين الهند . فقد يكون في ذلك ما يعين على حل بعض المشكلات القائمة بين مسلمي الهند وغيرهم من الهندوس والواقع ان هذه المشكلات ثقيلة منغصة لحياة اهل الهند جميعاً ، ولقد رأيت ملك مصر اليوم ، و انبت اليه ان يتفضل فيمنح جامعتنا هدية اعتقد ان ستكون لها في حل هذه المشكلة اثر عظيم . وهذه الهدية هي ما نشر في مصر وفي اوروبا من الكتب العربية في الادب والتاريخ وما اليهما ، فلو ان الهندوس استطاعوا ان ينظروا في هذه الكتب العربية ويفهموا منها الروح العربي الاسلامي فهماً حسناً ، لأعانهم ذلك من غير شك على فهم عقلية اخوانهم من مسلمي الهند . وقد تفضل جلالة الملك فأظهر تقديره لهذه الفكرة ووعد بأن يمنحنا هذه الهدية »

وسأل احد الشيخين تاجور : « وما رأيك في الاسباب التي جعلت مسلمي الهند حرّاصاً على القديم مستعصين على حركة التجديد أهي أسباب اجتماعية أم دينية أم هي غير هذه وتلك ؟ قال تاجور : هي فيما أظن اسباب متصلة بالتربية التي يتلقاها مسلمو الهند والتي تخضع خضوعاً شديداً جداً لتأثير شيوخهم من رجال الدين « ملا » فقد وصل هؤلاء الشيوخ مع مرور الزمن وما لهم على النفوس من سلطان الى اقناع الهندي المسلم بأنه يستطيع ان يجد في نفسه وفي كتبه وتقاليده كل ما يحتاج اليه دون ان ينظر الى غيره في امر من الأمور ، واذا اقتنع الانسان هذا الاقتناع فليس من اليسير ان يعترف لغيره بفضل أو ان يشعر بالحاجة الى غيره ، على ان مسلمي الهند قد بدأوا يتطورون من هذه الناحية تطوراً مهما يكن بطيئاً شاقاً فهو واقع ولا بد من ان سيؤدي الى نتائجه الطبيعية »

وسأل احد الشيخين الكريمين « ألم تفكر في توحيد ما بين المسلمين وغيرهم من اهل الهند من الناحية الدينية ، بان يتحد مذهب اولئك وهؤلاء في الدين مثلاً »

فأجاب الشاعر الحكيم في قوة وشدة : كلاّ ! وما فكرت في ذلك وما ينبغي ان يفكر فيه أحد فذلك في ذاته غير ميسور ، وهو إن تحقق يضر أكثر مما ينفع ولا يعود على الانسانية الاّ بالخسارة الشديدة » . ثم مضى الشيخين يقوله : « أنتما تعلمان ان الدين انما هو لون من من ألوان التعبير الانساني عن العواطف والميول والمثل العليا ، وان هذا اللون من ألوان التعبير يتصل أشد الاتصال بأمزجة الافراد والامم ، تمثل لها تمثيلاً صادقاً قويّاً ، فمن الثروة

للانسانية ان تحتفظ بهذه الالوان المختلفة التي عبرت بها الامم والشعوب عن عواطفها وميولها وطموحها الى الحق الذي لا حد له . ومن يحاول محو دين من هذه الاديان انما يبدّد بنوع ما شيئاً من هذه الثروة القيمة التي يجب ان تحرص عليها الانسانية . انك لا تستطيع أن تستغني بدين عن دين لان كلّ دين كما قلت مظهر قوي لمزاج الامة التي تدين به ؛ وهو طريق من الطرق التي تسلكها الانسانية الى الجهاد والحق والمثل الأعلا . فكر في المسيحية تجدها ديانة انسانية بمعنى انها تلتمس للحقيقة المطلقة من الطريق الانسانية الصرفة وفكر في ديننا نحن أهل الهند تجده ديناً كونيًّا ، بمعنى انهُ يلتمس الحقيقة المطلقة من طريق الكون السماوي وما فيهِ من العجائب والآيات ، يجب ان تحتفظ كل امة بدينها بل يجب فوق ذلك ان تحتفظ الانسانية بديانتها جميعاً »

ولكن أحد الشيخين استدرج فقال : « ولكنك أيها الحكيم ترى من غير شك ان الانسانية في حاجة الى ان يتحد مثلها الاعلى ، واذا لم تستطع الديانات ان تمثل هذا المثل الاعلى المشترك فما السبيل اليها » فقال تاجور : « ان المثل الاعلى للانسانية يجب ان يكون واحداً ، ويجب ان يكون مشتركاً ، وهو هذه الحقيقة المطلقة التي لا حد لها ولا سبيل الى استيعابها ، ولن يؤثر اختلاف الديانات في هذا المثل الاعلى من حيث هو واحد مشترك تتعاون الانسانية كلها على طلبه والسعي اليهِ ذلك ان هذا المثل سيظل واحداً وان اختلفت الطرق اليه ؛ وما الديانات المختلفة الا طرق متباينة ، ولكنها متحدة الغاية تنتهي كلها الى هذا المثل الاعلى الواحد المشترك ؛ ولقد رأيتما ان الحقيقة المطلقة التي هي مثلنا الاعلى لا حد لها ولا سبيل الى استيعابها ، واذن فالمسيحية تنتهي بأهلها الى ناحية من انحاء هذه الحقيقة وديانتنا الهندية تنتهي الى نفس هذه الحقيقة ، وهكذا باقي الديانات . وما دامت الديانات كلها سبيلاً الى هذه الحقيقة المطلقة وما دامت في الوقت نفسه متصلة أشد الاتصال بامزجة الافراد والجماعات وتمثلها أقوى تمثيل وأصدقه ، فلا خير مطلقاً في محاولة محو بعضها أو اضعافه أو تقوية بعضها دون بعض وانما الخير كل الخير أن تترك للافراد والامم الحرية الدينية التي تمكنها من ان تعلن شعورها وعواطفها وطموحها الى المثل الاعلى كما تريد وكما تستطيع . ذلك يغني الانسانية ويضاعف من ثروتها المعنوية »[1] . هذه هي رسالة الشرق الكريم أداها شاعره وفيلسوفه أحسن الأداء

ربّ إله الخير حيثما
تجلّت عن كل لون وجنس
وجيهاً في جميع الامم وان اختلفت أنواعها
وحد بين قلوبنا ما والمستنا دون الجهة
وابعد روح الخير والعمل

(١) السياسة الاسبوعية ع ١٣٩ م

باب المراسلة والمناظرة

استدراكات

على « الامتاع والمؤانسة »

للدكتور إبشر فارسي

هذا الجزء الثاني من كتاب « الامتاع والمؤانسة » للمنشىء الغزير أدبه المحبّر حديثه : أبي حيان التوحيدي من أئمة المائة الرابعة ، يخرجه للناس ، بعد الجزء الأول ، الأستاذان احمد أمين واحمد الزين[1] . وانهُ لسعيٌ حسن ، فهذا الكتاب بجمع لتفاريق الفنون : فيه من لطائف الصناعتين ، وفيه فقه لغة وفلسفة وموسيقى ، وفيه تاريخ واجتماع ، ثم صنوف من الملح والنوادر . وليس الكتاب بجمع ولا التقاط ، ولكن المسائل تحت قلم التوحيدي تتشر كأنها من محض ابتكاره ، والأغراض تتشعب كأنها ولائد الساعة ، وذلك بأن لأبي حيّان فهماً متقداً وقوة استعراض ذهني نادرة الى جنب أداء حلو ورصف ينفرد عن مواقف الاشياء

وهذا الجزء — عندي — أعلى من الأول مرتبةً ، من جهة الفوائد التي يضمها ، من ذلك ما أُثبت في شأن « اخوان الصفا » ، وما هو لج من مطالب فلسفية ، وما سرد من أخبار المغنين والقينات وأهل الطرب ، وما روي في الموازنة بين الشعر والنثر مع ما اندرج تحتها من الكلام على أنواع البلاغة

ولما خرج الجزء الأول نظرت فيه فنبهت الى أشياء بينت وجه الوهم فيها[2] . ووقفتني اليوم ألفاظ وعبارات في هذا الجزء أحب أن أعرضها هنا . ولا يشغلني أن ينبّهها الناشران الفاضلان في آخر الجزء الثالث يوم يبرز ان شاء الله ، فانما همي الفحص لوجهه وما يعقبه من لذة رغبة في اتمام الفائدة

---

(١) لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٤٢

(٢) مجلة الرسالة ١٨ / ١٢ / ١٩٣٩ ، العدد ٣٣٧ — وكذلك صنع الزميل الكبير الدكتور زكي مبارك في رسالته بعد العدد ٣٣٦ ، والاب الاستاذ الجليل انستاس مري الكرملي في « المقتطف » المجلد ١٠٠ ص ٢٤٥ — ٢٥٠ ، ٣٤١ — ٣٤٧

إلاّ انهُ من الغريب أن يأخذ مخرجَ نص من النصوص عزة وثروة كأنما الناقد عليه أن يكبر دون أن ينبه ، وكأنما مخرج نص من النصوص فوق الهفوة والعثرة . وذلك انهُ لما استدرك الصديق الدكتور زكي مبارك على الجزء الاول من « الامتاع والمؤانسة » واستدركت أنا وثب الينا من وثب وقد أخفى اسمه، في مجلة « الرسالة » . غير انهُ ما عتم أن عثر بسنان قلمه إذ بينت ما في كلامه من التلبيس والغلط (الرسالة ٣٤١ — ٣٤٣)

وخير من هذا أن ينصرف مخرج النص أيًّا كان الى التدقيق ويلزم التمحيص . فهناك سقطات لا ملتمس لعذر فيها ، فانما هي وليدة التسرع والاهمال أو نتيجة الاجتزاء بالحل القريب غير المبرَم . ولا أرى بدًّا من التنبيه الى مثل هذا النقص، لأن تحرير النصوص القديمة يتطلب موفور الهمة وقصيّ الدقة . وفي علمائنا ، ولله الحمد ، من يأبى أن يترخص في هذين الشرطين وما يتصل بهما ويأخذ اليهما ، مثل شيخي احمد زكي رحمه الله والأب الكرملي ونفر من رجال دار الكتب المصرية وجلّة الدائبين في النشر بالمطبعة الكاثوليكية ببيروت ، كل أولئك الى جنب المستشرقين . فمن السوء أن يتهاون بالأمر من تلزمه مكانته العلمية ألاّ يجعل للفاحص مجالاً لشبهة ولا للآخذ وجهاً لعيب . وفي نقدي لكتاب « العقد الفريد » (المقتطف ، يناير ١٩٤١) تبيين لمثل ذاك التهاون . وأسوأ من هذا أن يخشى محرر النص تنقيب أهل النظر وأن تثور به عزة المخطيء العارف ، مع أن النص القديم اذا نشر فانما تنسه مراجعات المراجعين حتى ان العلماء في اوربة اذا ذكروا مثل ذاك النص أثبتوا المراجعات بجنبه

ثم اني أزيد ان العلامة الأب الكرملي تدبر هذا الجزء الثاني (« الرسالة » ٤٧١ — ٤٧٥ و ٤٨٣ — ٤٨٧) ، فأحصى عدداً غير قليل من الأوهام والغرطات . فلم يسلم

* * *

والآن اليك أمثلة من المآخذ على حسب المنهج الذي عليه يجري العلماء في تحرير المخطوطات . وكذلك كان تقسيمي لمآخذ الجزء الاول

١ — التباعد عن سياق النص

ص ٣٣ س ٧ : « هذا باب إن توزع القول فيه طال . وإن رُمي بالقصد جار » — والوجه : « وإن رمي بالقصد جار » . وسبيل هذا ان التوجيدي اراد أن يقول : « ان هذا الباب ان توزع القول فيه تشعب وطال ، وان رُمي القول فيه بالقصد اي بالاعتدال ، فلا اطناب ولا استطراد ، جار : أي جانب الاطالة والاحاطة . هذا واضح للتورية التي قصدها أبو حيان ،

وايضاحها أن كلة « جار » تفيد « المَيل عن القصد » ، والقصد هنا : المستقيم ؛ وهو أيضاً : نقيض الافراط والايغال

ص ٤٨ س ١ تحت — س ٤٩ س ١ — ٢ : « اطلب في حياتك هذه العلمَ والمالَ تملكْ بهما الناس لانك بين الخاصة والعامة ، فالخاصة تعظمك لفضلك ، والعامة تعظمك لمالك » — والوجه : « فالخاصة تعظمك لعلمك » . كذا يحسن التقسيم ويتم ردّ العجز على الصدر . هذا تحرير ما جاء في النسخة (ا) المخطوطة . واما الذي في النسخة (ب) المخطوطة ايضاً فرواية صحيحة مقبولة على جهة ما بينت ، وحروفها كما في الهامش : « فالخاصة تفضلك بما تعلم ، والعامة تعظمك بما تملك » ، هنا الملك (اي المال) وهناك العلم

ص ٧٦ س ١٢ : « ولكن فا غلبت عليهم العزّة ودخلت النُعَرَة في آنافهم ، وظهرت الخزوانة (اي الكبر) بينهم . . . . » . وفي الهامش أن في كلتا النسختين : « الحمية » بدل « العزة » — والوجه : « الحمية » ، اذ هي الى صورة الاصل أقرب ، وبالنُعَرَة والخزوانة أردف

ص ٧٩ س ١٠ — ١٤ : وهو « كثير التأله شديد التوقي ، وما رأينا وزيراً على هذا الدأب وبهذه العادة ، لا منافقاً ولا مخلصاً . وقد قال الله تعالى (إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً . وفي الهامش ان في (ا) « ولا خاصاً » بدلاً من « ولا مخلصاً » — والوجه ان « خاصاً » هو الصواب ، وبه يستقيم المعنى وتتجاوب أغراض العبارة . وهل الاخلاص من الاعمال السيئة حتى ينفيه التوحيدي عن الوزير ؟ وأما « التفحص » فمدلوله في اللغة : المبالغ في التفحص عن عيوب الناس وأسرارهم ، و « الفاحص » (كالتجوس) من « فحصه فلان كأن كل واحد منهما يتفحص عن عيب صاحبه وسره » (لسان العرب ،وتاج العروس ؛ مادة ف ح ص)

ص ١٣١ س ١١ — ١٢ : « وهذه آفة معترضة في أمور الدين والدنيا ، ولا مطمع في زوالها . لأنها ناشئة من الطبائع المختلفة والعادات السيئة » — والوجه : « المتخلفة » بدل « المختلفة » حتى يستقيم الكلام على عمود واحد . والتخلف : التأخر ، وفيه معنى القصور والرداءة ، ومن هنا يوافق « سوء العادات » . ومن ذلك قولهم : « شاعر متخلف الطبع »

٢ — التجافي عن أسلوب المؤلف

ص ٨٥ س ٢ : « كذلك ايضاً القوة العاقلة لا تقوى بذاتها على استنباط الركبات الا من جهة القوة الحساسة . . . — والوجه : « على إثبات المركبات » . والاثبات في المصطلح

نقيض المحو والنفي، وأما الاستثبات فله معنى لغوي لا يناسب المقام. ويؤيد إيثار كلمة «الاثبات» ما سطره التوحيدي بعد اسطر (ص ٨٥ س ١ تحت: «ما هو أكثر تركيباً فالحس أقدر على اثباته») ويجري العبارتين في جهة واحدة

ص ١٦٨ س ١ — ٣ «ولا طَرَبَ الجراحي مع قضائه في الكرخ: اي مع أنه كان قاضياً في الكرخ) ... فإنه يغمز بالحاجب اذا رأى شرطاً، وأمّل أن يقبل خدّاً وفُرُطاً على غناء شعلة (اسم قينة)». وفي الهامش ان في كلتا النسختين «شرطاً» لا «مرطا» و «فرطاً لا «قرطا». فالشرط والقرط من تصحيح الناشرين — والوجه ان تقرأ العبارة على هذه الصورة، بعد استبدال «يأمل» من «أمّل» مزاوجةً للفعل السابق: يغمز، وبعد استبدال «خدّاً» من «خدّا» طباقاً لكلمة «قرطا». وذلك أن «أمل» و «خدّا» من مسخ الناسخ. ودونك العبارة اذن: «فانه يغمز بالحاجب إذا رأى شَرَطاً (بفتح الراء، أي علامة من جهة الست شعلة)، ويأمل أن يقبل خدّاً (أي في القفر المحدود) وفُرُطاً (بضم الأولين، والاسم الفُرُط: المجاوز فيه الحد) هذا، واذكر هنا ان الحديث يجري في شأن الجراحي وهو قاضٍ، ثم تأمل الثورية التي أرادها التوحيدي: (الشَرَط، الحد، الفُرُط) وهو من أرباب البلاغة

٣ — التسرع في تصويب الاصل

ص ٨٤ س ١٤ — ١٨: «والاحاطة بالمعاني البسيطة تحتاج الى الاحاطة بالمعاني المركبة إلاّ من جهة ليتوصّل بتوسطها الى استثباتها» وفي الهامش أن في (ب) «أسباب اثباتها» وفي (ا) «اثبات اثباتها» — ووجه «أسباب اثباتها» بدلاً من «استثباتها». و «الاسباب» هي المبادىء عند الحكماء، (عن «كشاف اصطلاحات الفنون»، سبب) وهذا يوافق ما سطره التوحيدي بعد قليل (ص ٨٥ س ١٣): «العلم لا يحيط بالشيء إلاّ اذا عرف مبادئه»؛ وازن أيضاً س ١٠)

ص ١٤٢ س ١ — ٢: «وأما بلاغة العقل فأن تكون البساطة فيه أغلب من التركيب ويكون المقصود ملحوظاً في عُرض الشَنَن». وفي الهامش قال الناشران: «وردت هذه الكلمة «السن» في (ا) مهملة الحروف من النقط، وفي (ب) «السبب» وهو غير واضح المعنى، ولعلّ الصواب ما أثبتنا؛ والسنن: الطريق» اه هكذا، ويدفع قول الناشرين ان «السبب» أيضاً يفيد «الطريق»، من ذلك قولهم: «ما لي اليه سبب» أي طريق (راجع أساس البلاغة، مادة س ب ب). فاذا كان مرمى العبارة ما يراد الناشران فلا حاجة

الى استبدال لسان بكلمة السبب ، وهي في أحد الأصلين مائلة بيّنة

ص ١٨٣ س ١ تحت — ص ١٨٤ س ١ : « وان تظلتْ فللدالة التي تغلط بها الخدم ، وان خاشنت فلثقة بحسن الاجابة ، وان غالظت فلعلمي بغالب الحيلم ... » وفي الهامش أن في (ا) « حاسبت » ، وفي (ب) « حاشيت » — والوجه عندي : حاسبت ، وهي اقامة الحساب بمعنى التضييق أو المطالبة ، ويلتحم بها قوله : « حسن الاجابة » . ثم ان في « خاشنت » مثل ما في « غالظت » الواردة بعد ؛ ولا يقصد التوحيدي التكرار ههنا ، بل انه في معرض التقسيم

٤ — قلة التقصي

ص ٧٧ س ٦ : « فبدأ نُصيري ، وهذا أشجعي » . وفي الهامش : « كذا ورد هذا اللفظ في (ا) وحدها ، ولم نجد الا شجعية فيما راجعناه من الكتب المؤلفة في الفرق » — هذا ، وكان يحسن بالناشرين أن ينبها الى أن الكلمة قد تكون محرفة عن « الأشجّي » نسبة الى جعفر بن حرب الأشج ، وهو من المعتزلة (توفي سنة ٢٣٦) ، وقد ذكره الشهرستاني مثلاً في « الملل والنحل » القاهرة ١٣٤٧ ج ١ ص ٣٥ ، ٧٦

ص ١١٨ س ٩ — ١١ : « والكلام ذو جيشان ، والعلم ذو غليان ، والقلم ذو نفيان ، ومتدفقه لا يستطاع ردّه ، ومنبعثه لا يقدر على تسهيله [1] » . وقال الناشران في الهامش : « النفيان من نفت السحابة الماء اذا نحّته (أي صبّته ودفعته) ، أو من نفت الريح التراب اذا أطارته . وفي (ا) « نقيان » ، وهو تصحيف ، وفي (ب) « رميان » اه . — قد أحسن الناشران في عدّ « النفيان » تحريفاً ، وأصابا في تغليب « النَّفَيان » ، ولكنه من « نفت السحابة الماء » لا من « نفت الريح التراب » ، وذلك أوفى مراعاةً للنظير لأن التوحيدي استعار « تدفق » الماء و « منبعثه » للكلام على جريان القلم . هذا أو ان يكون « النفيان » ههنا من « نَفَيان السيل وهو ما فاض من مجتمعه كأنه يجتمع في الآبار والاخاذات ثم يفيض إذا ملأها » (« لسان العرب » ن ف ي) . ذلك ما يتعلق بتقويم الرواية التي في النسخة (ا) ، وأما الرواية التي في (ب) وهي « رَمَيان » فغير مردودة ، ذلك لأنها تناسب أيضاً تدفق الماء وانبعاثه ، مصداق هذا ما جاء في « لسان العرب » مثلاً : « رمي السحاب بترامى أي ينضم بعضه الى بعض وكذلك رمي » ومن هنا « الرَّمِيّ كالسَّقي » السحابة العظيمة القطر ، الشديدة الوقع » (راجع أيضاً المخصّص ج ٩ ص ١١٣ ، باب الأمطار)

ص ١٨١ س ٣ — ١ تحت : « وقدم من شاش خراسان أبو مسلم فاشتراها (يعني حباية القيسة) بثلاثين ألف درهم معمّريّة . » وفي الهامش أن في (ا) : « عربية » ، وفي (ب) :

(١) ألا قرأ « سبيله » بدل « تسهيله » ؟

« غزية » وأما المعزية ، وهي من تقويم الناشرين ، فنسبة الى معز الدولة البويهي (سنة ٣٢٠) — والرأي أن هنالك غير هذا المذهب ، إذ لك أن تقرأ : « عزية » — وهو أقرب الى صور الاصلين — نسبة الى عز الدولة البويهي (سنة ٣٥٦) ، وراجع « النقود العربية » للأب أنستاس ماري الكرملي ، مصر ١٣٥٩ ، ص ١٢٦) . ولك أن تقرأ أيضاً : « غزنية » أو « غزنوية » ، نسبة الى غزنة في طرف خراسان (« معجم البلدان ») أو اضافة الى الدولة الغزنوية (المرجع نفسه ، ص ١٢٦ . واطلب لفظة Ghaznawides في دائرة المعارف الاسلامية ، ط اوربة ؛ تجد ذكر نقود كان يضربها بلكاتكين وغيره في غزنة منذ المائة الرابعة

ص ١٥٣ س ١ تحت : « كُنْتُس الشاعر » . وفي الهامش أن في كلتا النسختين «أنيقُس» بدل « كنتس » . فعدّ الناشران هذا الاسم محرفاً ولم يذكرا السبب بل لم يوضحا مدى استبصارهما في تحقيق الاسم (راجع ههنا تعقيب الكرملي وتحقيقه في « الرسالة » العدد الـ ٤٨٣ ـ اسم الشاعر : ايبيقوس)

٥ — التحكم في رفض رواية النص

ص ١٣١ س ٩ — ١٠ : « لأن صاحب هذين الخلقين (التعصب والحمك) لا يخلو من بعض المكابرة . وبقدر ذلك يصير له مدخل فيما يراه تحقيقه من بيان الحجة ». وفي الهامش أن في كلتا النسختين « وبذلك القدر » — فلا وجه للاعتراض في هذا التركيب وان رأى الناشران فيه تقديماً وتأخيراً

ص ١٤٢ س ٣ — ٦ : واما بلاغة البديهة فأن يكون انحياش اللفظ للفظ في وزن انحياش المعنى للمعنى ، وهناك يقع التعجب للسامع ، لانه يهجم بفهمه على ما لا يُظن أنهُ يظفر به » . وفي الهامش أن في (ب) « انخلاس » بدل « انحياش » ، وأن هذه الكلمة مما اثبته الناشران — أقول ان « الانخلاس » أدخل في سياق العبارة ، لأن الحديث يجري في أمر البديهة ، وفي الانخلاس معنى النُهزة والسرعة ، وأما « الانحياش » فيدل على الاجتماع أو الانسياق ، وليس في هذين المدلولين ما يقع على سرّ البديهة ، وقوامُه استدعاء اللفظ للفظ واستنباط المعنى من المعنى في سرعة الخاطف

ص ١٥٣ س ١ تحت — ص ١٥٤ س ١ : « ان ملك يونان كتب الى كُنتس الشاعر أن يزوره بما عنده من كتب فلسفية ، فجمع ماله في عيبة ضخمة ، وارتحل قاصداً نحوه » . وفي الهامش أن في كلتا النسختين : « أن يزوره بما » والباء للمصاحبة . فأين الشبهة في صحتها ؟ وهذه العبارة توافق : « ارتحل قاصداً نحوه »

بشر فارس

تعقيب على مقال

فلسفة الاخلاق في الاسلام

تفضل الاستاذ الجليل يوسف كرم — أحد أساتذة الفلسفة بالجامعة المعروفين بعمق البحث وتحرّي الحق — بقراءة كتابي « فلسفة الاخلاق في الاسلام» وكتابة النقد العلمي له الذي نشر في الصفحة ٤٩٦ من هذا الجزء ، فلحضرته خالص الشكر ولنقده جميل التقدير . ومع انهُ من المعروف ان من ألّف فقد استهدف ، ومع أني ممن يحبون النقد ما دام الغرض منهُ تمحيص الآراء والوصول للحق ، الا اني مع هذا وذاك رأيت أن أتقدم بتعقيب قصير على هذا النقد ، أجملهُ فيما يأتي : —

١ — لو كان الغرض دراسة التفكير الاخلاقي للعرب قبل نقل الفلسفة الأغريقية لكان واجباً تقسيم الكلام في هذه الفترة الى جاهلية واسلامية ولكن المقالة الاولى ليست الاّ تمهيداً سريعاً لموضوع البحث وهو « فلسفة الاخلاق في الاسلام » بعد الاتصال بالأغريق . على أن الخير مهما كان الحال ، كان في تقسيم الكلام كما قال حضرة الاستاذ الناقد

٢ — اضطرني الى المقالة الثانية التي يرى حضرة الاستاذ عدم ضرورتها ما ذكرته اول الحديث فيها من ان الفيلسوف ، وان لم يكن دائماً صورة لعصره ، فانه لن يكون مطلقاً بمنجاة من تأثره به ، ولعلّ هذا التأثر يبدو واضحاً في ابن مسكويه الذي عمل جهده على اقامة مذهب في الاخلاق يقوّم من اعوجاج عصره

على ان الناس ليسوا جميعاً على حظ واحد من العلم بالحياة الاسلامية في ذلك العصر ، فمن الخير ان يعلم القارىء تلك الحياة في العصر الذي يتكلم فيه عن بعض فلاسفته ومفكريه . وهذه الصورة التي رسمتها لهذا العصر وان بدت قاتمة ، هي الصورة الحقة التي تؤيدها الدلائل التاريخية التي أتيت بما فيه الكفاية منها

أما ازدهار الحياة العلمية في ذلك العصر فقد كان له عوامل خاصة تغلبت على مساوئه ، وأهمها كما ذكرت (ص ٣٩ — ٤٠) تشجيع الخلفاء وأمراء الدويلات الاسلامية للعلم والتفكير ورجالاتهما

٣ — يسرني أن أقر لحضرة الاستاذ بسداد رأيه في حل الاشكال الذي أوردته على ابن

مسكويه خاصًّا بالتفضل وانه محمود مع انهُ يزيد عن الوسط ، فان التفضل — كما يرى بحق — وسط بالاضافة الى فضيلة أخرى هي الاحسان ، وان كان زيادة عن وسط العدالة بالمعنى الارسطوطالي

٤ — أما ما لاحظهُ حضرة الأستاذ الجليل من سوء التفاهم بيني وبين ابن مسكويه فلا جناية لي فيه . ان سببهُ أخذ ابن مسكويه نفسه عن هذا مرة وذاك أخرى من الفلاسفة الذين قرأهم واختار من آرائهم ، فكان من ذلك ما وقع فيه من خلط وما يلاحظهُ الباحث من تردد في بعض الأحيان . وإذن كان لا بد من الاشارة الى ما كان منهُ من هذا وحسابه عليه

٥ — أشكر للسيد الاستاذ دفاعه عن الغزالي وصنيعه في الأخذ عن غيره دون أن يشير لمأخذه بأن هذا كان مألوفاً في العصر المتوسط ، لكن هذا لا يبرر مطلقاً — بالنظر الى الحق وحده — أن يغير قارات عديدة على غيره حتى في الاسلوب والتعبير ! وهذه القارات تظهر في كتابه معارج القدس ، كما تظهر في الاحياء . وفي كتاب الأربعين الذي لا شك في نسبتهما لهُ

ومن الهام أن أذكر انهُ لم ينقل عن الفارابي وابن سينا وحدهما ، بل عن غيرهما الذين لم يتصلوا منلهما بالفلاسفة الاغريق ؟ ويكفي أن يرجع القارىء الى ما ذكره في الفضائل التي سماها بالفضائل التوفيقية ، وهي : هداية الله ورشده وتسديده وتأييده ، والى ما ذكر الراغب الاصفهاني عنها في كتابه الذريعة الى مكارم الشريعة ، ليتبين كيف أخذ حجة الاسلام عن الاصفهاني نفس تعابيره !

٦ — أما أمنية الاستاذ الفاضل في أن يكون مذهب الغزالي في الزهد والروحية مثلاً أعلى عمليًّا للامم جميعها ، فهي أمنية طيبة نتمناها جميعاً . ولكن مادامت الأمم تتقاتل في سبيل هذه الحياة ، فلا خير لنا فيما يدعو اليهِ هذا المذهب من زهد مبالغ وفقر وجوع وخمول . أقول : « وفقر وجوع وخمول » لأن ذلك صحيح وله أسانيده من كتب الغزالي نفسه : الأحياء والأربعين على ما جاء بصفحة ١٣٦ وما بعدها من كتابنا

وبعد ، فهذا تعقيب رأيت أن لا بد منهُ على أهم ملاحظات حضرة الاستاذ الناقد التي لها قيمتها

والله أسأل أن أكون عند حسن ظنه بي ، وان يوفقنا جميعاً لخدمة العلم والحق ، انهُ الموفق والمعين

محمد يوسف موسى

مكتبة المقتطف

عبقرية عمر

تأليف : الاستاذ عباس محمود العقاد

المكتبة التجارية الكبرى بمصر ، مطبعة الاستقامة في سنة ١٣٦١ هـ ، ١٩٤٢ م ، عدد الصفحات ٤٦٠

« وكتابي هذا ليس بسيرة لعمر ، ولا بتاريخ لعصره ، على نمط التواريخ التي تقصد بها الحوادث والانباء ولكنهُ وصف له ، ودراسة لأطواره ودلالة على خصائص عظمته ، واستفادة هذه الخصائص لعلم النفس وعلم الاخلاق وعلم الحياة . فلا قيمة للحادث التاريخي جلَّ او دقَّ الا من حيث أفاد في هذه الدراسة ، ولا يعنيني صغر الحادث ان أقدّمهُ بالاهتمام والتنويه على أضخم الحوادث ، ان كان أوفى تعريفاً بعمر وأصدق دلالة عليهِ

«وعمر بعد رجل السياسة الحاضرة في العصر الذي نحن فيه ، لانهُ العصر الذي شاعت فيهِ عبادة القوة الطاغية وزعم الفاتحون بدينها أن « البأس » « والحق » نقيضان . فاذا فهمنا عظيماً واحداً كعمر بن الخطاب ، فقد هدمنا دين القوة الطاغية من أساسه لاننا سنفهم رجلاً كان غايةً في « البأس » ، وغاية في « العدل » ، وغاية في « الرحمة » . وفي هذا الفهم ترياق من داء العصر يشفي بهِ من ليس بمأيوس الشفاء »

هكذا قدَّم العقاد بين يدي كتابهِ وهو أتم قول في البيان عن مبنى كتابه وعن منحاه وعن غرضه الذي رمى اليهِ في كل فصل من فصوله . فأنت تقدم فيهِ بعينك ورأيك وعقلك على رجل قد استوى واستحصد . لا تجد ذكر أولية ولا ميلاد ولا نشأة ، ولا من كان أبوه ولا من كانت أمه ، وانما هو « عمر بن الخطاب » وحدهُ الذي تلقاه . ثم تجول فيه فلا ترى تاريخاً ولا مرقمةً ولا فتوحاً ولا اعمالاً ولا حوادث ، وانما ترى « رجل » التاريخ والموقعة والفتح والعمل والحادثة قد امتثل لعبقريتك فهيَّأ وفكَّر وعقلَ وتدبَّر وحنكَ ، هو الرجل ... هو عمر بن الخطاب

وعمر — ككل رجل في التاريخ — قد ترك للناس أعماله وخرج منها لتكون شاهدةً عليه، أحسن أو أساء، وليس أحد بأكبر من أن يسيء. وقد وقع في تاريخ عمر بعض ما يمكن ان يترجَّح الرأي فيه الى جانب الإساءة، واذا كان ذلك، فان عمل الكاتب — اذا اراد أن يؤدي الأمانة التي استحفظ عليها — أن لا يدع شاردةً من الحوادث الا اعتبرها ووزنها واستخرج منها ما يقيم له وجه الرأي، فان من ظلم الظالمين أن تحكم بالاساءة، على رجل قد أكثر من الاحسان حتى عُرف به. وليس يستقيم وجه الرأي في مثل هذا الا بعد تمحيص يخرج بك الى القدرة على معرفة النية التي انطوى عليها صاحب العمل فيما عمل. ولست تصل الى معرفة النية في العمل حتى تتمثل الرجل بجميع خصائصه ومناقبه، واطواره ومثالبه، ثم لا تزال توازن بين ما يجتمع لك حتى تعرف الحدود التي يقف عندها في كل أمر من أموره أو عزيمة من عزائمه، وحتى يتبيّن مقدار الطاقة في كل قوة من قُواه، وكيف تسيلُ، والى أين تتّجه، ولم تنحرف الى غير ما يظنُّ بها

فاذا عرفتَ ذلك وأطقته، نأتَ — بعدُ — على الطريق ... واذا الشيءُ يفسّرُ الشيءَ وقد ظُنَّ انهُ يعارضهُ، واذا الحادث يحقق الحادث وقد خُيِّل انهُ يناقضه. وبذلك يخرج الكاتب من جملة « الكتّاب المتسفين !! » — كما قال العقاد — الذين تعوّدوا « أن يحمّدوا وينقدوا، وأن يقرنوا بين الثناء واللام... فان لم يفعلوا ذلك فهم اذن مظنّة الغفلة والاعجاب والتحيز »

ويكفي العقاد فخراً انه حطّم بهذا الكتاب تلك الهياكل البشعة الموبوءة التي يتعبّد أهلها بكلمات مريضة كالإنصاف والتحقيق العلميّ، ثم يرمون من سواهم بالاغراق والمبالغة والمغالاة والتعصّب الى آخر ما يملكون من كليم. ولم يكن تحطيمها إلاّ بقوة من العقل والمنطق والاستقصاء والمراجعة، حتى يخيل اليك إنه لم يدَعْ شيئاً يمكن أن يؤتى به في الحجة والدليل إلاّ أتى به بيّناً كأحسن البيان لمن شرح بالعلم صدراً ولم يباعد فيه عناداً من لا يعقل. ولذلك لم يعجم عن أن يقول لهم حين قال لنفسه في أول كتابه: « ان كنت قد أفدت شيئاً من مصاحبة عمر في سيرته وأخباره، فلا يحرّكنّك أن تزكي عملاً له كلما رأيته أهلاً للتزكية. وان زعم زاعمٌ انها المغالاة، وانه فرط الاعجاب »، « فالحق انني ما عرضت لمسألة من مسائله التي لغيط بها الناقدون إلاّ وجدته على جحة ناهضة فيها، ولو أخطأه الصواب »

وهذا الذي فعله هو عين التحقيق طريق العلم المثبت الذي لا يخاف ولا يتردّد، ولا يحاول أن يسلب لنفسه المحاسن التي تقوم على دعوى اللسان، اذ يقول لهُ: هذا رجلٌ

منصف . هذا رجل محقّق ! هذا رجل واسع الذهن ! هذا رجل يرى وجوه الرأي من جميع نواحيها ! فإذا هذه كلها تعاويذ الرضى وتمائم الجهّال

لم يدع العقاد شيئاً من مقوّمات شخصية عمر إلاّ عقد عليه فصلاً أو بعض فصل ، ومن هذه المقوّمات تتمثل عمر بجميع خصائصه وأخلاقه وما تدلّ عليه أعماله من أول جاهليته الى مقتله وهو أمير المؤمنين

وما شكّ أحدٌ في القوة النفسية التي كانت تتدفّق بهذا الرجل كأنها سيل جارفٌ ، وكانت تسم أعماله وأخلاقه بسمة فذّةٍ بين أعمال الرجال وأخلاقهم ، وكانت على عهد رسول الله — وهو من هو — مميزة لعمر عن جميع أصحابه صلى الله عليه وسلم . ولقد كانت هذه القوة التي لا يخطئها مؤرّخٌ يكتب عن عمر ، سبباً في أخطاء كثيرةٍ في فهم تاريخ الدولة الاسلامية بل كانت سبباً حمل بعضهم على أن يذعوا في الدعوة الاسلامية أوهاماً مضلّة لمن لم يقف على حقيقة هذه الدعوة ، ولا على حقيقة صاحبها ، ولا على حقيقة عمر من بين أصحابه صلى الله عليه وسلم . وكأن العقاد وقد تنبّه لهذا من أول كتابه فهو يثبت لك القوة النفسية في عمر ويدلك على أنها مع اندفاعها وتدفقها لم تجعل صاحبها من أصحاب المطامع الطاغية التي تدفعهم الى اقتحام الحقّ الى باطلهم ان كان لا بدّ لهم من ذلك . ولم يأت بها كلمةً تقال لتدفع شبهةً ، بل عاد اليها في الفصل الذي عقده عن « صفات عمر » من ص ٤١ الى ص ١١١ ؛ ثم في الفصل الذي يليه عن « مفتاح شخصيته » من ص ١١١ — ١٤١ فأبان عن تعادل القوى النفسية في عمر بحيث لا تطغى صفةٌ من صفاته على الأخرى فتتحيّفها أو تأكل بعض حقها في العمل . فالعدل والرحمة والغيرة والفطنة والايمان ، هذه كلها في عمر تتعاون تعاون الأسلحة الحربية في الغرض الذي ترمي اليه ، وأصل ذلك كله مجتمع في الخلق الغريزي الذي طبع عليه عمر ، وهو طبيعة الجنديّ الحازم الصارم الذي لا يلتفت الى وراء اذا عرف انه لا بد منتصر على العقبات التي تحيّل له لتضعف من حدّته . وقد جعل العقاد « طبيعة الجنديّ » هي مفتاح شخصية عمر ، ولقد وفّق في ذلك أحسن التوفيق ؛ إذ هي التي انتظمت جميع خلائقه فرمت بها الى أغراضها ، وحمتها أن يطغى بعضها على بعض

بل ان الحدود التي حدّ بها طبائع عمر ، وبيانه عن طاقة كل قوة من قواه ، وتحديده لعملها في عمله . قد أعانه كل العون في تصحيح الروايات المختلطة التي تروى عن عدل عمر أو رحمته أو قسوته أو لينه ، فاستطاع مثلاً (من ص ٤٩ — ٥٨) أن ينفي من قصة عبد الرحمن بن عمر وأبي مسروعة حين شربا الخمر بمصر فحدّهما عمرو بن العاص ، وأعاد عمر الحدّ حتى أتمه حين حملهما اليه بالمدينة — استطاع أن ينفي كل المبالغات التي دخلت على

الرواية . واستخرج منها الرواية الصحيحة التي تطابق الحق والعدل في غير زيادة أو نقصان

وبذلك أيضاً استطاع ان يعرّف رحمة عمر تعريفاً لا يدع شكاً لأحد في أن عمر كان يرحم بنظرة مستقيمة لا تظلم ولا تقبل الظلم فهو يرحم الصغير والكبير ، والمسلم والذمي من أهل الكتاب سواء ، فهو لا يرحم المسلم لأنه من أهل دينه ، ثم تذهب الرحمة من قلبه لاعتداء ليس من أهل هذا الدين ، بل هما لديه سواء فيما استوجبا به الرحمة

وليست تقتصر فائدة هذا البيان عن قوى عمر على الكشف عن خصائص أخلاقه وطبائعه ، بل أعانت أيضاً على بيان أعماله كلها في تأسيس الدولة الاسلامية ، التي قاد جيوشها ووسع ممتلكاتها ، وأرسل اليها عمالها ليحكموا البلاد ، ويعلموا الناس دينهم الذي اتبعوه

فهذه القوة التي لا تقف أبداً بل تندفع الى الامام في كل وقت كما تكاد تعرفها في عُمَر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هي نفسها القوة الكبيرة المتربصة التي كان عمر يوصي بها قواده وعماله . ففي عمر قوة الاندفاع وقوة الضبط معاً لا تفقد احداهما حيث يجب أن تكون . « إن اليأس الذي رزقته نفس عمر لحظ عظيم ، ولكنه لو كان في يدي غيرها لقد يكون نصيبها أوفى من نصيبه وهو في يديها . فلم يشحذه عمر قط لغرض يخصه دون غيره » وكذلك « يقوى الرجل فلا يخافه الضعيف بل يخافه من يخاف الضعفاء » كما قال العقاد في فصل من كتابه

ومن قديم والناس يخوضون في موقف عمر من سيف الله خالد بن الوليد حين عزله ، ثم أتى جماعة من المحدثين — عربهم ومستشرقيهم — فاستوحلوا فيه الى الآذقان ، فانبرى العقاد لأقوالهم تعندها بالحجة التي لا يقف لها شيء ، ولم يجعلها كذلك الا هذه الحدود التي استطاع ان يميز بها أخلاق عمر وطبائعه ، فانه استخدم كل ما استبان له من شخصية عمر بعد التحليل المقنع ، وسرد القصة كلها بما يرتضيه العدل و منطق والتاريخ ، واذا شئت أن تثبت من ذلك فاقرأ من ص ٣٣٨ — ٣٦٤ فلعلك خير ما كتب الى اليوم عن هذه المسألة التي ظل فيها من مثل

ان كل فصل من هذا الكتاب يستوقف الناظر فيه ، فلا أدري ما آخذ منه وما أدع ولقد جاهد العقاد فأبلى بلاءً حسناً... انما كان يقاتل تاريخاً مختلطاً مبعثراً قد أهمد أهله ، وتراه باغية قد رمى بها قوم عزّهم عن أنفسهم قوة أيديهم وعلوّ سلطانهم ، وتكاذيب قد تحيل بها المستضعفون من الكتّاب . ولقد دل بهذا الكتاب على ان التاريخ العربي والاسلامي اذا استوى له كاتب قد قرر المذهب على أصول صحيحة ، استطاع أن ينهي عنه

وغلة وأن يمنحه بعثاً جديداً بعد تراكم الأتربة التي قبرته أجيالاً طوالاً

ليس من الهين أن تكتب التاريخ الاسلامي على نمط جديد ، فان عدّة الكاتب لهذا الأمر تتنازعها قوًى مختلفة يجب ان تتوفر للكاتب ، ولعلها قد توفرت في العقّاد ، فهو أديب يتقصّف معاني الكلام وينفذ الى ما وراءها ، وهو مفكر لا يدع للفكر منهجاً الا ولج اليه ، وهو واسع المعرفة فهو يعرف المجهول من المعلوم بادق فكر وأحسن نفاذ . وبذلك استطاع أن يكتب للتاريخ الاسلامي فصلاً خالداً في شخصية خالدة هي الفاروق «عمر بن الخطاب »

محمود محمد شاكر

فهرس الادب العربي في لبنان (١)

الأدباء وتراجمهم ومؤلفاتهم

يؤذن لي اليوم ، من هذا المذياع ، الذي دوّى ويدوي في الأجواء العربية ، أن أرفع الصوت باسم النواشج الباقية والتاريخ المشترك والحروف السود في كتاب الضاد الأبيض . يؤذن لي اليوم في القاهرة المعزية موئل القلم العربي منذ فجر النهضة ، أن أفرغ في هذه الهنيهة ما أحمله ويحمله معي الجيل الطالع في لبنان العربي من حب للكنانة ووجد بها وكد معها من أجل الحق والخير والجمال

تستريح العين في مخطط الدنيا على صفحتي القناة التي أرادها اسماعيل العظيم بين بحرين يوم فتق عقدة السويس ما وراء الطور . وتروح القوافل وتجيء على سيف هذا المتوسط ويزدهي الأدب العربي ببشائر نهضة حبيبة بعد أن عانى الجمود طوال خمسة أجيال ، وتلاقى جُهد من عندكم ومسعى من عندنا ، وتلتمع الحروف على الشاة وتنضحك أسارير البيان بالبشر ، وتتعالى على قضايا الاحتماع اصداء أدب قوي يغرق الدنيا من جديد في موجة عربية . أدب تزقزق فيه طيور الصباح وتغني مياه الأنهر والعيون وتخفق وجوه الحقول بألف لون ولون ، وترف الأعشاب مع النحل والفراش على ثغور الورد والأقاح والياسمين ، أدب حر لا يقيده غير الجمال المطلق ، فانه امتاع الحواس وامتاع الشعور قبل كل شيء . أدب جديد لا يتعرف الى النماذج والتقليد الأبله ، يعلن عن الحياة ويكيفها بطريقة ايحائية ولا يصورها قط . فهل لي قبل ان أدخل واحة هذا الأدب العربي في لبنان ، أن أشيد ببعد مصر السخية وبما كان لها وما سيكون من الأثر في توجيه خطى الفكر في لفتة من أخطر لفتات التاريخ

غب انقراض عهد « مدرسة الكادحين » عند نهايات القرن التاسع عشر تحرر الأدب في لبنان ، وزلقت الزوارق على كف هذا الأزرق الطاهر ، تحمل الى أميركا « الأندلس الجديدة »

---

(١) حديث للاستاذ صلاح الاسير أذيع من محطة الاذاعة المصرية بالقاهرة في ١٢ نوفمبر ١٩٤٢

سبيلاً أقام للعروبة في العالم الجديد صرحاً يبقى على الدهر . بينما كان لبنان ، هذا الجبل الحالم الحائر بين الشرق والغرب على مفترق الطرق، لا يكاد يجد سبيله في بلبلة الأحداث . وبومئذ كان أمين الريحاني وجبران خليل جبران وميخائيل نعيمة وفوزي ومبشان وشفيق المعلوف وايليا ابو ماضي والشاعر القروي يؤكدون حدثاً جديداً في العالم الجديد ، وظل طور التجارب أمداً غير قصير ، وفي تلك الأيام كان بشارة الخوري يلوّن إحداقه بالخيال الرائع وينذر نفسه للوثبة بالشعر في لبنان الى مرافي الفراديس المصرية ، مروراً في مقاطع عميقة الخطرات بواده الألم الذي برح بالجبل اللبناني ، الى جانب مقاطع غزلية ساحرة تسجّها سذاجة النفس في مختلف حالاتها . ويعود الى لبنان من باريس عمر فاخوري ، هذا الأديب الساحر ، فاذا قلم يرفل بالمنمنمات على القرطاس ، قلم له طعم ولون وشيمة ، تتلاقى في شقيه زرقة البحر بسمرة الصحراء ، وترحب المكتبة العربية بـ « ابواب الرصود » و « الفصول الأربعة » و « لا هوادة » هذه الكتب التي أخرجها عمر فاخوري زلفى الى الفن المارد

وفي زقزقة السرب الفتيّ من بلابلنا الغردة ، نمس ذوقي العظيم عينيه : فاذا امين نخلة أديب الظل والماء والحياة الريفية ، وانوله الذي لا ينقطع في دنيانا أجره ، واذا الياس ابو شبكة بوذلير لبنان ، واذا دياجة ساحبة الرواء تنضح بالخير الكثير ، وتصغي الأجواء العربية الى ابداع وخلق في شعر صلاح لبكي وسعيد عقل . وثمة فوق هذا شعر بلغة القرية يدخل الى القلب دون استئذان أهل الكوخ وأهل البصرة ، تربع به رشيد نخلة على النجوم ، ورفع به ميشال طراد « ميترال » لبنان الى الجنة . . . . . وينبغي أن أتمهل ههنا قليلاً فهؤلاء أترابي في الجرس البعيد ، والخيال المخداق ، استطاعوا ان يعجلوا في نقلة الشعر العربي من الجمود الى الحياة على نحو لا أعرف له مثيلاً في أي بلد عربي آخر . فالشعر عندنا ظلّ حالة لا تعيها لغة ، حالة تردد وذهول بين خاطرة وخاطرة بين هاجس وهاجس ، الشعر عندنا انتقالات من مواضعات النثر وما ينبغي للنثر من وعي وفكرة . الشعر رقص على صفاف الموسيقى واخلاص غامر لشهقات الأخيلة واهتافات في جو الوجدان وعالم العرق والرغبة

وفي القصة هذه الجنية التي طرقت أخيراً باب الأدب العربي ، يستطيع لبنان أن يفخر بجهده في حقلها الترامي الأطراف ، فكرم ملحم كرم في « أبونا الطون » وغيرها يبارع السرد موفق الوصف ، وتوفيق عواد في « الرغيف » و « قميص الصوف » الساقي البارعة حميم الصلة بأعرق وأعتق النوازع الواقعية ، وخليل تقي الدين في « الإعدام » أنيق الاسلوب عميق الغوص في عوالم تضج بالحركات والتهائم والاساطير . وروكز الشهال يخبط بجرأة الى القصة المثالية

أما في الصحافة ، فسيظل جبران التويني صاحب «جريدة النهار» أجمل رجالها بتوجيه الرأي وهو في أسلوبه على بيان عربي مشرق وفكرة نيرة ، وفي الصحافة الادبية اليوم ، رغم ازمة الورق ، وثوب ونطلع الى الكمال ، فمجلة «الاديب» البيروتية مرآة لخوالج الجيل الطالع في الادب والفن والسياسة والاجتماع ، ومجلة «الطريق» وجه لبعث الحق وكتابها رئيف خوري ، قدري القلعجي ، الفوال ثابت ، طليعة المتحررين ، وصوت لبنان في جهاده من أجل نصرة المبادىء الديمقراطية ، وجريدتا «الجمهور» و«المكشوف» مسرح لاقلام فتية ، ونتاجهما يعبر عن ثقافة رحبة وأمل معطاء ! . . . .

وبعد ، فهذا جانب من فهرس الادب في لبنان ، وما أخالني أحصيت شتى وجوهه ، ولكني أطمع ويطمع معي لبنان العربي في أن تنظر مصر العربية الى جهدنا الوادع ومحاولاتنا المخلصة

صلاح الاسير

مجرى الادب في مصر سنة ١٩٣٨

هذا موضوع المحاضرة التي كان ألقاها صديقنا الدكتور بشر فارس في مؤتمر المستشرقين المنعقد في بروكسل صيف سنة ١٩٣٨ وظهر في «مجلة القاهرة» La Revue du Caire (اغسطس ١٩٤٢) التي يشرف على اخراجها العالم الفرنسي الأستاذ جاستون ڤييت . وقد نظر الدكتور بشر في سنة كتب ظهرت في تلك السنة هي : «في منزل الوحي» لحسين هيكل ، و «على هامش السيرة» لطه حسين ، و «سارة» للعقاد ، و «في الطريق» لابرهيم عبد القادر المازني ، و «عصفور من الشرق» لتوفيق الحكيم ، و «سندباد عصري» لحسين فوزي . وقيمة هذا البحث في — اذا المعالجة ومنحاها أن الكاتب يستعرض مجرى الحياة الاجتماعية من التآليف فيستخرج الحالات الذهنية والنفسانية والثقافية والارادية ويتبين النزعات المختلفة من ثنايا الكتب . وفي ذلك فائدة كبيرة لتحسس مدى الانقلاب الذي يعانيه الشرق العربي الآن . وهو نظر ناقد انصرف الى هذه الجهة من النظر قبل اليوم . فالكتاب معبر الى الشخص عن المجتمع وأما قيمته الأدبية — في هذا النظر — ففي المحل الثاني . وقد وفق الدكتور بشر لتطبيق نظريته الطريفة وهو يتحدر في تلك الكتب الستة ! وقد أهمل مسرحيته «مفرق الطرق» المنشورة في المقتطف سنة ١٩٣٨ وفيها أيضاً نزاع !) فكشف عن الأزمات التي تضطرب فيها ولا سيما أزمة تجاذب بين الحضارتين الشرقية والغربية وأزمة تحرير المرأة . وبسط كل ذلك في أسلوب دقيق ولغة فرنسية عالية . ولعله يخرج هذا البحث في كتاب ويضم اليه الابحاث الأخرى التي وضعها في الأدب العربي الحديث سواء في الفرنسية أو العربية

تاريخ الجامع الازهر في العصر الفاطمي

للاستاذ محمد عبد الله عنان — طبع بمطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر في ١٧٥ صفحة من القطع الكبير

كان في النية أن تحتفل القاهرة بعيدين قوميين : اولهما عيد القاهرة الالفي ، وثانيهما عيد الجامع الازهر الالفي . وهما مناسبتان لا يصح المرور عليهما بالاغضاء والاغفال . وقد اهتمت الحكومة والدوائر الازهرية وقتاً ما بالأمر وألفت لجنة العيد الالفي للقاهرة كما عُين وقت العيد الالفي للازهر في أمس القريب

وقد رأى الاستاذ المؤرخ الجليل محمد عبد الله عنان ألا يدع هذه الفرصة تمر بغير أن يتقدم فيها الى القراء ثمرة طيبة من ثمرات بحثه المؤسس على العلم والتحقيق ، فألف كتاباً في تاريخ الازهر في العصر الفاطمي وقصد به ان يكون هدية منهُ الى هذا المعهد الجليل في يوم ذكراه الالفية ، وأضاف اليهِ تكملة حتى العصر الحاضر

وعجيب جداً ان يتصدى للكتابة في تاريخ الازهر في عصر من عصوره واحد من غير أبنائه — وهم بحمد الله كثير — كأن تلك الجامعة العريقة لم تجد في ابنائها اليوم من ينهض ليؤرخ لها بعض الحقب . فاذا عددنا عمل الاستاذ عنان من ناحية قياماً بحق التاريخ الذي سبق الاستاذ في مضماره . فانه يعد من ناحية أخرى وفاءً لذكرى أثر اسلامي جليل . والوفاء قد يكون في الابناء وغير الابناء

ومما هو جدير بالذكر في هذا الصدد ان الاستاذ عنان كان له — على ما بين في مقدمته — نصيب في بحث تاريخ تأسيس القاهرة وانشاء الأزهر الشريف ، عندما رأت لجنة العيد الألفي أن تسترشد برأي بعض الهيئات العلمية . فرأت كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول في مذكرتها أن يكون الاحتفال به (انشاء القاهرة) في رمضان سنة ١٣٦٢ هـ . . . . وكان من الواضح — على رأي الاستاذ عنان — ان القول باعتبار واقعة دخول المعزّ لدين الله مدينة القاهرة في ٧ رمضان سنة ٣٦٢ هـ واتخاذها حاضرة للخلافة الفاطمية أساساً لتحديد عمر القاهرة الألفي — وهو رأي كلية الآداب — قول لا يسوّغ الأخذ به في هذه المناسبة التاريخية . لأن المقصود كان احياء ذكرى انشاء القاهرة لا ذكرى قيام الخلافة الفاطمية فيها . ولما كانت القاهرة المعزية قد وضعت خططها في مساء يوم ١٧ شعبان سنة ٣٥٨ هـ فانها تكون قد استكملت الف سنة من عمرها في ١٧ شعبان ١٣٥٨ الموافق لليوم الثاني من اكتوبر ١٩٣٩

اما الجامع الأزهر فقد كان البدء في انشائه بعد أن وضعت خطط القاهرة المعزية بنحو تسعة اشهر في ٢٤ جمادى الاول سنة ٣٥٩ هـ وافتتح للصلاة بصفة رسمية في يوم الجمعة السابع من رمضان سنة ٣٦١ هـ . فاذا أخذ بتاريخ الانشاء فان الازهر يكون استكمل الف سنة من

عمره في ٢٤ جمادى الأولى سنة ١٣٥٩ الموافق ١٦ يونيو ١٩٤٠ واذذ أخيذ تاريخ اتمامه وافتتاحه للصلاة فالعيد يقع في يوم الجمعة ٧ رمضان سنة ١٣٦١ الموافق ١٨ سبتمبر ١٩٤٢ والاستاذ عنان يؤثر التاريخ الثاني ، وهو الموعد الذي كان مضروباً للاحتفال هذه السنة

ويظهر ان ضيق الوقت ، ورغبة الاستاذ المؤلف في انجاز الكتاب في الموعد المناسب لم يمكناه من اطالة البحث وتوسيع آفاق الاستقصاء كما كان يشتهي وكما عوّدنا وقد وقعت في الكتاب هنات في اللغة والطبع . . . الا أن ذلك لا يقلل من قيمة الكتاب ولا يغضّ من شأنه . وقديماً قالوا « لا تعدم الحسناء ذاما »

وقد أورد الاستاذ بعض الألفاظ التي نقلها عن الخطط والنجوم الزاهرة وغيرها من غير أن يشرح معناها . وهي ألفاظ تركية تحمل دلالات خاصة في زمانها أو لم يعد لها الآن وجود أو استعمال مثل كلمة « اسفهسلار » الجند . فما معناها ؟ أليس من حق القارىء على المؤلف أن يطلب تفسيراً لمثل هذه الكلمة ؟ أما منظومة ابن سعد الدين المصري المخطوطة بدار الكتب رقم ١٠٤ تاريخ والتي أورد منها الاستاذ بيتين في ص ١٣٦ فهي لا تجري على قواعد العروض ، وكان الأولى به أن يشير الى ذلك وهو في معرض الحديث عنها وعن ناظمها . والكتاب برغم هذه الهنات عمل يستحق عليه مؤلفه الفاضل أجزل الشكر ، فهو الآن ثالث ثلاثة كتب عملت في تاريخ الأزهر ، والكتابان هما رسالة السيد مصطفى بيرم في مؤتمر المستشرقين بهامبرج ، وكتاب كنز الجوهر في تاريخ الأزهر للشيخ سليمان رصد الحنفي

محمد عبد الغني حسن
مدرسة الخديوي اسماعيل الثانوية

الفكرة الريفية لفؤاد افندي

بقلم الاستاذ أمين نخلة — طبع مطبعة الكشاف في بيروت — ١٢٥ صفحة من القطع الوسط

الأستاذ أمين نخلة شاعر من الشعراء الذين سلّمتهم الطبيعة مفاتيح أسرارها فهم يكشفون بين الفينة والفينة عن جمالها ، ويزفّون هذا الجمال في نغم عذب جميل

ولقد شاء الأستاذ أمين أن يدع ريشة الشاعر ليحمل ريشة الرسام الماهر مطلقة من قيد القافية ، لينقل الينا صوراً فاتنة من ريف بلاده ، فلم تفته روح الشاعر وإن فاته نغمه . وانك لتنقل نظرك بين صحائف كتابه وكأنك لست بين صحائف بيض وسطور سود ، ولكنك بين مروج خضر وجداول فضية رقراقة وعيون من الجمال ثرّة ، وتكاد تشم عطر الزهر أو تكاد تسمع همس الجداول ومناغاة الأطيار

وان القارىء لهذه الفكرة لينقاد بسحر الأمين الى بيت فؤاده بين بلاد الجبل على درب

الريف ليتسمع أخباره وأغانيه ، وليرى مقاطع تمثيلية تجري حوادثها في هذا الريف ، وليتلقى من كتاب الطبيعة المبسوط فيه قصائد ومطالعات وبذوراً وأمثالاً ، حتى ينتهي به المطاف الى بيت فؤاد افندي ليسمع بعد ذلك منه قصة الفردوس الأرضي

وبعد فلقد سحرتني ريشة أمين تلك التي وصفها فقال: «قصبة نبتت في بسيط أفيح وعاشت على طلاقة ، وضياء ، وماء ، تلعب بين الرياح بلا معارض » وإن « هذا القمقم السحري » الذي شممت فيه لأبهج عطراً من أحقاق المسك في ايدي الكثيرين ، واذا كنت مديناً له بتلك الساعات الحلوة التي قضيتها في ظل كتابه ، فإني مدين للقارىء الذي شوقته الى هذا الكتاب بأن أقتطف له شيئاً من هذه المفكرات، فأناوله بذرة من بذور الريف هي قول المؤلف «ولدالفن يوم قالت الحية : أطيب أكلة في الفردوس — التفاحة ، بدلاً من ان تقول لها كلي التفاحة»

بهذا الاستهلال تفهم أسلوب المؤلف وأفكاره ، وتستطيع ان تسير معه في دربه وتستمع اليه يصف عنقود العنب فيقول :

« خذ بيدك في شهر ايلول ، عنقوداً من العنب وارفعه الى عينيك ، وانظر الى نور الشمس ، من خلال الشفوف ، وتأمل الاعلبة الجوهري أعلى ، ولا خزانة البخيل أثمى من عنقود ، ان في عنقود واحد من العنب ما يملأ العين من السعادة »

ولنصغ اليه وهو يصف الفراشة البيضاء تنتقل من زهرة الى أخرى فيقول :

« تحط وتنبض ، ولا تحط ولا تنبض ، بل جاءت في سياق الهواء ، تلتمس بطرف جناحها ورقة النبتة ، فما أحست الندأوة ، من قريب ، أقامت بالجناح ... وهي تطف مقامها بين ورقتين ! تسائل ، حينئذ، نفسك: أخضراء ، أو بيضاء ، ! ونبات يروح ، أو روح ينبات ؟ ! »

وهو يرى المرأة في الريف تعمل الى جانب زوجها ، روحها في الشجر حياة ، ونفسها في الزهر شذى ، فيمجدها ويقول :

« امرأة الريف أجل منها في المدينة ، وشأنها فيه أمثل ، وفضلها أتم ، وهي لي حتى الغيل ، أو على القطف ، خلف العنب ، أكرم بدأة منها في حمرة الغنون الجبلة ... فاصبر على قدر المشقة »

وما أجل مرثيته لدالية العنب فهي نفحة أمين الشاعر على لسان امين الناثر :

« يا أيها الدالي ، على القطف ساقي ، هدأ حظك ، في الغدير الى الارض ، وقام حظ الذباب ... ولم ينفع بسيقانك الفروعة ، انها كانتهاء ، تمضي من فوق ، وتكبو بلا حساب، وانما تنزل العصافير على قطر ، مائدة ، وتبل القلوب بأعذب ماء ! ... كل ثمرة في الفم ، يبلغ طعمه حيث يبلغ طعم الابتسام ، ثم يقف — عدا ثمارك ! فهي التي تمتد الى الاحياء ، وتعلن وراء الشاعر ، وكل ظل ، عداه ، لا يتجاوز العين — عدا ظلالك ! فهي التي تمتد الى القلب ، فتحضر الاشواق ، وتدق الثغر ، لرفاف بتلك الحلوة ... فما صبر أم لجبر خلت ؟ سقى عليك ! »

هذه نفحات من المفكرة الريفية التي قدمها الأستاذ أمين نخلة تحفة جيدة الأدب ، وانه لوحي الطبيعة في أجل مظاهرها ، مظاهرها الساذجة التي يتخفى وراء سذاجتها أعمق أسرار الجمال ، وأجل ما أبدع ذو الجلال . فالى القصة التي عاشت على الطلاقة والى القمقم السحري الذي انفحت فيه أقدم خالص الاعجاب

العبرقي

باب الأخبار العلمية

تضليل طيارى الاعداء

في الحرب الحالية

الامواج اللاسلكية وتضليل الطائرات

إن في الحرب الجوية العصرية حيلاً حربية جديدة كثيرة فأصبحت معارك الدهاء دائرة الرحى جنباً الى جنب مع معارك الرصاص والقنابل المشتعلة . وحينما شرع الالمانيون في استعمال الأمواج اللاسلكية الموجهة بغية ارشاد طائراتهم الى أهدافها في انكلترا ، اهتدى علماء الانكليز الى جواب محكم أجابوا به أعداءهم . ذلك أن الالمانيين أطلقوا من القارة الأوربية موجتين لاسلكيتين موجهتين ، من ناحيتين تبعد احداهما عن الأخرى بعداً شاسعاً ، الى الهدف المقصود في انكلترا ، لتستطيع قاذفات القنابل النازية الليلية الاسترشاد باحدى تينك الموجتين اللاسلكيتين حتى تلقي قنابلها عند تقاطع احداهما مع الأخرى . فتنبه خبراء اللاسلكي البريطانيون الى تلك الحيلة فعمدوا الى احباطها اذ أنشأوا تقاطعاً كاذباً بموجة لاسلكية من عندهم

فلما عمدت الطائرات الالمانية ، قاذفة القنابل ، الى شن اغاراتها على أهدافها ، ضلت السبيل ، فألقت قنابلها على الحقول في الأرياف البريطانية . ثم توخى البريطانيون تحسين تلك الطريقة فاستخدموا أمواجاً لاسلكية بطولها كفول الأمواج الالمانية فحرفت الأخيرة عن مجراها المقصود ، فغدا طيارو الالمانيين يلقون قنابلهم في الأماكن غير المرومة . وكانت الطائرات الالمانية القاصدة الى بريطانيا ، تلازم الموجة اللاسلكية الموجهة الى بريطانيا نفسها (التي اخترعها الانكليز تضليلاً لهم) حتى ينفد منها البنزين فتضطر الى القاء قنابلها في البحر وتعود أدراجها بصفقة المغبون

تظاهر الطائرة للافلات

ومن الحيل المألوفة عند قادة الطائرات حين وقوعهم في مأزق حرج ، تظاهرهم بأن الطائرة قد أصيبت وأنها على وشك أن تهوي الى الأرض وأن زمامها قد أفلت من يد الطيار . وقد جهز الالمانيون بعض طائراتهم الحربية بمواد كيميائية تولد سحباً من الدخان لتضليل الناظر اليها فيحسبها قد احترقت . ولهذه الحيلة مثيل في حرب الغواصات اذ

تطلق الغواصة مقداراً من النفط والحطام المخزن لهذا الغرض فيطفو على سطح الماء فيظنها الاعداء قد دمرت

نيران مشتعلة لتضليل المغيرات

وفي فصل الصيف الماضي كان رجل أميركي نزيل برلين يسير في احد الشوارع القريبة من تلك العاصمة فعثر على حيلة من أعظم حيل الحرب اتقاناً . وهي شبكة من الأسلاك ممدودة فوق حقل غير مسيَّج . فجعل السائر ينعم نظره في ذلك الحقل فتبيَّن أن الأسلاك ممتدة من خندق ومنتشرة على شكل مروحة متصلة بمبان صغيرة على ربع ميل من الخندق . ولم يكن لهاتيك المباني سقوف أو زجاج نوافذ . وكانت أراضي المباني مفروشة بسجادة الخشب وغيرها من الفضلات . وكانت الأسلاك متصلة بمفتاح كهربائي في الخندق يُدار بهزة صغيرة فيشعل السجادة فتندلع ألسنة اللهيب ليلاً من النوافذ والسطوح الخالية من السقوف فتبدو لناظرها كأنها نيران حقيقية بغية خدع قاذفات القنابل البريطانية التي تشن عليها الاغارات الجوية الليلية

تقييد الأحياء والمدن

وأتيح أيضاً لذلك المخبر الاميركي الاستدلال على حي (من مدينة برلين النزيهة) إذ توغَّل فيه فشاهد شوارع ومصانع وسكك حديدية مقيدة بمئات أميالاً . وكانت تلك الشوارع غاصة بأقفاص كبيرة (مما تستعمل لوقاية السلع المراد نقلها من مكان الى آخر) وكان في كل قفص منها مصباح كهربائي . وذلك من شأنه جعل الحي المشار اليه كأنهُ من أحياء مدينة برلين الحقيقية ، وقد أطفئت مصابيحه اطفاءً غير تام . واعتاض في الستر نصبت في المدينة النزيهة طوائف من المدافع المضادة للطائرات وقاية لها من قاذفات القنابل المعادية

ولم يكتفِ الالمانيون بتزييف برلين وحدها بل أنشأوا مدينة على هذا النمط في كولوني وذلك عند منعطف عجيب لنهر يشبه انحناء نهر الرين عند كولوني الحقيقية . وأذيع قبيل هجوم المانيا على روسيا أن الاولى أنشأت مدينة مزورة تقليداً لمدينة بلويستي Ploesti الرومانية حيث يكرر النفط الروماني فقلدت مصانع التقطير الكبيرة بانشاء صهاريج للنفط مصنوعة من الخيش ، تنبعث منها سحب كثيفة من الدخان الاسود الكيميائي عند قذفها بالقنابل

مصانع مضللة

وفي انكلترا حيثما يظن أن مصنعاً من المصانع المشهورة سيكون هدفاً لقنابل الطائرات الالمانية المغيرة ينشأ على مقربة منه مبنى آخر مزيف رخيص . ثم تطفأ مصابيح المصنع الحقيقي اطفاءً تامًّا ، على حين تباح اضاءة بعض مصابيح المصنع

المقلد فيخيل لناظرها انها قد خالفت قانون منع تطرق الاضواء الى الخارج بعض المخالفة فتشن الطائرات المعادية اغاراتها عليه حتى تنفد قنابلها الثمينة بلا جدوى

وقد تم اتقان أساليب الاستتار الحربي في انكلترا اتقاناً مدهشاً فدهنت المناطق التي تشغلها المصانع لتشبه مباني السكن الكبيرة وأخفيت المنشآت الحربية اخفاء دقيقاً إذ جعلت كأنها منشآت تموين السيارات بالوقود فتصدف عنها المغيرات . فأصبح المرء يشاهد مدارج الطائرات المزيفة مصنوعة من الجير أو التراب الأبيض وتقاطع بعضها بعضاً في مطارات مزيفة على حين تخفى المطارات الحقيقية بانشاء شوارع مزيفة فيها

أمثلة أخرى متنوعة

وقال رقيب أميركي عاد حديثاً من بريطانيا العظمى إن ثلث المطارات في بعض أرجائها مزيف وثلثيها حقيقيان . وقد غير الالمانيون شكل برلين تغييراً شديداً يكاد يحجبها عن عيون الطائرات المعادية . فوضعوا فوق سقوف بيوتها أزهاراً ذات أوراق وأحاطوا بركها بأرمات مغطاة بالخضرة وغطوا بحيراتها الصغيرة تغطية تامة بشباك تمتد فوقها من شاطىء الى آخر . وضيقوا شارع Unter den Linden أو تحت دن لندن وهو أبرز معالم برلين ، الى نصف عرضه الحقيقي وذلك باقامة مقالات وشباك مختلفة فيه . وفي مدينة همبرج حيث يوجد حوض نهر ألبستر Alster وهو بحجة الطائرات المغيرة على قلب المدينة ، نصب الالمانيون طائفة من الصقالات والارمات بطريقة جعلت ذلك الحوض يظهر لطياري الاعداء كأنه متقاطع مع الشوارع والمباني المحيطة به حيث أنشأوا جسراً كاذباً وحوضاً مزوراً في الخليج بعيدين عن الحوض الحقيقي . ثم ستروا السكك الحديدية القريبة منه ودهنوا الشوارع الموازية للضفة بألوان زيتية مختلفة . ومع ذلك فقد كشفت مخابئهم آلات التصوير التي تحملها الطائرات البريطانية بعد أن تفقدتها أسابيع

وتنجح التعمية في كثير من الأحوال اذا صار الهدف غامضاً أمام أبصار الطيارين إذ الطيار يرى الأشباح ماثلة تحت عينيه . وتقطع الطائرة الحربية خمسة أميال في الدقيقة وهي على ارتفاع عشرين الف قدم من الأرض وعلى الطيار حينئذٍ أن يبصر هدفه على عشرة أميال ثم يتجه صوبه وهو على خمسة أميال منه . ويلقي قنبلته على بعد ثلاثة أميال من الهدف . فاذا كان الهدف المستتر مما لا يشاهد إلا من وضع عمودي فوقه تعذر على الطيار اصابته

الطبيعة والتصوير يكشفان الحيل

والطبيعة كثيراً ما تفشي سر التعمية . ومثال ذلك أن مطاراً ألمانياً مجاوراً لمزرعة تميزها من جاراتها تمييزاً جلياً حدائق الري « المصارف » أراد النازيون اخفاء معالمه

فرسموا بالالوان الزيتية خنادق كاذبة على طول المطار فصورتها آلات التصوير البريطانية كأنها حقيقية . اذا أن تجمدت المياه الحقيقية التي كانت جارية في الخنادق حتى برزت للعيان الخنادق الكاذبة المصنوعة بالالوان الزيتية كأنها لوحة اعلان من اللوحات التي تضاء بغاز النيون

واذا قصد الاستخفاء بالاستار التي تصنع من أوراق الاشجار الصناعيه ، وجب تغييرها طبقاً لفصول السنة كما ينبغي تغيير الاوراق الطبيعية يومياً لان البخضور الذي فيها يتلف عاجلاً ويظهر تلفهُ في الصور الفوتوغرافية التي يلتقطها الطيارون . وآلة التصوير الضوئي هي المرجع الوحيد الذي يعول عليه الرقيب الجوي في استكشاف حيل المضللين. وقد تظهر الرسوم الزيتية في صورة فوتوغرافية واحدة كأنها حقيقية ، ولكن اذا التقطت صور البقعة نفسها صباحاً وعصراً تجلت حقيقتها اذ تتغير الشمس ، ولا تتبدل الظلال المرسومة فيبدو غشها ويتكشف أمرها

وقد أظهرت المصورات البريطانية المجسمة للصور « الاستيريسكوب » كثيراً من الخدع الالمانية لانها تلتقط صورتين ضوئيتين جويتين في آن واحد ، فاذا فحصتا معاً « بالاستيريسكوب » ظهر انها صور مرسومة بالزيت لا أشياء حقيقية مجسمة

التصوير بالاشعة التي تحت الحمراء

ومن المغالطة في القول ان الالمانيين واليابانيين قد برزوا الحلفاء في اختراع ضروب الخداع الحربي اذ تيسر لسلاح الطيران الاميركي التفوق في التقاط الصور بالاشعة التي تحت الحمراء وهي تكشف أسرار الصور المرسومة بالزيت وتوضح الفرق بين الأوراق النباتية، صناعية كانت أو طبيعية، فأضحى ذلك السلاح مجلياً في التصوير الجوي الليلي وفي استعمال الافلام الملونة التي تنتج الصورة كما تراها العيون البشرية. وصار المهندسون الاميركيون خبراء في فن التمويه الحربي المقصود به وقاية العتاد على اختلاف انواعه ومثال ذلك الاكواخ المزينة التي تشاهد في نيو انجلند ، والمصايف التي تنشأ في شبه جزيرة فلوريدا ، وهي وسائل مدهشة لمواراة المخازن السرية المبنية تحت الارض لاخفاء البنزين اللازم للطائرات

وفي اميركا قاعدة من القواعد الحربية أنشئت على شكل مزرعة مستوفاة المعدات اذ تحتوي على مقبرة مزينة وبرج للهابطات يبدو كأنهُ قبة كنيسة . وقد زرعت في بعض أرجاء الحقل حشائش مختلفة يخيل للناظر اليها انها حقول حقيقية . اما المناطق المحتوية على المصانع الساحلية الاميركية الضرورية للحياة فقد استعمل لاخفائها الضباب الصناعي

عوض جندي

قنبلة الاعماق والغواصة

بين قنبلة الاعماق والغوّاصة عداة مستحكم. فرجال الغوّاصات الالمانية يسعون جهدهم لقطع خطوط المواصلات البحرية التي تعتمد عليها الدول المتحدة في غير ناحية واحدة من نواحي جهدها الحربي. ورجال الاساطيل البحرية المتحدة يبذلون طاقتهم لاستكشاف الغواصات ونسفها بقنابل الاعماق تحت الماء أو بقنابل المدافع على سطحه

وقد أثبت التجريب أن خير وسيلة لمكافحة غواصة تحت الماء ان تلقى اربع قنابل من قنابل الاعماق في المكان الذي تكون فيه الغواصة او يظن انها فيه. والقاء القنابل الاربع يكون في مربع او شبه مربع فتلقى كل قنبلة في زاوية من زواياه وتضبط القنابل حتى تنفجر جميعها في وقت واحد وعلى عمق معين، لكي تتأثر الغواصة بفعلها من جميع النواحي

اما ما يحدث للغواصة فلا يعرف على وجه دقيق. فاذا انفجرت القنابل قريباً منها فقد تسحقها فتتسطح وتمزق من فيها. واذا كان الانفجار على بعد ما منها فالصدمة القوية قد تعمل أجهزتها وتضطرها الى الصعود الى سطح الماء والغالب ان يجهز عليها بقنابل المدافع، او قد تغوص الى اغوار سحيقة فيسحقها ضغط الماء العظيم. وقلما تذاع انباء الفوز على الغواصات لأن قيادة أساطيل الدول المتحدة لا تريد ان تقيم للاميرالية الالمانية ما يمكنها من معرفة المناطق التي تغرق فيها الغوّاصات لارسال اخرى تحل محلها. ومطاردو الغواصات أنفسهم لا يعرفون أحياناً هل غرقت الغوّاصات التي قذفوا قنابل الاعماق عليها ولا يسعهم ان يستوثقوا من ذلك بمجرد الاعتماد على زيت أو حطام يطفو منها على وجه الغمر. فالالمان يتوسلون بهذه الوسائل ليضللوا مطارديهم

وفعل قنابل الاعماق مردّه الى ان انفجار المادة المتفرقعة تحت سطح الماء يولّد قدراً كبيراً من الغاز عند حدوث الانفجار فيدفع الغاز الماء امامه دفعاً قويًّا، والماء لا يضغط أو هو قليل الانضغاط كثيراً فيصدم جوانب الغواصات صدماً شديداً، كالمطرقة تطرقها فتختل اجهزتها في الداخل او تتفكك ألواحها او تضغطها فتسطحها

فيتامين K ونخر الاسنان

فيتامين هو الفيتامين المشهور الذي يمنع النزف. وقد كشف العالم الدنماركي «هنريك دام» فعلمنا من سنوات فاحتفي به في الدوائر العلمية والطبية أعظم احتفاء لان فائدته لا تقدر بمال ولا سيما في العمليات الجراحية والتوليد. فمن أغرب ما عرف عن التوالد حديثي العهد بهذا العالم ان مقدار «البروثرومبين» فيهم قليل، وهو مادة من المواد الاربع اللازمة لتخثر الدم. فأصغر جرح يصيب هؤلاء المواليد عند الولادة

او في الأيام الاولى من حياتهم يستنزف دمهم. فيتامين K يستعمل الآن لتوقي هذه الحالات فإما ان تجرعه الحامل في شهر الحبل الاخير وإما ان يعطى المواليد حقناً . ومن الشواهد على فعل هذا الفيتامين ان طفلاً وُلد وبعد ولادته بثلاثة أيام وجد دم في أنفه ، فاستخرجت قطرة دم من قدمه للبحث فوجد انها تخثرت بعد ١١ دقيقة من استخراجها ولكن دم الجرح بقي يسيل ١٢ ساعة فجُرّع مقداراً صغيراً من الفيتامين فوقف النزف من قدمه وبعد مضي ٩٠ دقيقة قصر وقت التخثر الى النصف ثم الى الوقت العادي وهو ثلاث دقائق

هذا شيء من فعل هذا الفيتامين في منع النزف . ولكن له فائدة اخرى عظيمة الشأن

اندمال الجروح : كشف عجيب

في كثير من معامل البحث الطبي والبيولوجي يسعى عشرات من الباحثين الى الكشف عن مادة تساعد الاجسام التي أصيبت بجراح على الشفاء . في انكلترا مثلاً يجربون الآن مادة تدعى «بيكوتان» — وهي مستحضرة من أجنة العجول — في شفاء جراح الحرب المتقيحة . وقال فريق من الاطباء الباحثين في مدينة سنسناتي الاميركية ان بحثهم أسفر عن ان الانسجة الضامة بجرح تولّد بفعل الجرح مادّة ما تعجل الاندمال

ثم نقلت مجلة « نايتشر » المشهورة ان الدوائر الطبية بالجيش البريطاني في القدس الشريف ، كشفت بالاشتراك مع الباحثين في معامل الجامعة العبرية ، ان في قلوب الفراخ كشفت حديثاً . فقد نشر جماعة من الاطباء الاساتذة بمدرسة طب الاسنان في جامعة نورث وسترن بحثاً في مجلة « سينس » اثبتت فيه ان فيتامين K سواء أكان طبيعيّاً أم مركّباً بالصناعة والكيمياء ، يحول دون نخر الاسنان ، لانه يمنع تولّد الاحماض في الفم واليها يرد النخر . وقد جرّب هؤلاء الباحثون تجارب شتى في الانابيب فوضعوا مقداراً صغيراً من واحد من فيتامين K المركب في ثلاث اوقيات من اللعاب تحتوي على ١٠ في المائة من وزنها سكراً فمنع وجود هذا القدر اليسير من الفيتامين ان تولد الاحماض في هذا المزيج مدى اربع ساعات

وفعل هذا الفيتامين ليس فعلاً مطهراً لان التجارب أثبتت انه لا يمنع نموّ البكتيريا

في كلية (الكتاكيت) مادة تعجل تعجيلاً عجيباً نموّ الانسجة حيث اصيب العضو بجرح . وان هذه المادة يمكن استخلاصها من قلوب الفراخ والكلاب والضأن والبقر والارانب . وقد جرّبت الخلاصة في علاج جنود مصابين بجراح فعجلت اندمالها

هذه الفائدة العملية الجنيّة من هذه التجارب ، يجب ان تضاف اليها فائدة علمية ، وهي ان المواد التي تعجل النموّ — اي تكاثر الخلايا — ليست مقتصرة على الاجنة بل توجد كذلك في قلوب الحيوانات الكبيرة . والخطوة التالية استخلاص هذه المادة — وقد تكون من قبل التوكوفيرون — ثم تركيبها بالتأليف الكيميائي وإباحتها للناس

سر طبي : كشفه بعد الوفاة

فلمّا لمصابُ ان أحداً ما دسّ له السمّ . وذهب طبيب الى انهُ مخبول وآخر الى انهُ مصاب بالانفلونزا وأبى طبيب تحت الممرين يشرف على سيّارة لنقل المرضى أن يأخذه الى المستشفى لأن اصابتهُ في رأيه لا تستدعي ذلك. فمضى المصاب وحده متثاقلاً الى المستشفى وتوفي في اليوم التالي بينما كانوا يتأهبون لنقله الى جناح المصابين بالأمراض العصبية

وصفت هذه الحادثة في مجلة « معامل الطب السريري » الأميركية ، فقالت ان المصاب كان عاملاً من عمال نيويورك ، وكان بدء اصابته ارتفاع حرارته وجفاف حلقه وخشيته رؤية الماء . فلما ذهب الى المستشفى اشتدّت أعراض الهذيان والتهيّج فحكم حينئذٍ بأنه مصاب بمرض عصبي . فلما توفي في اليوم التالي شرّح فلم يستوقف نظر المشرحين إلا احتقان عام في البطن وندبة جرح في الساباة . ولكن لسبب جهاز العصبي فحصَ فحصاً مجهريًّا فظهر التهاب بين المخ والحبل الشوكي . فما سبّب هذا الالتهاب ؟

لم يظفر الباحثون بالجواب إلا بعد أسابيع من البحث المدقق . فقد أخذوا خلاصة مركزة من مخ المتوفى وحقنوها في مخي خنزيرين من خنازير الهند ومخي أرنبين وأفراخ سمة فمات ، فوجدوا الخنزيرين ميتين في اليوم التالي . ومات الأرنبان في اليوم الحادي عشر واليوم الرابع عشر بعد الحقن . وبدت على الفئران دلائل المقاومة ، ولكنّ فأرين أصيبا في اليوم التاسع وأصبحا لا يمشيان إلاّ متثاقلين . فقتلا وأخذ من مخيهما محلولٌ حقن في عشرة فئران سليمة فما لبثت حتى شُلّت وماتت . فقرّر الباحثون ان الفيروس في هذه الاصابات هو فيروس مرض النوم أو فيروس أحد الامراض الجلدية أو فيروس السعار (الكَلَب) . ففيروس أيّها هو؟

ومضى الباحثون ينقلون الفيروس من مخ حيوان مصاب الى مخ حيوان سليم ، فازداد ما يرونهُ في كل محلول لاحق ، من جسيمات بيضية صغيرة أو كروية تدعى « جسيمات نجري Negri » وهي دليل لا ريب فيهِ على الإصابة بالسعار (الكَلَب) . ولكي يستوثقوا من هذا الاستنتاج جرّبوا المصل المضاد للسعار فوجدوه يبطل فعل الجسيمات في حيوان مصاب

ومن ثمة عادوا الى تاريخ الرجل الذي أصيب وتوفي فوجدوا كيف أصيب . ذلك بأنهُ كان في ليلة عيد الميلاد يلاعب كلبة ، فعضة الكلب في الساباة التي فسح الرجل مكان العضة بعبثة اليود ونسيَ ما حدث ، وبعد شهر ونصف شهر ظهرت عليهِ الاعراض التي أفضت الى وفاته . وقد حرج الباحثون بهذا المغزى ، وهو انه يتعين على مفتشي الصحة في منطقة منتشر فيها السعار ، ان يتيقظوا لإصابات في الناس لا يستوقف النظر اولاً

توفيق اسكاروس

في ليلة اليوم الخامس والعشرين من شهر نوفمبر سنة ١٩٤٢ نعي الى الصحف اليومية الطبيب الذكر الاستاذ توفيق اسكاروس وله من العمر نحو ٦٨ سنة . فانطفأت بوفاته شعلة حياة عاملة دؤوبة . وطُوي سجل زاخر صفحاته بآيات باهرة من النشاط العقلي

كان الفقيد من أوائل الناجحين في امتحان البكالوريا في سنة انشاء هذه الشهادة والتحق بمدرسة الحقوق الخديوية فأتم دراسة القانون ونال الليسانس وعين على الأثر في وظيفة في الكتبة الخديوية (دار الكتب المصرية الآن) فساعده ذلك على معاشرة خير رفيق للمرء في الحياة ونعني به « الكتاب » لانهُ لم يكتفِ بتأدية عمله « الروتيني » في وظيفته بل ملأ اوقات فراغه بالمطالعة . ولذّ له ان يختار من موضوعاتها تاريخ مصر القديم وتاريخها الحديث . وشغف بهذا الجانب من التاريخ وعلى الاخص بما كان منهُ متعلقاً بالعصر المسيحي . فقرأ عشرات من المصنفات في اللغتين العربية والفرنسية ما بين مخطوط منها ومطبوع . واطلع على فهارس المكتبات العامة في اوربا وعلى كل كتاب حديث ظهر في نصف القرن الاخير في هذا الموضوع حتى حفلت جعبته بالمعلومات المتصلة به

فألف في سنة ١٩٠٩ رسالة في سيرة مرقس الرسول اجابة لطلب جمعية الرابطة المسيحية . وفي سنة ١٩١٠ اصدر الجزء الاول من كتابه « نوابغ الاقباط ومشاهيرهم في القرن التاسع عشر » واستهل هذا الجزء بتاريخ الحملة الفرنسية على مصر . وفي سنة ١٩١٣ أصدر الجزء الثاني من هذا الكتاب

وانضم الى لجنة التاريخ القبطي وساهم في تأليف ثلاث حلقات في سلسلة هذا التاريخ وكان الى ما قبل وفاته بأيام مكبًّا على البحث والتأليف مع زملائه في سائر اجزاء هذه السلسلة

وكان على اتصال بالمغفور له العالم الكبير ميخائيل شاروبيم بك صاحب تاريخ « الكافي » وبذل كثيراً من المسعى في سبيل طبع الجزء الخامس من هذه الموسوعة الجليلة

وللاستاذ اسكاروس بحوث ومقالات في المقتطف والهلال والمقطم والاهرام وغيرها شاد فيها بحسنات حكم محمد علي والخديو اسماعيل وكتب عشرات من الفصول في تاريخ الكنيسة وعبلة الشرق والغرب وغيرها من المجلات . وله محاضرات في الهيئات العلمية والملية آخرها محاضرة ألقاها في دار الشبان الجامعي القبطي قبل وفاته بأيام وأسس مع أصدقاء له « جمعية النشأة القبطية منذ ٤٦ سنة وظل يصدر تقويمها السنوي كل هذه المدة بلا انقطاع . واشترك في النهضات الاصلاحية القبطية بقلمه ولسانه فكان عضواً في جمعية التوفيق وفي المجلس الملي العام . ولما اشتهر به من الخبرة في فن تنظيم المكتبات ندب بعد اعتزاله خدمة الحكومة لتنظيم مكتبة قصر عابدين ومكتبة الدار البطريركية القبطية

فهرس الجزء الخامس

من المجلد الواحد بعد المائة

٤٤٥ العلم والدمقراطية

٤٥٤ نقط روسيا وحاجة هتلر

٤٦١ بعد الحرب : كيف نعالج المشكلات العالمية : للدكتور تشارلز وطسن

٤٦٨ وقفة - داع (قصيدة) : لعدنان مردم بك

٤٦٩ معضلة التغذية في مصر : للدكتور حسن كمال

٤٨٢ طبقات الارض وموارد القارات

٤٨٥ جغرافيو العرب وسوريا : لنقولا زيادة

٤٩١ الهيكسوس مطاردتهم في مصر : للدكتور باحور لبيب

٤٩٥ نشيد الشجرة : لمحمد يوسف حمود

٤٩٦ فلسفة الأخلاق في الاسلام وصلاتها بالفلسفة الاغريقية : ليوسف كرم

٥٠٣ عوالم اخرى كثيرة كأرضنا

٥٠٧ المدخل الى علم الحيوان : للاب انستاس ماري الكرملي

٥١٣ الدمعة : نقلها الياس زعرور

٥١٤ فضائل الصلاة : للدكتور شوكت موفق الشطي

٥١٧ حديقة المقتطف * الوطنية في نظر تاجور : لمحمود المنحوري

٥٢٦ باب المراسلة والمناظرة * استدراكات على الامتاع والمؤانسة : للدكتور بشر فارس. تعقيب على مقال فلسفة الاخلاق في الاسلام وصلاتها بالفلسفة الاغريقية : للشيخ محمد يوسف موسى

٥٣٤ تكملة المقتطف * عبقرية عمر : لمحمود محمد شاكر * دروس الادب العربي في لبنان : لفلاح الاسير * جرى الادب في مصر سنة ١٩٣٨ * تاريخ الجامع الازهر في العصر الحاضر : لمحمد عبد الغني حسن * المفكرون الروسيون لفؤاد اندري * الصيدلي

٥٤٤ الجوز عنبية * تعليل ظاهرة الاحتقان في الحروب الحالية : لفرنسيس جندي. قنبلة الايدروجين والهيدروجين الثقيل * الحق الانساني * مدمنو الخروج : لكشف محيي * سر فني * كشف بعد الوفاة * توفق اسكندر

JUNE—DECEMBER 1942 يونيو — ديسمبر سنة ١٩٤٢

المقتطف

مجلة علمية صناعية زراعية

لمنشئيها

الدكتور يعقوب صروف والدكتور فارس نمر

انشئت سنة ١٨٧٦

المجلد الواحد بعد المائة

AL-MUKTATAF

A MONTHLY ARABIC SCIENTIFIC REVIEW

Edited by FUAD SARROUF

VOL. 101

Founded 1876 By Bros Y. Sarrouf & F. Nimr

فهرس

لمجلد الواحد بعد المائة من المقتطف

وجه

(ا)

الآلهة السامية . قصيدة ١٦٨
ابن الهيثم طريقته العلمية
في البحث ٢٩٣
الاخلاق فلسفتها في
الاسلام ٤٩٦
الادب والعلم والاساطير
في كتب السلف ١٧
الأرض وموارد القارات ٤٨٢
أرضنا وعوالم أخرى ٥٠٣
الارواح وظواهر
تحضيرها ٨٥
استراليا الجزيرة القارة ١٨٤
الاستهلاك تنظيم
في الحرب ١٧٣
الاشعة التي فوق
البنفسجي قياسها ٤٢٥
الأشعة الكونية المولدة ٤٣٠
الاشعة الكونية
مباراتها ٤٣٣
الاعتبارات الانسانية
في القانون الجنائي
الوضعي ٣٤٩
الاعواض بين الطبيعة
والمصنع ١٣٢
الاعلام في كتاب
الامتاع ٥٤
التهاب البريطون
والسلفابارول ١٠٤
الامتاع والمؤانسة ٥٢٦
الانتاج توجيهه
لأغراض الحرب ٢٧٧
الأورال منطقته
الصناعية ٣١٥
أوروبا بين عهدين ١
أوروبا والشرق العربي
٢٥٣ ، ٣٨٤

(ب)

البرتقال قشره
وفيتامين C ٤٢٨
البحث العلمي تنظيمه
وأثره في المجتمع ٨ و١٢٥
بركان كركتوى قصته ٣٤٦
البشر أعمارهم وعمر
الشمس ٣١٢
بكتيريا تولد الفيتامين ٤٢٨
بيجاليرن وجالاتيا ٢٢٩
البيض المجفف ١٠٤
بين عهدين ـ قصيدة ٤٠٨

(ت)

تاجور وايندرانات
كما أعرفه ٧٣ ، ١٨٩ ،
٣٠١ ، ٤٠٩ ، ٥١٧
التدرن الرئوي
وفيتامين ٣١٤
تدفئة الملابس بالكهربية ٤٣١
التراب والفتك بالجراثيم ١٠٩
تراث العرب العلمي ٤١٩
تصوير مدمرة من
غواصة غائصة ٣٢٢
تضليل الطائرات في
الحرب ٥٤٤
التعليم مهنته للمرأة
أم للرجل ١٠٧
التغذية معلوماتها في مصر ٤٦٩
التفكير الفرنسي
خصائصه ٣٦٦
التصوير والعلم ٤٣٣

وجه
توتي في الصباح
(قصيدة) ٢٦٨
توفيق اسكاروس ٥٥١
(ج)
جابر بن حيان ٣٥٥
جامعة فاروق الاول،
افتتاحها ٤٢٤
جبل افرست العليان
فوقه ٣١٧
الجنين مايستخرج منه ٢١٩
الجروح اندمالها . كشف
عجيب ٥٤٩
جغرافيو العرب وسوريا ٤٨٥
الجمال المستور (قصة) ١٥٠
الجمعية الجغرافية
الملكية المصرية ١٣٧
الجهاز الرحوي والهنود ٤٣٣
(ح)
الحرارة والطعام ٣٢٢
الحرب وتنظيم الاستهلاك ١٧٣
الحرب وتوجيه الانتاج ٢٧٧
الحرب والدم المجفف ٢٢١
الحرب والطعام ٢١٧
الحرب وعلم النفس ١٤١
الحرب وعنصر الفوز ٤٢٦
الحرب والنقل الجوي ٣٧٦
الحرب والمشكلات العالمية ٤٦١
وجه
الحرب ونقل الطعام ٢١٧
الحسن بن الهيثم طريقته
العلمية ٢٩٣
الحيوان المدخل الى علمه ٥٠٧
(خ)
خرطوم الفيل قوته ٤٢٩
خزانة عيسى اسكندر
المعلوف ٤١
(د)
الدكتاتورية والديمقراطية
نظمهما والعلم ٣٣٣، ٤٤٥
الدمعة ٥١٣
الدم المجفف والحرب ٢٢١
ديكارت حول كتابه ٢٠١
(ر)
الرقوق الدقيقة فوائدها ٤٣٢
الروح وحيها ٢٧٦
روسيا نفطها وحاجة
هتلر ٤٥٤
(ز)
زجاجة رماد ٣٨١
زيلندا الجديدة ٦٦
(س)
السحاب قياس ارتفاعه
بالاشعة ٤٣٠
سرطلي كشفه بعد الوفاة ٥٥٠
وجه
السلفاتيازول والتهاب
البريتون ١٠٤
السلف كتبهم وعقوباتها ١٧
سمك الاغوار، غرائبه ٣٩
سوء تفاهم ١٩٩
سيار عاشر ٤٢٧
سيبيريا ومواردها ٣٩١
(ش)
الشرق العربي
واوربا ٢٥٣ و ٣٨٤
الشعور والزمان لايهدآن
(قصيدة) ٣٩٦
الشمس عمرها وعمر البشر ٣١٢
شومتاكر وتكسي العالم ٢١٦
(ص)
الصحة في مصر في ربع القرن
المقبل، برنامجها ١١٧ و ٢٦٠
الصناعة في الادوار ٣١٥
صناعة المأكولات المحفوظة
في مصر ٣١٨
الصناعة والعلم وما يشغل
العلماء ٣٦١
الصور الطيفية والمريخ ٣١٧
الصوف معدل جزته ٤٣٣
الصلاة فضائلها الصحية
٤٠٠ و ٥١٤

وجه

(ض)

ضغط الطعام وتجفيفه
والحرب ٢١٧

(ط)

الطائرات تضليلها في
الحرب ٥٤٤
الطائرات الضخمة
والنقل الجوي ٣١٣
الطاقة الكهربية
ومنخفض القطارة ٢٤١
الطاقة مصدرها في
تفاعل كيميائي ٣١١
الطباع تأثرها بالتغذاء ٧١
طرازي فيليب تعريفه ١٠٥
الطعام المغذي في أقراص ٣١٨
الطعام والحرارة ٣٢٢
الطفولة ماذا أعددنا لها ١٦٥
الطيران حول الارض ١٠٦
الطيران فوق افرست ٣١٧

(ع)

عالمنا يكون كما تكون ٢٩٩
العرب جغرافيتهم
وصوريا ٤٨٦
عقار من التراب ١٠٩
العلم بين الدكتاتورية
والدمقراطية ٣٣٣ و ٤٥٠
علم الحيوان المدخل فيه ٥٠٧

وجه

علم النفس والحرب ١٤١
العلم والتصوير ٤٣٣
العلم والادب والاساطير
في كتب السلف ١٧
العلماء ما يشغلهم ٣٦١
عنصر الفلور والحرب ٤٢٦
عوالم أخرى كأرضنا ٥٠٣
عيسى اسكندر المعلوف
خزانته ٤١

(غ)

الغاز الحربي ٢٧ و ٤٣٣
الغذاء تأثيره في الطباع ٧١
الغذاء مصدر القوى
الحيوية العقلية ١٥٧
الغراميسيدين العقار ١٠٩
غنرأن — قصيدة — ٣٦٥
الغواصة وقنبلة الاعماق ٥٤٨

(ف)

فاروق الملك والكشف
عن الآثار القديمة ٣٠٩
فافوريسكي العالم ١٢٤
فلزات مخاليطها الجديدة ٢٣١
فلسفة الاخلاق في
الاسلام ٤٩٦ ؛ ٥٣٢
الفناء تنازعه ٢٦٣
الفلور والحرب ٤٢٦

وجه

فيتامين C والتدرن ٣١٤
الفيتامين ونمو النبات ٣١٤
الفيتامين من البكتريا ٤٢٨
فيتامين C وقشر
البرتقال ٤٢٨
فيتامين K وثمر
الاسنان ٥٤٨
الفيل قوة خرطومه ٤٢٩

(ق)

القانون والاعتبارات
الانسانية ٣٤٩
فلسفة النشوء مبادؤها
الاولى ٢٤٥
القارات مواردها ٤٨٢
قطرات ندى ١٦ و ١٨٣
القطن بياضه ٤٣٣
القطن زيادة محصوله
بمعالجة بزوره ١٠٧
قلب الفيلسوف قصيدة ١٥٦
القمح المخزون حفظه
بعلاج كيميائي ١٠٦
قنبلة الاعماق والغواصة ٥٤٨
القوى الحيوية والعقلية
والغذاء ١٥٧

(ك)

كانوبوس النجم سهيل
ضياؤه ٤٢٩

وجه
الكربون مصدر المعجزات
الكيميائية ٣٢٠
الكيمياء وحفظ التبغ
المخزون ١٠٦

(ل)

اللسان العلمي واللسان
النباتي ٨٣
اللغة العربية دراستها ٦٠
اللوزتان نزعهما ٤٢٦

(م)

الماء سطحه أمام
كاليفورنيا ٤٣٣
المثال النائه ٢٢٩
المأكولات المحفوظة
في مصر صناعتها ٣١٨
المجمع المصري للثقافة
العلمية ١٠٣
المخلوقات عجائبها ٣٩
مدرسة تصويرها من
غواصة غائصة ٣٢٢
المريخ الحياة فيه
والصور الطيفية ٣١٧
مصر أسماؤها ٤٧
مصر برنامجها الصحي في
ربع القرن المقبل
١١٧ ، ٢٦٠

وجه
انقاط من البطاطس
والفحم الحجري ٢١٤
المشكلات العلمية
معالجتها بعد الحرب ٤٦١

مكتبة المقتطف

اتجاهات العصر الجديد
في مصر ٣٢٩
الادب العربي في لبنان ،
فهرسه ٥٣٨
الادب مجراه في مصر
سنة ١٩٣٨ ٥٤٠
الاسمار والاحاديث ٢١٢
افاريد ربيع ١٠١
امتاع الاسماع ٩٨
تاريخ الجامع الازهر
في العصر الفاطمي ٥٤١
تاريخ خليج الاسكندرية
وترعة المحمودية ٤٣٧
ترجمات من العربية الى
الحبشية ١٠٢
التصوير عند العرب ٢٠٧
الحب الضائع ٢٠٥
الحسن بن الهيثم ٣٢٢
حكايات من الهند ٣٣٠
خارطة في سماء مصر ٩٧
ديكارت ٢٠٨

وجه
الرجال مناقوز وقصص
اخرى ١٠٠
زميل التوجيهي ٩٨
سعد زغلول من انضيته ٢١٠
السينما مفخرة القرن
العشرين ١٠٢
شهاب قلب ٣٣١
عبقرية عمر ٥٣٤
عبقرية محمد ٩٥
العقد الفريد ٢٠٩
عوالي ٤٤١
فيض الخاطر ٩٦
قال الراوي ٢٤١
قصص علماء الطبيعة ٩٩
الكون الغامض ٣٢٥
لحظات ٣٢٨
ليلى المريضة في العراق ٢١٢
مجلة غرفة تجارة بغداد ٢١٣
مجلة كلية الآداب ٣٣١
محمد علي ٤٣٤
المصادر عن ري العراق ٤٤٣
معجم الاطباء ٣٢٧
المفضليات ٤٣٩
المفكرة الريفية
لفؤاد افندي ٥٤٢
موكب الحياة ٤٣٨
الناظرة حكمتها ٣٧٥

وجه
من تراثي . قصيدة ٥١
منخفض القطارة
والطاقة الكهربية ٢٤١
مندناو غورها ١٠٧
المواد الاولية بين
الطبيعة والمصنع ١٣٢
الملابس تدفئها
بالكهربية ٤٣١

(ن)

ناصيف وفاصف
ونصيف ٢٧٤
النبات تكافله والزراعة ٢٧٠
النبات توليد أصناف
جديدة منه ٤٣٠

وجه
النباتيون المشهورون
١٧٠ ، ٢٨٥ ، ٣٩٧
النبات نموه والفيتامين ٣١٤
نيرليون عصره وعصرنا ١
النعيم كانوبوس يسيل
وضياؤه ٤٢٩
نغر الأسنان
وفيتامين K ٤٤٨
النشوء فلسفته
ومبادؤه الاولى ٢٤٥
نشيد الشجرة . قصيدة ٤٩٥
نقط روسيا
وحاجة هتلر ٤٥٤
النقل الجوي
بطائرات ضخمة ٣١٣

وجه
النقل الجوي في أثناء
الحرب وامدها ٣٧٦
نيوتن ذكراه ٤٢٩

(هـ)

الهند وموادها ٢٨٨
الهنود والجهاز الحجري ٤٣٣
الهكسوس عاصمتهم
ومدة حكمهم ٣٤
الهكسوس مدى
توغلهم في مصر ٤٠٥
الهكسوس مطاردتهم
في مصر ٤٩١

(و)

وقفة وداع . قصيدة ٤٦٨
وحي الروح ٢٧٦